
عالم ما بعد الموت
الإنسان في منازل خلقه وموته وبعثه

الطبعة الأولى
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م



بيروت - لبنان - حارة حريك - ص.ب : ١٤/٥٤٧٩
ت : ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٥٢٨٤٧ - فاكس : ٠١/٦٠١٠١٩ - ٠١/٦٠٣٣٧٩



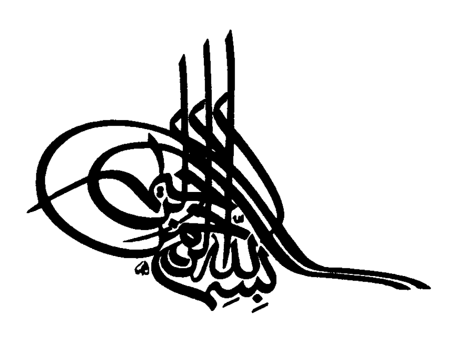
الإنسان في منازل خلقه وموته وبعثه

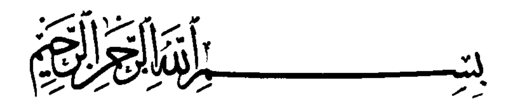
تأليف

محمد محسن الملقب بالفيض الكاشاني

حققه واعتنى به: محسن عقيل

دار المحجة البيضاء — دار الرسول الأكرم (ص)





ترجمة المؤلف

محمّد محسن بن الشاه مرتضى بن الشاه محمود، المدعوّ بالمولى محسن القاشاني، المعروف بالفيض أحد نوابغ العلم في القرن الحادي عشر، كان نشوءه في بلدة قم المشرّفة، فانتقل إلى قاشان، ثمّ ارتحل إلى شيراز بعدما سمع بورود السيّد ماجد بن عليّ البحراني[1] تلك البلدة الأخذ من منها علومه، ومن المولى صدر الدين الشيرازي وتخرّج عليهما وتزوّج ابنة المولى الصدر المعظّم، ثمّ غادرها إلى قاشان[2] وكان هنالك مرجعاً فذاً لا نِدّ له إلى أن توفّي بها سنة ١٠٩١ وهو ابن أربع وثمانين[3]، ودفن هناك وقبره مشهور يُزار.

---

(١) هو السيد ماجد بن علي بن المرتضى بن علي بن ماجد أبو علي الحسيني البحراني من أجل فضلاء البحرين وادبائها كان أوحد زمانه في العلو وأحفظ أهل عصره وهو أول من نشر الحديث في دار العلم شيراز المحروسة. قال الشيخ سليمان الماحوزي في الفصل الذي ألحقه بالبلغة في ذكر علماء البحرين: السيد العلامة الفهامة ـ إلى أن قال ـ تلمذ عليه أعيان العلماء مثل مولانا العلامة محمد محسن الكاشاني صاحب الوافي. راجع ترجمته أمل الأمل ص٤٩٣ سلافة العصر ص٥٠٠، خلاصة الأثر ج٣ ص٣٠٧ للمولى محمد المحبى. مستدرك الوسائل ج٣ ص٤٢٠.

(٢) راجع لؤلؤ البحرين ١٣٢.

(٣) المستدرك ج٣ ص٤٢٠.

جمَل الثناء عليه

إطباق العلماء على فضله وتقدُّمه وبراعته في العلوم بغنينا عن سرد جمل الثناء عليه وتسطير الكلم في إطرائه.

قال المحدِّث المبحّر الشيخ الحرّ العامليّ: محمّد بن المرتضى المدعوّ: بمحسن الكاشاني كان فاضلاً، عالماً، ماهراً، حكيماً، متكلّماً، محدّثاً، فقيهاً، محقّقاً، شاعراً، أديباً، حسن التنصيف من المعاصرين، له كتب ـ ثمّ عدَّ بعضاً من كتبها ثمَّ قال: ـ قد ذكره السيّد عليّ بن ميرزا أحمد في السلافة وأثنى عليه ثناءً بليغاً[(١)].

وقال الرجاليُّ الكبير محمّد بن عليّ الأردبيليّ: محسن بن المرتضى ـ رحمه الله ـ العلاّمة المحقّق المدقّق جليل القدر، عظيم الشأن، رفيع المنزلة فاضل كامل، أديب متبحّر في جميع العلوم[(٢)].

وقال السيّد نعمة الله الجزائريّ الشوشتري: كان أُستاذنا المحقّق المولى محمّد محسن القاشاني صاحب الوافي وغيره ممّا يقرب مائتي كتاب ورسالة[(٣)].

وقال الشيخ يوسف البحراني: المحدّث القاشاني كان فاضلاً، محدّثاً، أخبارياً صلباً[(٤)].

وقال السيّد محمّد شفيع الحسيني في الروضة البهيّة في ترجمته: إنّه صرف عمره الشريف في ترويج الآثار المرويّة، والعلوم الإلهيّة، وكلماته في كلّ باب في غاية التهذيب والمتانة وله مصنفات كثيرة.

---

(١) أمل الامل ص٥٠٧ من طبعه الملحق بمنهج المقال.

(٢) جامع الرواة ج٢ ص٤٢.

(٣) كذا في زهر الربيع ص١٦٤ طبع طهران حسبما رقمناه.

(٤) لؤلؤ البحرين ص١٣٣.

وأثنى عليه صاحب الروضات بقوله: أمره في الفضل والفهم والنبالة في الفروع والأصول وكثرة التأليف مع جودة التعبير والترصيف أشهر من أن يخفى في هذه الطائفة على أحد إلى منتهى الأبد[1].

وقال الحدّث النوري: من مشايخ العلاّمة المجلسي العالم الفاضل المتبحّر المحدّث العارف الحكيم المولى محسن بن الشاه مرتضى بن الشاه محمود المشتهر بالفيض الكاشاني[2].

وقال المحدِّث القميّ بعد عنوانه نحواً ممّا مرّ: أمره في الفضل والأدب، وطول الباع وكثرة الاطّلاع، وجودة التعبير، وحسن التحرير، والإحاطة بمراتب المعقول والمنقول أشهر من أن يخفى[3].

وقال العلاّمة الأميني في الغدير في ترجمة علم الهدى ابن المؤلّف: هو ابن المحقّق الفيض علم الفقيه، وراية الحديث، ومنار الفلسفة، ومعدن العرفان، وطود الأخلاق، وعباب العلوم والمعارف، هو ابن ذلك الفذّ الّذي قلّ ما أنتج شكل الدّهر بمثيله، وعقمت الأيّام عن أن تأتي بمشبهه[4].

وأورده البحّاثة، الأستاذ (مرتضى المدرّسي چهاردهي) المدرّس في دار المعلّمين العالية بجامعة طهران في كتابه المسمّى بطبقات المفسّرين وأطراه وعظّمه وبجّله بكلام يعجبني ذكره قال:

كان الفيض ـ رحمه الله ـ من كبار علماء الإماميّة الّذين كانت لهم عناية بالغة بالقرآن والحديث، له مسلك خاصّ في التفسير جمع بين الطريقة والشريعة.

ألّف في الحقائق القرآنيّة الّتي أُسّست على أُصول الفطرة، والحكمة

---

(١) الروضات ص٥١٦.

(٢) خاتمة المستدرك ص٤٢٠.

(٣) الكنى والالقاب.

(٤) الغدير ج ١١ ص ٣٦٢.

العالية الّتي تنطبق على نواميس الطبيعة، والعرفان الصحيح الّذي يلائم الفطرة والعقل تفسيريه: الصافي، والأصفي.

ونقل في كتابه «المحجّة البيضاء» الّذي ألّفه في تهذيب إحياء العلوم أخباراً كثيراً عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام في علم الأخلاق وعلم النفس وأدبها بوجه رائق، والحقُّ أنّه تفسير للقرآن وشرح لأحاديث الإماميّة، وهو يبحث في هذا الكتاب بحثاً تحليليّاً عن عقائد الغزّالي وآرائه ثم شرع في نقدها وتهذيبها معتمداً في كلّ ذلك على الكتاب والسنّة.

واستشهد في آرائه في جميع تآليفه بالقرآن والحديث الصادر عن أهل بيت الوحي.

وإذا قسنا بينه وبين أبي حامد في فهم آيات الكتاب الحكيم والأخبار الصادرة عن منبع الوحي نرى تقدُّمه الباهر على الغزّالي مع ما كان له من الشهرة العالميّة واشتهار الفيض في جامعة الشيعة فحس.

ولو أنّ الدعايات المبثوثة حول الغزّالي في العالم بثّت حول الفيض لظهر عبقريّته وعلم المحقّقون من أعلام الغرب مبلغ عظمته العلميّة وتوجّهوا نحو آرائه القيّمة وعقائده الحقّة في علم التفسير والحديث من ناحية الأخلاق وعلم النفس وأدبها. انتهى.

مشايخه والراوون عنه

روى عن جمع من الفطاحل وجماعة من الأعلام منهم:

١ ـ الشيخ البهائي محمّد بن الحسين بن عبد الصمد العامليّ.

٢ ـ المولى محمّد طاهر بن محمّد حسين الشيرازيّ ثمَّ النجفي ثمّ القمّيّ.

٣ ـ المولى خليل الغازي القزويني شارح الكافي.

٤ ـ الشيخ محمّد بن الشيخ الحسن بن الشهيد الثاني.

٥ ـ المولى محمّد صالح شارح الكافي.

٦ ـ السيّد الجليل النبيل السيد ماجد بن السيّد هاشم الحسينيّ البحراني.

٧ ـ الحكيم المتألّه الفاضل محمّد بن إبراهيم الشيرازي الشهير بمولى صدرا.

٨ ـ أبوه الشاه مرتضى بن الشاه محمود.

ويروي عنه جماعة من الأعاظم منهم:

١ ـ العلاّمة المجلسي ـ محمّد باقر بن محمّد تقي صاحب بحار الأنوار.

٢ ـ السيّد نعمة الله الجزائريّ الشوشتري.

٣ ـ القاضي سعيد القمّيّ.

٤ ـ ولده الزكيّ المعروف بعلم الهدى.

تآليفه القيمة وآثاره الثمينة

قال الشيخ يوسف بن أحمد بن إبراهيم البحراني بعد ترجمته والثناء عليه: له تصانيف أفرد لها فهرساً على حدة ونحن ننقل ذلك عنه ملخّصاً[١].

١ ـ الصافي في تفسير القرآن يقرب من سبعين ألف بيت، فرغ من تأليفه في سنة خمس وسبعين بعد الألف[٢].

٢ ـ الأصفى منتخب منه، أحد وعشرين ألف بيت تقريباً.

(١) راجع لؤلؤة البحرين ص١٢٥.

(٢) طبع مراة عدة بطهران.

٣ ـ الوافي خمسة عشر جزءاً كلٌّ منها كتاب برأسه، يقرب مجموعه من مائة وخمسين ألف بيت، وقع الفراغ من تصنيفه في سنة ثمان وستّين بعد الألف.

٤ ـ الشافي، وهو منتخب من الوافي، في جزأين جزء فيما هو من قبيل العقائد والأخلاق، وجزء هو من قبيل الشرائع والأحكام، في كلّ منها اثنا عشر كتاباً، يقرب من ستّة وعشرين ألف بيت، وقع الفراغ مه في سنة اثنتين وثمانين بعد الألف.

٥ ـ النوادر، في جمع الأحاديث الغير المذكورة في الكتب الأربعة المشهورة في سبعة آلاف بيت [طبع أخيراً بطهران بعناية مدير مكتبة «الشمس»].

٦ ـ معتصم الشيعة، في أحكام الشريعة، قد خرج منه كتاب الصلاة ومقدّماتها، مجلّد يقرب من أربعة عشر ألف بيت، وقع الفراغ منه في سنة اثنتين وأربعين بعد الألف.

٧ ـ النخبة، يشتمل على خلاصة أبواب الفقه في ثلاثة آلاف بيت وثلاثمائة تقريباً في سنة خمسين بعد الألف.

٨ ـ التطهير، وهو نخبة من النخبة لبيان علم الأخلاق يقرب من خمس مائة بيت.

٩ ـ علم اليقين في أصول الدّين، أربعة عشر ألف بيت وخمس مائة تقريباً، في سنة اثنتين وأربعين بعد الألف.

١٠ ـ المعارف، وهو ملخّص من كتاب علم اليقين ولبابه، في ستّة آلاف بيت تقريباً، في سنة ستّ وثلاثين بعد الألف.

١١ ـ أصول المعارف، وهو ملخّص مهمّات عين اليقين، يقرب من أربعة

إلاف بيت، وقد صنّف في سنة تسع وثمانين بعد الألف.

١٢ ـ المحجّة البيضاء، في إحياء الإحياء، ومجموعه ثلاثة وسبعون ألف بيت تقريباً، وقع الفراغ منه في سنة ستّ وأربعين بعد الألف. [أقول: كأنّه تصحيف والصحيح تهذيب الإحياء كما في الأصل].

١٣ ـ الحقائق في أسرار الدّين، ملخّص كتاب المحجّة ولبابه في سبعة آلاف بيت في سنة تسعين وألف.

١٤ ـ قرّة العيون، ثلاثة آلاف وخمس مائة بيت في سنة ثمان وثلاثين وألف.

١٥ ـ الكلمات المكنونة في بيان التوحيد، في ثمان مائة بيت، صنّف في سنة ألف وتسعين.

١٦ ـ جلاء العيون في بيان أذكار القلب، في مائتي بيت.

١٧ ـ تشريح العالم، في بيان هيئة العالم وأجسامه وأرواحه وكيفيّته وحركات الأفلاك والعناصر وأنواع البسائط والمركبات، في ثلاثة آلاف بيت.

١٨ ـ أنوار الحكمة، وهو مختصر من كتاب علم اليقين مع فوائد حكميّة اختصّت به، تقرب من ستّة آلاف بيت، في سنة ثلاث وأربعين بعد الألف.

١٩ ـ اللّباب، وهو لباب القول في الإشارة إلى كيفيّة علم الله سبحانه بالأشياء مائتي بيت.

٢٠ ـ اللّب، وهو لبّ القول في منى حدوث العالم، في ثلاث مائة وسبعين بيت.

٢١ ـ ميزان القيامة، ذكر فيه تحقيق القول في كيفيّة ميزان يوم القيامة، يقرب من ستّ مائة بيت في سنة أربعين بعد الألف.

٢٢ ـ مرآة الآخرة، تنكشف فيه حقيقة الجنّة والنّار ووجودهما الآن ومحلّهما من الدّنيا، في تسع مائة بيت، وقد صنّف في أربع وأربعين بعد الألف.

٢٣ ـ ضياء القلب، في تحقيق حقيقة أحكام الخمسة الّتي تحكم على الإنسان في باطنه، يقرب من خمس مائة بيت، في سنة سبع وخمسين بعد الألف.

٢٤ ـ تنوير المذاهب، وهو تعليقات على تفسير القرآن المنسوب إلى الكاشفي، الموسوم بالمواهب، يقرب من ثلاثة آلاف بيت.

٢٥ ـ شرح الصحيفة السجّاديّة، شرح منها ما لعلّه يحتاج إلى الشرح بإيجاز واختصار، يقرب من ثلاثة آلاف بيت وثلاث مائة.

٢٦ ـ سفينة النجاة في أنّ مأخذ الأحكام الشرعيّة، ليس إلاّ محكمات الكتاب والسنّة، يقرب من ألف وخمس مائة بيت وقد صنّف في سنة ثمان وخمسين بعد الألف.

٢٧ ـ الرسالة الموسومة بالحقّ المبين في تحقيق كيفيّة التفقّه في الدّين يقرب من مائتين وخمسين بيتاً، وقد صنّف سنة ثمان وستّين بعد الألف.

٢٨ ـ الأصول الأصليّة، يشتمل على عشرة أصول مستفادة من الكتاب والسنّة يقرب من الألفْ وثمان بيت، في سنة أربعة وأربعين بعد الألف.

٢٩ ـ تسهيل السبيل في الحجّة في انتخاب كشف المحجّة، للسيّد بن طاووس العلويّ، يقرب من تسع مائة بيت، في سنة أربعين بعد الألف.

٣٠ ـ نقد الأصول الفقهيّة يشتمل على خلاصة علم أُصول الفقه، صنّف في عنفوان الشباب وهو أوّل تصنيف له، يقرب من ألفين وثلاث مائة بيت.

٣١ ـ أصول العقائد في تحقيق الأصول الخمسة الدينيّة، يقرب من ثمان

مائة بيت، في سنة ستّ وثلاثين بعد الألف.

٣٢ ـ منهاج النجاة، في بيان العلم الّذي طلبه فريضة على كلّ مسلم، ويقرب من ألفي بيت صنّف سنة اثنتين وأربعين بعد الألف.

٣٣ ـ خلاصة الأذكار يقرب من ألفي بيت وثلاث مائة بيت، وقد صنّف في سنة ثلاث وثلاثين بعد الألف.

٣٤ ـ ذريعة الفراغة في جميع الأدعيّة المتضمّنة للمناجاة المنقولة عن الأئمّة عليهم السلام، يقرب من خمس مائة آلاف بيت، وقد صنّف في سنة نيّف وخمسين بعد الألف.

٣٥ ـ مختصر الأوراد، يشتمل على الأذكار والدعوات المتكرّرة في اليوم واللّيلة والاسبوع والسنّة، يقرب على خمسمائة آلاف وخمسمائة بيت، وقع الفراغ من تصنيفه في سنة سبع وستّين وألف.

٣٦ ـ أهمُّ ما يعمل، يشتمل على مهمّات ما ورد في الشريعة المطهّرة من العمل بها، يقرب من خمسمائة بيت.

٣٧ ـ الخطب يشتمل على مائة خطبة ونيّف لجمعات السنة والعيدين، يقرب من أربعة آلاف بيت، وقد تمّ جمعه في سنة سبع وستّين بعد الألف.

٣٨ ـ شهاب الثاقب في تحقيق عينيّة وجوب صلاة الجمعة في زمن الغيبة، صنّف في سنة سبع وخمسين وألف.

٣٩ ـ أبواب الجنان، في بيان وجوب صلاة الجمعة وشرائطها وآدابها وأحكامها بالفارسيّة لعامّة الناس في خمسمائة بيت، وصنّف في سنة خمس وخمسين وألف.

٤٠ ـ ترجمة الصلاة، يترجم فيه أذكار الصلاة بالفارسيّة في أربعمائة وخمسين بيتاً تقريباً، صنّف في سنة ثلاث وأربعين بعد الألف.

٤١ ـ مفاتيح الخير، ممّا يتعلّق بفقه الصلاة ولواحقها بالفارسيّة، يقرب من مائتين وخمسين بيتاً.

٤٢ ـ ترجمة الطهارة وفقهها وما يتعلّق بها بالفارسيّة في مائتين وثمانين بيتاً.

٤٣ ـ أذكار الطهارة، من الأذكار المتعلّقة بها، في خمسين بيتاً.

٤٤ ـ ترجمة الزكاة بالفارسيّة، في مائتين وستّين بيتاً.

٤٥ ـ ترجمة الصيام، وهو مثل ترجمة الزكاة، يقرب من ثلاث مائة بيت.

٤٦ ـ ترجمة العقائد بالفارسيّة.

٤٧ ـ الرسالة الموسومة بالسانح الغيبي في تحقيق معنى الإيمان والكفر ومراتبهما.

٤٨ ـ الرسالة الموسومة براه صواب يذكر فيها بالفارسيّة سبب اختلاف أهل الإسلام في المذاهب وانبعاثهم على تدوين الأُصولين، وتحقيق معنى الإجماع في خمسمائة بيت صنّف في سنة نيّف وأربعين وألف.

٤٩ ـ الرسالة الموسومة بشرائط الإيمان وهو منتخب من رآه صواب.

٥٠ ـ كتاب ترجمة الشريعة بالفارسيّة، فيه معنى الشريعة وفائدتها وكيفيّة سلوكها وبيان أقسام كلّ من الحسنات والسيّئات.

٥١ ـ الأذكار المهمّة، مختصر من خلاصة الأذكار فارسيٌّ في ثلاث مائة وأربعين بيتاً.

٥٢ ـ الرفع والدفع، في رفع الآفات ودفع البليّات بالقرآن والدّعاء والعوذ والرقى والدّواء، فارسيٌّ في أربعمائة وعشرين بيتاً.

٥٣ ـ الرسالة الموسومة بائينة شاهي، وهو منتخب من ضياب القلب،

فارسيٌّ، تقرب من ثلاث مائة بيت، في سنة ستّ وستّين وألف.

٥٤ ـ الرسالة الموسومة بوصف الخيل، وذكر ما ورد من اتّخاذ الخيل ومعرفتها وعلاماتها من الأئمّة المعصومين عليهم السلام، فارسيّة، تقرب من مائتي بيت، قد صنّف في سنة سبع وستّين وألف.

٥٥ ـ الرسالة الموسومة بزاد السالك، يذكر فيها كيفيّة سلوك طريق الحقّ وشروطه وآدابه [طبع بعناية الأستاذ الشريف السيّد جلال الدين المعروف بالمحدّث].

٥٦ ـ الرسالة الموسومة بالنخبة الصغرى تشتمل على لباب فقه الطهارة والصلاة والصيام، في لفظه متعلّقات النخبة الصغرى وفيها تفصيل ما أجملته وتبيين ما أبهمته.

٥٧ ـ الرسالة الموسومة بالضّوابط الخمس في أحكام لشكّ والسهو والنسيان في الصلاة.

٥٨ ـ الرسالة الموسومة بحرمان الأموات تشتمل على أُمهات المسائل الشرعيّة المتعلّقة بالجنائز.

٥٩ ـ رسالة في بيان أخذ الأُجرة على العبادات والتغاير الدينيّة، تقرب من مائة وخمسين بيتاً.

٦٠ ـ رسالة في تحقيق ثبوت الولاية على البكر في التزويج وما يتعلّق بذلك إلى مائة وثمانين بيتاً.

٦١ ـ الرسالة الموسومة بغنية الأنام في معرفة الأيّام والساعات، ممّا هو مستفاد من أخبار أهل البيت عليهم السلام.

٦٢ ـ الرسالة الموسومة بمعيار الساعات، وهو غريبة من الغنية، إلاّ أنّها بالفارسيّة.

٦٣ ـ الرسالة الموسومة بالأحجار الشداد والسيوف الحداد في إبطال الجواهر الافراد.

٦٤ ـ الرسالة الموسومة بالمحاكمة، تشتمل على محاكمة بين فاضلين من مجتهدي أصحابنا في معنى التقيّة في الدين.

٦٥ ـ الرسالة الموسومة برفع الفتنة في بيان حقيقة العلم والعلماء، وشيء من معنى الزهد والعبادة وأصحابها.

٦٦ ـ فهرست العلوم شرحت فيها أنواعه وأصنافها.

٦٧ ـ رسالة في أجوبة مكتوبات وسؤالهنَّ منتزعات من كتب العلماء وأهل المعرفة وأشعارهم.

٦٨ ـ الرسالة الموسومة بشرح الصور تشتمل على مجمل ما مضى من الحالات والنوائب في أيّام عمري من ظعني وإقامتي واستفادتي وإفادتي ومكارمي ومقاماتي وخمولي وشهرتي وخلوتي وصحبتي ومفارقة إخواني المحبوبين ومخالطة أصحابي المكرمين، وهي نفثة من نفثاتي، وقد صنّف في خمس وستّين وألف.

أقول: إلى هنا منقول من لؤلؤة البحرين النسخة المطبوعة ولا يخفى ما فيه من الاشتباه والتصحيف والسقط والخلط.

وذكر العالم المتبحّر الخبير الشيخ محمّد عليّ المدرِّس التبريزي في ريحانة الأدب[1] له كتب أُخرى وهي:

٦٩ ـ آب زلال، مثنويٌّ، يخاطب به نفسه في شطر وربّه الأعلى في شطر آخر، فارسي.

٧٠ ـ الأربعون حديثاً في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام.

٧١ ـ أُلفت نامه في ترغيب المؤمنين إلى الأُنس والاتّحاد، فارسيّة.

---

(١) ريحانة الأدب ج ٣ ص ٢٤٢.

٧٢ ـ الأمالي.

٧٣ ـ رسالة الانصاف في طريق العلم بأسرار الدين.

٧٤ ـ انموذج أشعار أهل العرفان يحوي سبعين غزلاً في التوحيد، فارسي.

٧٥ ـ بشارة الشيعة.

٧٦ ـ كتاب التوحيد.

٧٧ ـ ثناء المعصومين.

٧٨ ـ الجبر والاختيار.

٧٩ ـ الكلمات المخزونة مختصر من الكلمات المكنونة.

٨٠ ـ حاشية على رواشح السماويّة لمير الداماد.

٨١ ـ حاشية على الصحيفة السجّاديّة.

٨٢ ـ ديوان شعره [طبع أخيراً في طهران بعناية مدير مكتبة «الشمس»].

٨٣ ـ شوق الجمال وشوق العشق وشوق المهدي كلّها من منظوماته.

٨٤ ـ فهرست مصنّفاته [كما عرفت سابقاً].

٨٥ ـ كلزار قدس [طبع مع ديوانه].

٨٦ ـ المصفّى في تفسير القرآن [أقول: ولم يثبت وفيه كلام].

٨٧ ـ مثنويّات يسمّي تسنيم وسلسبيل وندبة العارف وندبة المستغيث إلى غير ذلك.

٨٨ ـ مفاتيح الشرائع في الفقه.

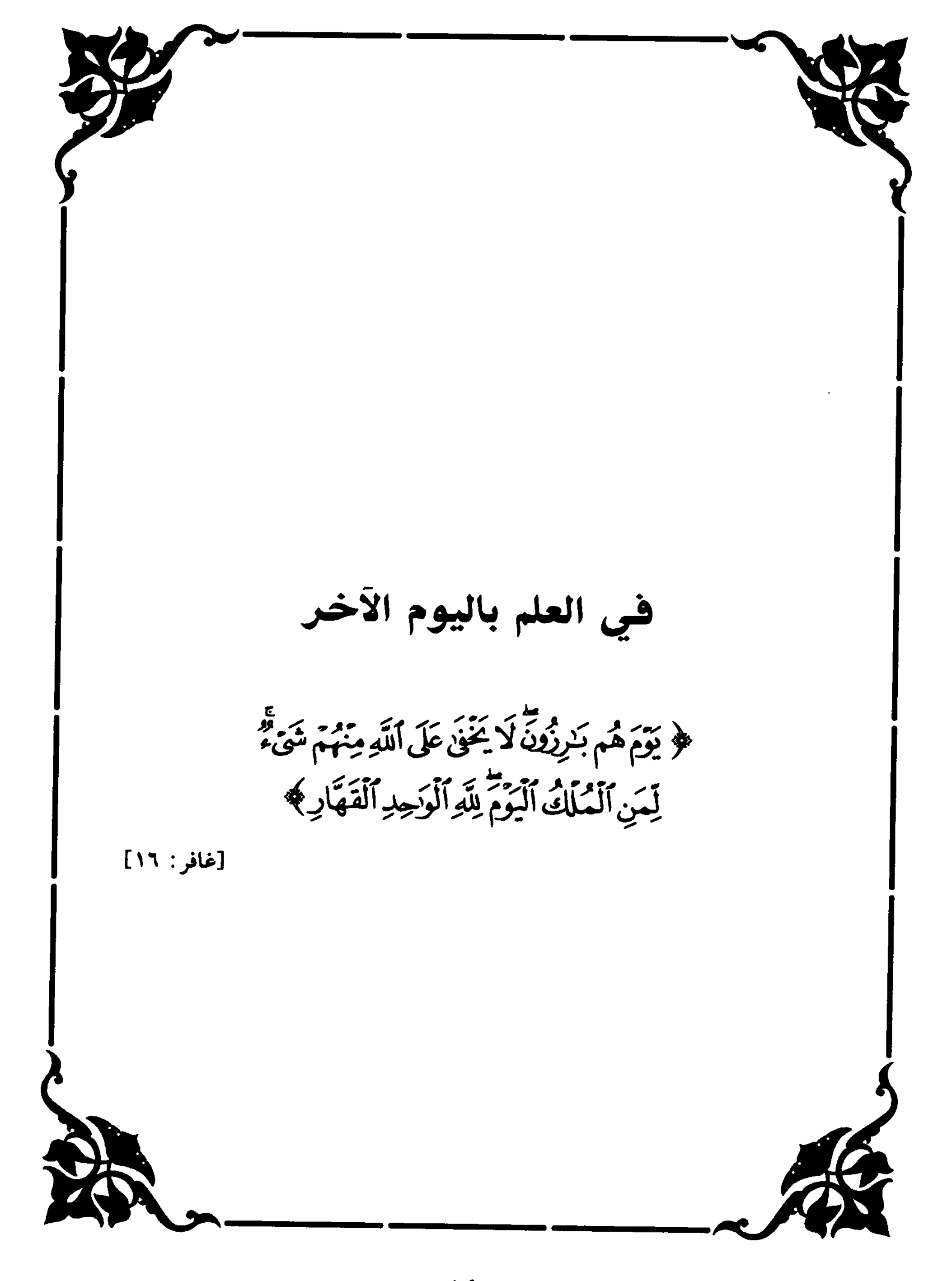
٨٩ ـ عين اليقين.

قال في اللّؤلؤة: وقد انتقل من بلدة كاشان إلى شيراز للتحصيل على يد السيّد ماجد البحراني والمولى صدر الدين الشيرازي.

حكى السيد السعيد السيّد نعمة الله الجزائريّ الشوشتري ـ رحمه الله ـ قال: كان أُستاذنا المحّق المولى محمّد محسن الكاشاني صاحب الوافي وغيره ممّا يقارب مائتي كتاب ورسالة، وكان نشوءه في بلدة قم فسمع بقدوم الشيخ الأجلّ المحقّق المدقّق الإمام الهمام السيّد ماجد البحرانيّ الصادقي إلى شيراز، فأراد الارتحال إليه لأخذ العلوم منه، فتردّد والده في الرخصة له ثمَّ بنوا الرخصة وعدمها على الاستخارة فلمّا فتح القرآن جاءت الآية: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ ولا آية أصرح وأنصّ وأدلّ على هذا المطلب مثلها، ثمّ تفأل بعدُ بالديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام فجاءت الأبيات هكذا:

تغرّب عن الأوطان في طلب العلى ... وسافر ففي الأسفار خمس فوائدِ
تفـرّج هـمّ واكتسـاب معيشـة ... وعلـم وآداب وصحبـة مـاجـدِ
فـإن قيـل فـي الأسفـار ذلٌّ ومحنـة ... وقطـع الفيـافـي وارتكـاب الشـدائـدِ
فمـوت الفتـى خيـر لـه مـن معـاشـه ... بـدار هـوان بيـن واشٍ وحـاسـدِ

وهذه أيضاً أنسب بالمطلوب ولا سيّما قوله: «وصحبه ماجد» فسافر إلى شيراز وأخذ عنه العلوم الشرعيّة وقرأ العلوم العقليّة على الحكيم الفيلسوف المولى صدر الدين الشيرازيّ وتزوّج بابنته.



في العلم باليوم الآخر

﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾

[غافر: ١٦]



الباب الأول:

الموت

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾

[آل عمران: ١٨٥]

الإنسان في منازل خلقه وموته وبعثه

إن الله ـ سبحانه ـ إنما خلق الإنسان وسوَّاه وعدَّله شيئاً فشيئاً، وأتمَّ خلقته وأكمله تدريجاً وأطواراً، كما قال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٤].

وقال ـ جلَّ جلاله ـ: «خمّرتُ طينة آدم بيدي أربعين صباحاً»[1].

وذلك بعدما ﴿أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الانسان: ١] ـ كما قاله عزَّ وجلَّ ـ وقال ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٩].

فخلقه ـ أول ما خلَقه ـ ﴿مِّن تُرَابٍ﴾ [الحج: ٥] و﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الصافات: ١١]، ومن ﴿صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦] ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ

---

(١) أورد الغزالي في الإحياء (كتاب التوحيد والتوكل، بيان أحوال المتوكلين في التعلق بالأسباب: ٤/٤٠٢): «إنّ الله خمّر طينة آدم بيده أربعين صباحاً». وقال العراقي في تخريجه: «رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس عن ابن مسعود وسلمان الفارسي بإسناد ضعيف جداً».
وأورد البيهقي في الأسماء والصفات (باب ما ذكر في اليمين والكف: ٢/٥٩) بإسناده: «عن ابن مسعود أو سلمان الفارسي رضي الله عنه، قال: إنّ الله ـ تبارك وتعالى ـ خمّر طينة آدم عليه السلام أربعين يوماً، أو أربعين ليلة ـ شكّ يزيد ـ ثمّ ضرب بيده، فما كان من طيّب خرج بيمينه، وما كان من خبيث خرج بيده الأخرى، ثمّ خلطه، فمن ثمّ يخرج الحيّ من الميّت ويخرج الميّت من الحيّ». وأيضاً بإسناده: «عن ابن مسعود أو سلمان الفارسي ـ رضي الله عنهما ـ قال أبي: ولا أراه إلا سلمان ـ قال: خمّر الله تبارك وتعالى طينة آدم عليه السلام أربعين ليلة وأربعين يوماً، ثم ضرب بيده...».

﴿مَّهِينٍ﴾ [السجدة: ٨]، ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾ [الحج: ٥] ﴿مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾ [القيامة: ٣٧] ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ [الحج: ٥]، ليُقرّ في الأرحام ما يشاء، ثم جَعله عِظاماً، ثم كَسَى العِظامَ لحماً، ثمّ أنشأه خَلقاً آخر[1]، ثمَّ أخرجه طفلاً ليبلغ أشدَّه، ومنهم مَن يتوفّى ومنهم مَن يُردّ إلى أرذل العمر[2].

وفي هذه المراتب يتكامل شيئاً فشيئاً: فبعد ما لم يكن شيئاً مذكوراً يكون كالجماد والمعادن ليس له إلاّ صورة حافظة لتركيبه.

ثمَّ تصير تلك الصورة بعينها نفساً نباتيّة ذات قوى غاذية وجاذبة وماسكة وغيرها، يصدر منها مع حفظ التركيب: النشؤ والنموُّ والازدياد في الأقطار.

ثمَّ تصير تلك النفس النباتيَّة بعينها نفساً حيوانيَّة يصدر منها مع ما يصدر من قبل: الإحساس والحركة وخواصُّ الحيوانيَّة، ثمَّ يتكامل في الحيوانيَّة شيئاً فشيئاً إلى أن يصير إنساناً يصدر منه مع ما يصدر من قبل: ما هو من خواصّ الإنسانيّة.

ثمَّ يتكامل في الإنسانيَّة إلى أن يصل إلى درجة العقل.

وقد أشار إلى ذلك أمير المؤمنين عليه السلام في حديث كميل بن زياد ـ كما مرَّ في مباحث الملائكة[3] ـ.

***

---

(١) ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

(٢) ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [الحج: ٥].

(٣) في هامش النسخة ما يلي: «وقد شبّهوا مراتب هذه الآثار في النبات والحيوان والإنسان بنار آثر عنها فحمٌ بالحرارة، وآخر بالتجمّر والتحجّر، وآخر بالإضاءة والإحراق، فيفعل فعل النار وفعل الأولين، وكلّما وقع له الاشتداد صدر عنه فعلٌ آخر، مع ما كان يصدر مما تقدّم عليه (منه ـ ره ـ)».

وقد علمتَ سابقاً أنَّ نفس الإنسان وروحه غير بدنه العنصريّ المحسوس، وإليه أُشير بقوله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾ [المؤمنون: ١٤].

فهذا الخَلق الآخر إنَّما هو من النشأة الأخرى الباقية ـ وهي غير هذه النشأة الدنياويَّة الفانية ـ وهو من روح الله المنفوخ في هذا القالب بعد استعداده له، وهو الغرض الأصلي من هذه الخِلقة والتركيب.

وأمَّا المراتب السابقة عليه فإنَّما خلقت لتكون محلاً له وعشّاً وغلافاً حافظاً، وهو الإنسان بالحقيقة، وإنَّما البدن آلة لتحصيل كمالاته، خارجٌ عن ذاته، فإذا حصل له الكمالات التي كان في استعداده أن تحصل له وصار كاملاً، استغنى عن البدن لا محالة، وانزجر عنه لتوجُّهه دائماً نحو كمال أخروي على التدريج، ورجوعه الطبيعي إلى عالم آخر، وانتقاله قليلاً قليلاً إلى نشأة ثانية، حتَّى إذا بلغ غايته من التجوهر ومبلغه من الاستقلال في الذات انقطع تعلّقه عن البدن بالكليَّة، ورجع إلى عالم أعلى ومحلّ أرفع.

ولهذا يرى الإنسان كلّما كمل عقلُه وازداد في عمره وحصل له تجاربه التي كانت في قوَّته، ازداد في بدنه وهناً وفي قواه كلالاً وضعفاً ـ لاستغنائه عنه شيئاً فشيئاً ـ فكلَّما ازداد الروح حياةً في تحصيل الكمال، ازداد البدن موتاً، إلى أن يحيي هذا كلاً، ويموت هذا كلاً ـ سواء كانت كمالاته مُسعدة أو مُشقية.

فإنَّه كما تكون الحركة الذاتيَّة في السعادة ويكون التكامل فيها كذلك تكون في الشقاوة والازدياد فيها ـ على حسب ما غرز في جبلَّة الروح.

فللإنسان حركةٌ طبيعيَّةٌ ذاتيَّة من لدن نشوئه ووجوده ومبدئه، إلى آخر بعثه ولقاء بارئه ومعاده، وإليها الإشارة بقوله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴾ [الانشقاق: ٦].

والموت والبعث منزلان من منازل هذا الطريق، لا بدَّ من المرور عليهما لا محالة، ولا مفرَّ منهما، فهما ضروريَّان للإنسان: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ

﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨].

﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ [الجمعة: ٨].

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [العنكبوت: ٥٧].

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٦].

ولمّا كان الموت والبعث واقعين في طريق هذه الحركة، وقد رأى الناس ـ في سلوكهم هذا ـ كثيراً من المراتب السابقة عليها بقطعهم إيّاها، ثمَّ ينكرون ما بعد ذلك، قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ معاتباً لهم: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٦٢].

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: ٥ ـ ٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٢ ـ ١٦].

تشابه الإنسان والبذر

قيل: وما أشبه حالُ النفس الإنسانيّة في تقلُّبها في أطوار الخلقة ووقوعها من عالم الفطرة في مزابل الجهّال، ونسيانها عالمها عند الهبوط إلى منازل

الأرذال ـ إلى أن يصل إلى درجة العقل ـ بحال البذر في تقاليب الأطوار ـ إلى أن يبلغ مرتبة الثمار.

فيبتديء أوّله ـ وهو بذرٌ ـ يفسد لبُّه في الأرض ويفني عن ذاته في الأماكن الغريبة، ثم يستحيل بقوّة نامية من حال إلى حال، حتّى ينتهي إلى ما كان أوّلاً ويصل إلى درجة اللبّ الذي كان عليها في بدءِ أمره، مع عدد كثير من أفراد نوعه، وفوائد وأرباح كثيرة حاصلة من سفره ـ من الأوراق والقشور والأشجار والأنوار ـ فيخرج من بين تلك القشور والحشايش لبّاً صافياً بإذن الله، وثمرة صالحة هي نتيجة تلك المقدّمات، ونهاية تلك الأسفار، تكون موجودة باقية ببقاء موجدها ـ مع انفساخ تلك الأمور وزوالها ـ.

الموت حياة أخرى

قد ظهر مما ذكر أنّ الموت ليس أمراً يُعدمنا، بل يُفرّق بيننا وبين ما هو غيرنا وغير صفاتنا اللازمة.

ولهذا ورد في الحديث النبوي ﷺ: «خُلقتم للبقاء، لا للفناء»[١].

وفي لفظ آخر: «خُلقتم للأبد، وإنّما تنقلون من دار إلى دار».

وفي حديث آخر[٢]: «الأرض لا تأكل محلّ الإيمان».

وفي القرآن المجيد: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ

---

(١) قال الصدوق ـ قده ـ في اعتقاداته (باب الاعتقاد في النفوس والأرواح): «واعتقادنا فيها أنها خلقت للبقاء ولم تخلق للفناء، لقول النبيّ ﷺ: ما خلقتم للفناء، بل خلقتم للبقاء، وإنّما تنقلون من دار إلى دار». البحار: ٦/٢٤٩، ح٨٧.

(٢) لم أعثر عليه، وقد أورده الغزالي في الإحياء (كتاب شرح عجائب القلب، بيان الفرق بين المقامين بمثال محسوس، ٣/٣٦) قائلاً: «وإليه أشار الحسن رحمه الله بقوله: التراب لا يأكل محل الإيمان». وقال الزبيدي في شرحه (إتحاف السادة: ٧/٢٥٥): «كما نقله صاحب القوت».

﴿رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧٠].

ونادى النبيُّ [(١)] الأشقياء المقتولين يوم بدر: «يا فلان ويا فلان، قد وجدتُ ما وعدني ربِّي حقًّا، فهل وجدتم ما وعد ربُّكم حقًّا»؟.

ـ ثمَّ قال ـ: «والذي نفسي بيده إنَّهم لأسمع لهذا الكلام منكم، إلاّ أنَّهم لا يقدرون على الجواب».

ومثله عن أمير المؤمنين[(٢)] عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في قتلى وقعة جمل.

وعن ابن عبَّاس في سبب نزول الآية المذكورة ـ قال: ـ قال رسول الله[(٣)] صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «لمَّا أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحَهم في أجواف طيور خُضر ترد أنهارَ الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلَّقة تحت العرش، فلمَّا وجدوا طيب مَأكلهم ومَشرَبهم ومَقيلهم قالوا: «من يبلِّغ إخوانَنا عنَّا أنَّا في الجنَّة نُرزق، لئلاَّ يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عند الحرب»؟ فقال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: «أنا أُبلِّغهم عنكم» فنزلت الآية.

---

(١) راجع السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٦٣٩.

(٢) راجع أيضاً ما أورده الشيخ المفيد في شرح اعتقادات الصدوق ـ قدس سرهما ـ: «باب النفوس والأرواح»، ١٩٠. عنه البحار: ٦/ ٢٥٥.

(٣) دلائل النبوة: باب قول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟﴾: [آل عمران: ٣٠٤].
أبو داود: كتاب الجهاد، باب في فضل الشهادة: ٣/ ١٥، ح٢٥٢٠. المستدرك للحاكم: ٢/ ٢٩٧. وأورده السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٧١، تفسير الآية) عن أحمد وهناد وعبد بن حميد وأبو داود وابن جرير وابن المنذر والحاكم والبيهقي.
وقد ورد عن أهل البيت عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ إنكار هذا المعنى، فجاء في حديث (الكافي: كتاب الجنائز، باب آخر في أرواح المؤمنين: ٣/ ٢٤٥، ح٦) عن يونس بن ظبيان، عن الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «ما يقول الناس في أرواح المؤمنين»؟ فقلت: «يقولون: تكون في حواصل طيور خضر في قناديل تحت العرش». فقال أبو عبد الله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «سبحان الله ـ المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحه في حوصلة طير...». وجاء ما يقرب منه في أمالي الطوسي: المجلس الرابع عشر، ح٩٠، ٤١٨ ـ ٤١٩. وفي حديث آخر (الكافي: نفس الباب): «لا ـ إذا ما هي في حواصل طير...».

ـ كذا في شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني رحمه الله ـ[1].

وكيف تعدم النفوس[2] وقد جعل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ بواجب حكمته في طبايعها محبَّة الوجود والبقاء، وجعل في جبلَّتها كراهةَ العدم والفناء، لكون الوجود خيراً صرفا ونوراً محضاً، وبقاؤه خيريَّة الخير ونوريَّة النور، وقد ثبت وتيقّن أنَّ بقاءَها ودوامَها في هذه النشأة الحسيَّة أمرٌ مستحيلٌ ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [النساء: ٧٨].

فلو لم يكن لها نشأة أخرى تنتقل هي إليها، لكان ما ارتكز في طبايعها وأودع في جبلَّتها من محبَّة البقاء الأبديِّ والحياة السرمديَّة باطلاً ضائعاً ـ تعالى الله عن ذلك ـ.

وأمَّا كراهيَّة النفس بموت الجسد، الذي هو عائق عن حياتها السرمديَّة وبقائها الأبدي، مع ما ارتكز فيها من التوجُّه الجبلِّي إلى الدار الآخرة والحركة الذاتيَّة إليها:

فقد قيل: إنَّ السبب فيها أمران: فاعليٌّ وغائيٌّ:

أمَّا الفاعليُّ: فهو أنَّ النفس لها نشآتٌ ثلاثة: حسيَّة وخياليَّة وعقليّة:

فأوّل نشآتها نشأة الحسّ، ولها الغلبة على الإنسان ما دامت هذه الحياة الحسيَّة باقية له، فيجري أحكامُها على النفس في هذه الدار، ويؤثِّر فيها من هذه الجهة كلُّ ما يؤثِّر في الجوهر الحاسّ وفي الحيوان الحسِّي من الملايمات والمنافرات الحسِّية، ولهذا تتضرّر وتتألّم بتفرُّق الاتصال وبالاحتراق بالنار وساير المنافيات الحسيَّة، لا من حيث كونها جوهراً ناطقاً وذاتاً عقليّة ذات نشأة روحانيّة وعالم ملكوتي، بل من حيث كونها جوهراً حسَّاساً ذا نشأة حسيَّة وعالم

(١) نهج البلاغة، شرح ابن ميثم البحراني: شرح الفصل الثالث من الخطبة الرابعة والثمانين، ٢/ ٣٠٢.

(٢) اقتباس من المبدء والمعاد: ٤٥٦ ـ ٤٥٨. الأسفار الأربعة: ٩/ ٢٤١.

دنياويّ، فتوحشُّها من الموت البدنيّ وكراهتها للعدم الحسّي إنَّما يكون لها بحصَّة من هذه النشأة الحسيّة.

وأمَّا ما يقتضيه العقل التامّ وقوّة الباطن وغلبة سلطان الملكوت والتشوّق إلى الله ـ تعالى ـ ومجاورة مقرَّبيه: فهو محبَّة الموت الطبيعي، والوحشة عن حياة هذه النشأة، ومشاهدة حيوانات الدنيا، فإنَّ وحشة أهل الباطن عن مجاورة أحياء هذا العالم أشدُّ من وحشة الإنسان الحيِّ عن مجاورة الأموات بكثير.

ومن هنا قال أمير المؤمنين[1] عليه السلام حين ضربه ابن ملجم: «فُزتُ وربِّ الكعبة».

وأمَّا السبب الغائي في ذلك: فهو أنَّ إرادة الله ـ سبحانه ـ وقصده في إيداع الألم في جبلَّة الحيوانات والوجع والخوف في طباعها عمَّا يلحق أبدانها من الآفات والعاهات ـ وخصوصاً الموت ـ إنَّما هو للحثِّ لنفوسها على حفظ أبدانها وكلاءة أجسادها من الآفات العارضة لها، إذ الأجساد لا شعور لها في ذاتها، ولا قدرة على جرِّ منفعة لها ولا رفع مضرَّة، فلو لم يكن ذلك، لتهاونت النفوسُ بالأجساد وخذلتها، وأسلمتها إلى المهالك قبل حلول آجالها وتحصيلها لنشأة أخرى وعمارتها للباطن، وذلك ينافي المصلحة الكليَّة، والحكمة الأزليّة.

كل نفس ذائقة الموت

الموت لا ينجو منه إلا الله الحي القيُّوم، الذي خلق الموتَ والحياةَ، يحيي ويميت، ويميت ويحيي، وهو حيٌّ لا يموت، وكلّ ما سواه فهو ميِّت لا محالة لا مفرّ له من الموت، ولا بدَّ له منه.

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب: فصل في مسابقته عليه السلام باليقين والصبر، ٢/١١٩. وفصل في مقتله: ٣/٣١٢. عنه البحار: ٤١/٢، ح٢. و٤٢/٢٣٩، ح٤٥.

قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له طويل[1]:

«وإنّه ـ سبحانه ـ يعودُ بعد فناءِ الدنيا وحدَه لا شيء معه، كما كان قبل ابتدائها كذلك يكون بعد فنائِها، بلا وقت ولا مكان، ولا حيِّز ولا زمان، عَدِمت عند ذلك الآجال، وزالت السنون والساعات، فلا شيء إلا الواحد القهّار، الذي إليه مصيرُ جميع الأمور».

وفي كتاب الحسين بن سعيد الأهوازي[2]، عن فضالة[3]، عن أبي المغرا[4] قال حدَّثني يعقوب الأحمر[5] قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام نُعزِّيه[6] بإسماعيل[7]، فترحَّم عليه، ثمَّ قال:

«إنَّ الله ـ تعالى ـ عزَّى نبيَّه بنفسه، فقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، وقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [الانبياء: ٣٥].

ثمَّ أنشأ يحدِّث فقال: «إنَّه يموت أهلُ الأرض حتَّى لا يبقى أحدٌ، ثمَّ يموت أهل السماء حتَّى لا يبقى أحدٌ إلاّ ملك الموت، وحملةُ العرش وجبرئيلُ وميكائيلُ، فيقال له[8]: «قل لجبرئيل وميكائيل فليموتا».

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٨٦، مع فروق يسيرة.

(٢) الزهد للأهوازي: باب (١٤) ذكر الموت والقبر: ٨٠، ح٢١٦.
وجاء ما يقرب منه في الكافي: ٣/٢٥٦، ح٢٥. البحار: ٦/٣٢٩، ح١٤.

(٣) قال النجاشي (٣١١، رقم ٨٥٠): «فضالة بن أيوب الأزدي، عربي صميم، سكن الأهواز، روى عن موسى بن جعفر عليه السلام، وكان ثقة في حديثه مستقيماً في دينه».
راجع تنقيح المقال: رقم ٩٤٤٦.

(٤) قال النجاشي (١٣٣، رقم ٣٤٠): «حميد بن المثنى، أبو المغرا، العجلي، مولاهم، روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليه السلام، كوفي ثقة ثقة».

(٥) من أصحاب الصادق عليه السلام، لم يرد توثيقه، راجع تنقيح المقال: رقم ١٣٢٦٤.

(٦) المصدر: أعزيه.

(٧) اسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام، توفي في حياة أبيه.

(٨) أسقط المؤلف هنا شطراً من الحديث تلخيصاً، ففي المصدر: =

فيقول حملةُ العرش[1]: «يا ربِّ رسولاك وأميناك»[2].

فيقول - تبارك وتعالى -: «إنّي قد قضيت على كلِّ نفس فيها الروح أن تموت».

ثمَّ يجيء ملكُ الموت حتَّى يقف بين يدي الله - عزَّ وجلَّ - فيقال له: «من بقى»؟ - وهو أعلم - فيقول: «يا ربِّ لم يبق غير ملك الموت وحَمَلَة العرش». فيقال له: «قل لِحملة العرش فليموتوا».

ثمَّ يجيى ملك الموت - لا يرفع طرفَه - فيقال له: «مَن بقى»؟

فيقول: «يا ربِّ لم يبق غير ملك الموت».

فيقول: «مت - يا ملك الموت»، فيموت.

ثمَّ يأخذ الأرض بشماله والسماوات بيمينه، فيهزُّ بهنَّ[3] هزًّا مرَّات، ثمَّ يقول: «أين الذين كانوا يدعون معي شركاء؟ أين الذين كانوا يدعون معي إلهاً آخر»؟

وفي الكتاب المذكور[4] عن عبيد بن زرارة[5] قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام، يقول:

= «ثمّ يجيء ملك الموت حتى يقف بين يدي الله عزّ وجلّ، فيقال له: من بقي؟ - وهو أعلم - فيقول: يا ربّ - لم يبق إلا ملك الموت وحملة العرش وجبرئيل وميكائيل. فيقال له: قل لجبرئيل و. . . .».

(١) المصدر: فيقول الملائكة عند ذلك.

(٢) في النسخ: «رسوليك وأمينيك» والتصحيح من المصدر.

(٣) المصدر: فيهزهن.

(٤) الزهد: باب (١٧) الحشر والحساب والموقف، ٩٠، ح٢٤٢.
وجاء ما يقرب منه في تفسير القمي، تفسير قوله تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، ٢/ ٢٦٠، عنهما البحار: ٦/ ٣٢٦ - ٣٢٧، ح٣.

(٥) عبيد بن زرارة بن أعين الشيباني، قال النجاشي (٢٣٣/رقم ٦١٨): «ثقة ثقة عين لا لبس فيه ولا شك».

«إذا أمات الله أهلَ الأرض، ثمَّ أمات أهلَ السماء الدنيا، ثمَّ أمات أهلَ السماء الثانية، ثمَّ أمات أهلَ السماء الثالثة، ثمَّ أمات أهلَ السماء الرابعة، ثمَّ أمات أهلَ السماء الخامسة، ثمَّ أمات أهلَ السماء السادسة، ثمَّ أمات أهلَ السماء السابعة، ثمَّ أمات ميكائيلَ ـ قال: أو جبرئيل ـ ثم أمات جبرئيل، ثمَّ أمات إسرافيل، ثمَّ أمات ملكَ الموت، ثمَّ نفخ في الصور وبعث».

قال: ـ «ثمَّ يقول الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦] فيردُّ على نفسه فيقول: «لله الخالق الباريء المصوِّر ـ ويقال: لله الواحد القهّار ـ»[١] ثمَّ يقول: «أين الجبَّارون، أين الذين كانوا يدعون معي إلهاً آخر، أين المتكبِّرون» ـ ونحو هذا ـ ثمَّ يبعث الخلق»[٢].

---

(١) كذا في النسخ: وفي المصدر «لله الخالق البارىء المصور وتعالى الله الواحد القهار». وجاء في تفسير القمي: «فيرد على نفسه: لله الواحد القهار، أين الجبارون. . .».

(٢) جاء هنا في المطبوعة القديمة فصلاً لا يوجد في النسخة، ويظهر أنه مما كتبها المؤلف ـ قده ـ ثم أعرض عنه وأسقط الورقة المكتوبة من النسخة، ونورده عنها تتميماً:
وفي الأخبار العامية في حديث إسرافيل:
فإذا انقضت مدَّة الدنيا يدنو الصور إلى جهة إسرافيل، فيضمُّ إسرافيل أجنحته الأربعة ثمَّ ينفخ في الصور، ويجعل ملكُ الموت إحدى كفَّيه تحت الأرض السابعة فيأخذ أرواح أهل السماوات والأرض، ولا يبقى في الأرض إلاّ إبليس، وفي السماء إلاّ جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، وهم الذين استثنى الله بقوله: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨]. ـ وسنذكر تمام حديث الصور والنفخات ـ إن شاء الله ـ.
ـ ويقال: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ إثنتا عشر نفساً: هذه الأربعة وثمانية حملة العرش ـ. فيبقى الدنيا بلا إنس ولا جنٍّ ولا حيوان ولا وحش، ثمَّ يقول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: «يا ملك الموت ـ إنّي خلقت لك بعدد الأولين والآخرين أعواناً، وجعلت لك قوَّة أهل السماوات والأرضين، وإنّي ألبسك اليوم أثوابَ الغضب، فأنزل بغضبي وسطواتي إلى إبليس، فأذقه الموتَ، وأحمل عليه مرارة الأوَّلين والآخرين من الجنِّ والإنس أضعافاً مضاعفة، وليكُن معك من الزبانية سبعين ألفاً، مع كلّ زبانية سلسلة من سلاسل اللظى». وينادى: «يا مالك ـ افتح أبواب النيران». فينظر ملك الموت بصورة لو نظر أهلَ السماوات السبع والأرضين السبع لماتوا كلّهم، فينتهي إلى إبليس ويزجره زجرة، فإذا هو قد ضعف، وله =

من يتوفى الأنفس

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ [الزمر: ٤٢].

هو ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ ﴾ [الملك: ٢].

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾ [غافر: ٦٨].

= خرخرة لو سمع أهلُ السماوات والأرضين لصعقوا من تلك الخرخرة، وملك الموت يقول: «قِف يا خبيث، لأذيقنَّك الموت، كم من عمرك أدركت، وكم من قرن أضللت».

- قال: - فيهرب إلى المشرق، فإذا هو عنده واقف، وإلى المغرب، فإذا هو عنده، فلا يزال إلى حيث يهرب، ثمَّ يقوم إبليس في وسط الدنيا عند قبر آدم عليه السلام ويقول: «يا آدم من أجلك صرتُ رجيماً ملعوناً مطروداً». فيقول: «يا ملك الموت بأيّ كأس تسقيني، وبأيّ عذاب تقبض روحي»؟ فيقول: «بكأس اللظى والسعير». وإبليسٍ يقع في التراب مرَّة مرَّة، حتَّى يقع في الموضع الذي أُهبط فيه ولُعن، ويضربه الزبانيةُ بكلاليب يخدشونه ويطعنونه، ويبقي في النزع وفي شدَّة الموت ما شاء الله.

ثمّ يأمر الله - تعالى - ملكَ الموت أن يفني البحار كلّها كما قال الله: ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [القصص: ٨٨]. فيأتي ملك الموت إلى البحار، فيقول: «قد انقضت مدَّتك».

فيقول: «ائذن لي حتَّى أنوحَ على نفسي، أين أمواجي، وأين عجائبي، قد جاء أمر الله».

فيصيح عليها ملك الموت صيحة، فكان ماؤها كأن لم يكن.

ثمَّ يأتي إلى الجبل، فيقول: «ائذن لي حتَّى أنوح على نفسي». فيقول: «أين صعودي وقوَّتي، وقد جاء أمر الله»؟ فيصيح عليها صيحة فيذوب.

ثمَّ تأتي الأرض، فيقول: «ائذن لي حتّى أنوح على نفسي»، فيقول: «أين ملوكي وأشجاري وأنهاري وأنواع نباتي»؟ فيصيح عليها صيحة فتصاعدت حيطانها وغارت مياهها. ثمَّ يصعد إلى السماء، فيصيح إلى السماء صيحة، فكسفت الشمس والقمر وتناثرت النجوم.

ثمَّ يقول الله: «يا ملك الموت - هل بقي من خلقي»؟

فيقول: «يا إلهي أنت الحيّ الذي لا يموت، وبقي جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وحملة العرش، وأنا العبد الضعيف». فيقول: «اقبض روحَهم».

فيقبض روحَهم. ثمَّ يقول: «يا ملك الموت - ألم تسمع قولي: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥]؟ وأنت خلقٌ من خلقي، خلقتك للموت، مُت»، فيموت.

وفي خبر آخر: «إذهب ومُت بين الجنَّة والنار، ولا يبقى شيء غير الله، فيبقى الدنيا خرابا ما شاء الله.

﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٨].

إلاّ أنَّه سبحانه فوَّضَ في عالم الشهادة كلَّ نوع من أنواع الأعمال إلى ملك من الملائكة، ففوَّض قبضَ الأرواح إلى ملك الموت:

﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ [السجدة: ١١].

وهو رئيس، وتحته خَدمٌ وأتباع، هم رسل الله:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ [الانعام: ٦١]. ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ [النحل: ٢٨]. ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ﴾ [الانعام: ٩٣].

وعن مولانا الصادق عليه السلام[1]: «إنَّ الله جعل لملكِ الموت أعواناً من الملائكة، يقبضون الأرواحَ، . . . فيتوفَّاهم الملائكة، ويتوفَّاهم ملكُ الموت منهم مع ما يقبض هو، ويتوفَّاها الله ـ تعالى ـ من ملك الموت».

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم[2]: حدَّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن هشام: عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لمَّا أسري بي إلى السماء، رأيت ملكاً من الملائكة بيده لوحٌ من نور ـ لا يلتفت يميناً ولا شمالاً ـ مقبلاً عليه به كهيئة الحزين، فقلت: «من هذا ـ يا جبرئيل»؟

فقال: «هذا ملك الموت، مشغولٌ في قبض الأرواح».

---

(١) من لا يحضره الفقيه: باب غسل الميت، ١٠/١٣٦، ح٣٦٨، مع فروق وإضافات.

(٢) تفسير القمي: تفسير الآية، ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ﴾، [السجدة: ١١].
وأورده بالتفصيل في سورة الإسراء أيضاً: ٢/٦.
عنه البحار: ٦/١٤١، ح٢، ٥٩/٢٤٩، ح٢.

فقلت: «أدنني منه ـ يا جبرئيل ـ لأكلّمه» فأدناني منه، فقلت له: «يا ملك الموت ـ أكلُّ مَن مات أو هو ميِّت فيما بعد، أنت تقبض روحَه»؟

قال: «نعم».

قلت: «وتحضرهم بنفسك»؟

قال: «نعم، ما الدنيا كلُّها عندي ـ فيما سخّره الله لي ومكّنني منها ـ إلا كدرهم في كفِّ الرجل، يقلِّبه كيف يشاء، وما من دار في الدنيا إلا وأدخلها في كلّ يوم خمس مرّات، وأقولُ إذا بكى أهل البيت على ميّتهم: لا تبكوا عليه، فإنَّ لي إليكم عودةً وعودةً، حتّى لا يبقى منكم أحد».

قال رسول الله ﷺ: «كفى بالموت طامّة ـ يا جبرئيل».

فقال جبرئيل: «ما بعد الموت أطمُّ وأعظم من الموت».

وفي خبر[1]: إنَّ ملك الموت وملك الحياة تناظرا، فقال ملك الموت: «أنا أميت الأحياء»، وقال ملك الإحياء: «أنا أحيي الموتى». فأوحى اللهُ إليهما: «كونوا على عملكما وما سُخّرتما له من الصُنع، وأنا المميتُ والمحيي، لا مميت ولا محيي سواي».

ولغموض هذه المسألة ودقّتها قال أمير المؤمنين عليه السلام في جواب من سأله عن اختلاف الآيات في متوفّى الأنفس[2]:

---

(١) أورده أبو طالب المكي (قوت القلوب: شرح مقام التوكل، ٢/١٣) قائلاً: وفي بعض الأخبار: إنّ ملك الموت وملك الحياة تناظرا...».
وأورده الغزالي بلفظه في الإحياء: كتاب التوحيد والتوكل، بيان حقيقة التوحيد الذي هو أصل التوكل، ٤/٣٧٥.
وقال العراقي في تخريجه (ذيل الطبعة القديمة من الإحياء، ٤/٢٥٧): «لم أجد له أصلاً».
وقال الزبيدي (إتحاف السادة: ٩/٤٢٧): «هكذا نقله صاحب القوت مصدّراً بقوله «وفي بعض الأخبار»، وكأنه يعني به الإسرائيليات».

(٢) التوحيد: باب الردّ على الثنويّة: ٢٦٨، مع فروق يسيرة. =

«وليس كلُّ العلم يستطيع صاحبُ العلم أن يفسّره لكل الناس، لأنَّ فيهم القويُّ والضعيف، ولأنَّ منه ما يطاق حملُه، ومنه ما لا يطيق حمله إلا من سهَّل عليه حملَه، وأعانه عليه، من خاصَّة أوليائه، وإنَّما يكفيك أن تعلم أنَّ الله المحيي والمميت، وأنَّه يتوفَّى الأنفس على يدي مَن يشاء من خلقِه من ملائكته وغيرهم» ـ رواه في التوحيد ـ.

وفي بعض الأخبار أنّه ليس لملك الموت ولا لأعوانه عند قبض الأرواح صورةٌ خاصّةٌ وهيئةٌ واحدةٌ دائماً لا تتبدَّل، بل يتصوَّر لكلّ أحد بصورة تناسب معتقَده وأعماله: إن كان مؤمناً مستبشراً بلقاء الله، راضياً بالموت ليصل إليه، فبصورة حسنة جداً، حتَّى لو لم يلق إلا صورتَه كان حسبه. وإن كان فاجراً، معرِضاً عن لقاء الله، راضياً بالحياة الدنيا، مطمئنّاً بها، فبصورةٍ قبيحةٍ كريهة جداً، حتَّى لو لم يلق إلاّ صورته كان حسبه.

وروي[1] عن إبراهيم الخليل عليه السلام أنَّه لقي ملكاً فقال له: «مَن أنت»؟

فقال: «أنا ملك الموت».

فقال: «أتستطيع أن تُريني الصورةَ التي تقبض فيها روحَ المؤمن».

قال: «نعم، أعرض عنّي»، فأعرض عنه، فإذا هو شابٌّ، فذكر من حسنه وثيابه وطيب ريحه، فقال: «يا ملك الموت ـ لو لم يلق المؤمن من البشرى إلاّ حسْن صورتك لكان حسْبه».

قال: فهل تستطيع أن تُريني الصورةَ التي تقبض فيها روحَ الفاجر»؟ فقال:

= عنه البحار: ٦/ ١٤٢ ـ ١٤٣، ح٦.

(١) جامع الأخبار: الفصل الخامس والثلاثون والمئة، ح٣، ٤٨٥. إحياء علوم الدين: كتاب ذكر الموت، في سكرات الموت وشدته. . .، ٤/ ٦٧٤.
وأخرج أحمد (الزهد، زهد إبراهيم الخليل صلى الله عليه، ٧٩): لما توفي إبراهيم عليه السلام لقي الله عز وجل، فقيل له: يا إبراهيم كيف وجدت الموت؟ قال: يا رب وجدت نفسي تنزع بالبلاء، فقيل: فقد هونا عليك».

«لا تطيق ذلك». فقال: «بلى».

قال: «فأعرض عنّي»، فأعرض عنه، ثمَّ التفت إليه، فإذا هو رجلٌ أسودُ قائم الشَعر، منتن الريح، أسود الثياب، تخرج من فيه ومناخره النار والدخان، فغُشي على إبراهيم عليه السلام، ثمَّ أفاق وقد عاد ملكُ الموت إلى حاله الأول، فقال: «يا ملك الموت ـ لو لم يلق الفاجر عند موته إلا هذه الصورة لكفته».

قال بعض العارفين[1]:

«إنّ قابض روح الأرض هي النفس النباتيَّة التي هي كلمة فعَّالةٌ وقوةٌ من قوى ملائكة مؤكلة على أديم الأرض، شأنُها إحالة الأرض، فتسلخ عنها الصورَ الأرضيّة ليعوِّض عنها بأحسن صورة وأطهر كسوة.

وكذلك قابضُ روح النبات ومتوفِّيه ورافعُه إلى سماء الحيوانية هي النفس المختصَّة بالحيوان، وهي من أعوان الملائكة المؤكَّلة بإذن الله لهذا الفعل، باستخدام القوى الحسَّاسة والمحرِّكة.

وكذلك قابضُ روحِ الحيوان ومتوفِّيه ورافعُه إلى سماء الدرجة الإنسانيّة هي النفس المختصَّة بالإنسان، وهي كلمة الله المسمَّى بالروح القدسي، الذي شأنه إخراج النفوس من القوَّة الهيولانيَّة إلى العقل المستفاد بأمر الله، وإيصال الأرواح إلى جوار الله وعالم الملكوت الأخروي ـ وهم المرادون بالملائكة والرسل[2].

وأمَّا الإنسان بما هو إنسان، فقابضُ روحه ملك الموت:

﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾ [السجدة: ١١].

---

(١) أورده في عين اليقين (٤٢٥) أيضاً حاكياً عن بعض العلماء، ولم أعثر على قائله.

(٢) أضيف هنا في عين اليقين: في قوله عزّ وجلّ: ﴿إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [محمد: ٢٧] و﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾ [الأنعام: ٩٣] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الانعام: ٦١].

وأما المرتبة العقليّة: فقابضُها هو الله ـ سبحانه ـ:

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [آل عمران: ٥٥] ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ [المجادلة: ١١].

ففي هذه التحويلات كانت كلُّ مرتبة لاحقة أشرف من سابقتها، ولم يكن للمنتقل من الحالة السابقة إلى اللاحقة حسرةً وندامةً على زوال النشأة الأولى، بل إن كانت ففي أمر آخر. والقابضُ للروح بعينه هو القابضُ لأجزاء البدن، ولهذا اختلفت الروايات في ذلك ـ أيضاً ـ:

ففي بعضها[(١)]: «إنَّ الجامع لأجزاء بدن آدم هم الملائكةُ».

وفي بعضها[(٢)]: «إن الآخذ لتراب قالبه هم رسل الله، ليكون لهم الرسالة إلى عباده».

وفي بعضها[(٣)]: «إنّ ملك الموت أخذ قبضةً من التراب».

وفي بعضها[(٤)]: «إنّ الله ـ سبحانه ـ قبض بيده قبضةً من أديم الأرض».

فهذه الروايات محمولة على المراتب المذكورة.

---

(١) في علل الشرايع (باب١، ح١، ١/٢): «... إن الله تعالى بعث جبرئيل عليه السلام، وأمره أن يأتيه من أديم الأرض بأربع طينات... ثمّ أمره أن يأتيه بأربع مياه...». عنه البحار: ١١/١٠٢، ح٧.

(٢) لم أعثر عليه.

(٣) علل الشرايع: باب (٣٨٥) نوادر العلل، ح٩، ٢/٥٧٩، عنه البحار: ١١/١٠٣، ح٩. راجع أيضاً تفسير الطبري: ١/١٦٠، تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾ [البقرة: ٣٠]. الدر المنثور: ١/١١٥ ـ ١١٦.

(٤) حكى في البحار (١١/١١٦، ح٤٦) عن تفسير العياشي: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله تبارك وتعالى قبض قبضة من طين فخلطها بيمينه ـ وكلتا يديه يمين ـ فخلق منها آدم...». وفي الدر المنثور (١/١١٥): «إن الله آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض...».

أقول[1]: اللبيب يتفطَّن من هذه البيانات أنَّ للإنسان في كلِّ نَفَس موتاً، جديداً وبعثاً منه، وحشراً إلى ما بعده، وأنَّ عددَ الموت والبعث والحشر كثيرٌ لا يحصى، بل هي بعدد الأنفاس ـ كما قيل ـ.

وذلك لما دريت أنَّ له انتقالاتٌ وتحوّلاتٌ ذاتيَّة من لدن حدوثه الطبيعيَّة إلى آخر نشأته الطبيعيَّة، ثمَّ منها إلى آخر نشأته النفسانيَّة، وهلمَّ جرًّا إلى آخر نشأته العقليَّة.

* * *

الموت هو القيامة الصغرى

قال بعض العلماء[2]:

«الموت هو القيامة الصغرى. ففي الحديث[3]: «الموت القيامة، من مات فقد قامت قيامته». وكلُّ ما في القيامة الكبرى فله نظيرٌ في الصغرى، إذ القيامة الكبرى عبارةٌ عن موت جميعِ أفراد العالم الكبير، وكلّ ما في العالم الكبير له نظيرٌ في العالم الصغير، وكلُّ ما يكون هناك يكون هنا.

فإذا انهدَّ بالموت بدنُك ـ وهو أرضك الخاصّ بك ـ فقد ﴿ زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١].

---

(١) راجع عين اليقين: ٤٢٥.

(٢) ملخص ومقتبس مما أورده الغزالي في الإحياء: كتاب الصبر والشكر، بيان حقيقة الصبر ومعناه: ٤/ ٩٤ ـ ٩٧.

(٣) قال العراقي (ذيل الإحياء، الطبعة القديمة: ٤/ ٤٩٥): «أخرجه ابن أبي الدنيا في الموت بإسناد ضعيف». وقال الزبيدي (إتحاف السادة: ٩/ ١١): «... وعند ابن لال في مكارم الأخلاق والديلمي من حديث أنس: «إذا مات أحدكم فقد قامت قيامته...» وروى العسكري في الأمثال من حديث أنس: «... الموت القيامة، إذا مات أحدكم فقد قامت قيامته...» وفيه «داود بن المحبر» كذاب... وروى الطبراني من طريق زياد بن علاقة، عن المغيرة بن شعبة، قال: «يقولون: القيامة القيامة، وإنما قيامة المرء موته.».

وإذا رمّت عظامك ـ وهي جبال أرضك ـ وقد ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الحاقة: ١٤].

فقد نسفت جبالك ﴿نَسْفًا﴾ [طه: ١٠٥].

وإذا أظلم قلبُك عند النزع ـ وهو شمس عالَمك ـ فقد ﴿كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١] شمسُك.

وإذا بطلت حواسُّك فقد ﴿ٱنكَدَرَتْ﴾ [التكوير: ٢] نجومك.

وإذا انشقَّ دماغك فقد ﴿ٱنشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١] سماؤك.

وإذا انفجرت من هول الموت عيناك وفاض عرقُ جبينك فقد ﴿فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ٣] بحارك.

وإذا تفرَّقت قواك وانتشرت جنودك فقد حُشرت وُحوشك.

فإذا فارق روحُك وقواه عن البدن فمُدَّت أرضُك ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ [الانشقاق: ٤].

فبمجرَّد الموت تقوم عليك هذه القيامة، بل لا يفوتك من القيامة الكبرى شيء ممّا يخصّك، بل ما يخصّ غيرك، فإنَّ بقاء الكواكب في حقّ غيرك ماذا ينفعك، وقد انتثرت حواسُّك التي بها تنتفع بالكواكب.

والأعمى يستوي عنده الليل والنهار وكسوف الشمس وانجلاؤها ـ لأنَّه قد كسفت في حقِّه دفعة واحدة ـ وهي حصّته منها، فالإنجلاء بعد ذلك حصَّة غيره.

ومن انشقَّ رأسُه فقد انشقَّت سماؤه، إذ السماء عبارةٌ عمَّا يلي جهةَ الرأس، فمَن لا رأس له فمِن أين ينفعه بقاءُ السماء لغيره؟

وكذلك من تزلزل بدنُه فقد حصلت الزلزلة في حقّه، لأنَّه إنَّما يتضرَّر عند زلزلة جميع الأرض بزلزلة مسكنه ـ لا بزلزلة مسكن غيره ـ وإنَّما يخاف من زلزلة مسكنه أن يتزلزل بدنُه بسببه، وإلاّ فالهواء أبداً متزلزلٌ وهو لا يخشاه،

إذ ليس يتزلزل به بدنُه ـ فافهم ـ.

شدة نزول الموت وسكراته

الموت داهيةٌ من الدواهي العُظمى، وما بعد الموت أعظم وأدهى.

قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾ [الاحزاب: ١٠]، ﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ [الاحزاب: ١١]، يعني من شدَّة النزع، فإنَّ الرئة تنتفخ من شدَّة الروع، فيرتفع القلب بارتفاعها إلى رأس الحنجرة ـ وهي منتهى الحلقوم، مدخل الطعام والشراب.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام[1]: «إنَّ للموت لغمرات، هي أفظع من أن يستغرق بصفة، أو تعتدل على عقول أهل الدنيا».

وقال الصادق عليه السلام[2]: «إنَّ بين الدنيا والآخرة ألف عقبة، أهونها وأيسرها الموت».

وفي الحديث القدسيّ: «ما تردَّدت في شيء أنا فاعلُه، كتردُّدي في قبض روح عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مسائته له، ولا بدَّ له منه».

وعن النبيّ[3] صلى الله عليه وآله: «لسكرةٌ مِن سكرات الموت أشدُّ من ثلاثمأة ضربة بالسيف».

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٢٢١، أولها: «يا له مراماً ما أبعده...». البحار: ٧٧/ ٤٣٧، ح٤٩ و٨٢/ ١٥٨، ح١، ٨٢/ ١٥٨.

(٢) الفقيه: باب غسل الميت ١/ ١٣٤، ح٣٥٩.

(٣) أورد الغزالي في الإحياء (كتاب ذكر الموت وما بعده، ٤/ ٦٧٢): «وعن الحسن أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ذكر الموت وغصّته وألمه، فقال: هو قدر ثلاثمئة ضربة بالسيف». وقال العراقي في تخريجه (المغني، ذيل الإحياء الطبعة القديمة: ٤/ ٤٦٢): «أخرجه ابن أبي الدنيا فيه هكذا مرسلاً، ورجاله ثقات».

الوجه في ذلك[1] أنَّ المدرِك للألم هو النفس بتوسُّط الروح الحيواني، فمهما أصابَ العضوَ الذي فيه الروح جرحٌ أو حرقٌ سرى الأثرُ إلى الأجزاء، فلا يصيب الروحَ إلاّ بعض الأثر، وألم النزع يهجم على نفس الروح ويستغرقه، حتى لم يبق جزءٌ من أجزاء الروح المنتشرة في أعماق البدن إلاّ وقد حلَّ به الألمُ، لأنَّه ينزع ويجذب من كلّ عِرق وعصب وجزء ومفصل، ومن أصل كلّ شعرة وبشرة، من القرن إلى القدم. فالكرب يبالغ فيه ويتصاعد على قلبه ويغلب على كلّ موضع منه، فلا يترك له قوّة استغاثة.

أمَّا العقل فيغشيه ويشوّشه، وأمَّا اللسان فيبكمه، وأمَّا الأطراف فيضعفها وينتشر الألم في داخله وخارجه، وهو يظنُّ أنّ بطنه مُلئت شوكاً، وكأنَّما نفسه تخرج من ثقب إبرة، وكأنَّما السماء منطبقة على الأرض وهو بينهما.

ومثَّله بعض الصحابة بغصن كثير الشوك أُدخل في جوف رجل[2]، فجذبه إنسانٌ شديد البطش ذو قوَّة، فقطع ما قطع، وأبقى ما أبقى[3].

وعند ذلك يرشح جبينُه، وتدور عيناه، وترتفع أضلاعه، ويعلو نفَسه، ويصفرُّ لونه، ويتقلَّص لسانُه إلى أصله، ويرتفع أُنثياه إلى أعالي موضعهما، وتخضرُّ أنامله. ثمَّ يموت كلُّ عضو من أعضائه تدريجاً: فتبرد أوّلاً قدماه، ثمَّ فخذاه، ولكلِّ عضو سكرةٌ بعد سكرة، وكربةٌ بعد كربة، حتَّى يبلغ بها إلى الحلقوم، فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها، وينكشف له ما لم يكن

---

(١) مقتبس مما جاء في الإحياء: كتاب ذكر الموت، في سكرات الموت وشدته...: ٤/ ٦٧٠.

(٢) أضيف في الإحياء: فأخذت كل شوكة بعرق.

(٣) نسبه الغزالي (الإحياء، الباب المذكور: ٤/ ٦٧٣) إلى كعب الأحبار.
وقال الزبيدي (إتحاف السادة: ١٠/ ٢٦٣): «هذا لفظ ابن أبي شيبة في مسنده. ورواه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٤٤، ترجمة كعب الأحبار)، فقال: ...إن عمر قال لكعب: أخبرني عن الموت؟ قال: يا أمير المؤمنين ـ هو مثل شجرة كثير الشوك في جوف ابن آدم، وليس منه عرق ولا مفصل إلا وفيه شوك، ورجل شديد الذراعين، فهو يعالجها، ينزعها...».

مكشوفاً في الحياة الدنيا ـ كما ينكشف للمتيقِّظ ما لم يكن مكشوفاً له في النوم ـ.

و«الناس نيامٌ فإذا ماتوا انتبهوا»[1].

وأوّل ما ينكشف له ما يضرّه وينفعه من علومه وإدراكاته الحقَّة أو الباطلة، وحسناته وسيّئاته، وقد كان ذلك مسطوراً في كتاب مطويٍّ في سرِّ قلبه ـ كما نَصِفه فيما بعد ـ وكان يشغله عن الإطّلاع عليه شواغلُ الدنيا، فيبدو له حينئذ، كما قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧]. فلا ينظر إلى اعتقاد باطل أو سيِّئة إلاّ ويتحسَّر عليها، تحسُّراً يودُّ أن يخوض غمرة النار للخلاص منه، وتشتعل فيه نيران الفراق ـ أعني فراق ما كان يطمئنُّ إليه من هذه الدنيا الفانية، من مال أو جاه أو عقار، حتَّى قميص كان يلبسه مثلاً ويفرح به، دون ما أراد منها لأجل الزاد والبُلغة، فإنَّ ذلك يفرح بمفارقته لبلوغه المقصد ـ.

فإن لم يكن فرحُه إلاّ بذكر الله ولم يأنس إلاّ به، عظم نعيمُه وتمَّت سعادتُه، إذ خلّي بينه وبين محبوبه، وقطعت عنه العوائقُ والشواغل، والعبرة بما يغلب على قلبه عند السكرات وظهور الأهوال من الخواطر، فهو لا يزال على ذلك الخاطر، فإنَّ المرء يموت على ما عاش عليه. ولهذا ورد في الحديث[2]: «لا يموتنَّ أحدكم إلاّ وهو يُحسن الظنَّ بالله، فإنَّ

---

(١) كلام مشهور، وقد نسب إلى النبي ﷺ.
راجع البحار: ٤/ ٤٣ و٥٠/ ١٣٤. والإحياء: كتاب التوبة، بيان توزّع الدرجات، ٤/ ٣٥.
أحاديث مثنوي: ٨١ (نقلاً عن زهر الآداب: ١/ ٦٠).
وقال العراقي (المغني، المطبوعة بذيل الإحياء الطبعة القديمة: ٤/ ٢٣): «لم أجده مرفوعاً، وإنما يعزى إلى علي بن أبي طالب». وجاء في نهج البلاغة (الحكمة ٦٤): «أهل الدنيا كركب يُسار بهم وهم نيام».

(٢) في أمالي الطوسي: المجلس الثالث عشر، ح٦٥، ٣٧٩: «لا يموتنّ أحدكم حتى يحسن ظنّه بالله...». عنه البحار: ٨١/ ٢٣٥، ح١٢. ومثله في كنز العمال: ٣/ ١٣٧، ح٥٨٦١. وجاء في مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب (١٩) الأمر بحسن الظن بالله =

حُسن الظنّ بالله ثمن الجنَّة».

وإن كان العمدة ما رسَخ في قلبه من الصفات والهيئات في مدَّة العمر، فإنَّ هذا يرجع إلى ذاك غالباً ـ والله الموفِّق للخيرات والباقيات الصالحات[1] ـ.

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام[2] أنّه قال:

= تعالى عند الموت، ح٨١، ٤/ ٢٢٠٥): «لا يموتنّ أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظنّ» ومثله في المسند: ٣/ ٢٩٣. وفيه مع فرق يسير: ٣/ ٣١٥ و٣٢٥ و٣٣٠ و٣٣٤ و٣٩٠. وابن ماجة: كتاب الزهد، باب (١٤) التوكل واليقين، ح٤١٦٧، ٢/ ١٣٩٥. قال الزبيدي (إتحاف السادة: ٩/ ١٦٩): «ورواه كذلك الطيالسي وأحمد وعبد بن حميد وأبو داود وابن ماجة وابن حبان...».

(١) في هامش النسخة: «قيل: من الناس من إذا بلغت نفسُه الحلقومَ كُشف له عن أهله السابقين، وأحدق به جيرانُه من الموتى، فحينئذ يكون له خوارٌ يسمعه كلُّ شيء إلاّ الإنسان، لو سمعه لهلك وصعق.
وآخر ما يُفقد من الميِّت السمعُ، لأنَّ الروح إذا فارقت القلبَ بأسرها فسد، وأمَّا السمع فلا يفقده حتَّى تقبض النفس، ولهذا قال صلى الله عليه وآله: «لقِّنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلاّ الله» *.
ونهى عن الإكثار بها عليهم لما يجدونه من الهول الأعظم والكرب الأفعم، فإذا نظرت إلى الميِّت قد سال لعابُه، وتقلَّصت شفتاه، واسودَّ وجهُه، وازرقت عيناه: فاعلم أنَّه شقيٌّ قد كشفت له عن حقيقة شقوته في الآخرة. وإذا رأيت الميِّت جاف الفم ـ كأنَّه يضحك ـ منطلق الوجه، مكسورة عيناه: فاعلم أنَّه يبشَّر بما يلقاه في الآخرة من السرور، وكشف له عن حقيقة كرامته ـ منه ـ».
(*) الفقيه (باب غسل الميت: ١/ ١٣٢): «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لقنوا موتاكم لا إله إلا الله...». ومثله في ثواب الأعمال: ثواب من قال لا إله إلا الله:١٦. عنه البحار: ٨١/ ٢٣٤. وتفسير الفرات: سورة الزمر، الآية ٥٦، ص ٣٦٩. عنه البحار: ٧/ ٢٠٠. المحاسن: ١/ ٣٤. عنه البحار: ٨١/ ٢٣٦.

(٢) رواه الغزالي عن أمير المؤمنين عليه السلام: إحياء علوم الدين، كتاب ذكر الموت، الباب السابع في حقيقة الموت...: ٤/ ٧١٨. وروى فيه أيضاً عن النبي صلى الله عليه وآله (كتاب ذكر الموت. الباب الثالث: ٤/ ٦٧٥): «لن يخرج أحدكم من الدنيا، حتَّى يعلم أين مصيره، وحتَّى يرى مقعده من الجنة أو النار». وقال العراقي في تخريجه: «أخرجه ابن أبي الدنيا في الموت من رواية عليّ موقوفاً. وقال الزبيدي (إتحاف السادة: ١٠/ ٢٨١): «... وكذلك رواه ابن أبي شيبة في المصنف، وفي رواية: لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا حتى تعلم إلى أين مصيرها: إلى الجنة أم إلى النار».

«حرامٌ على كلِّ نفس أن تخرج من الدنيا حتَّى تعلم من أهل الجنَّة هي أم من أهل النار».

وقال عليه السلام لحارث الهمداني ما نظَمه السيِّد الحميري[1] في أبيات منسوبة إليه[2] ـ وهي هذه ـ:

قـولُ عَلـيّ لحـارث عجبـا ... وكـم مـن أُعجـوبة[3] لـه حمـلا
يا حار[4] همدان مَن يَمُت يَرني ـ مِن مؤمن أو منافق ـ قُبلا[5]
يعـرفنـي طـرفـه وأعـرفـه ... بنعتــه واسمــه ومــا فعــلا
وأنت عند الصراط تعرفني ... فــلا تخَــف عثــرةً ولا زلــلا
أسقيكَ من باردٍ على ظمأ ... تخـالـه فـي الحـلاوة العسـلا
أقول للنار حين تعرض للـ ... ـعرض: دعيه لا تقبلي الرجلا

---

(١) إسماعيل بن محمد بن يزيد الحميري، الشاعر المفلق، و«السيّد» لقبه ـ ولم يكن علوياً ـ عاش في القرن الثاني وكان كيسانياً، ثم رجع عمّا كان واعتقد إمامة الصادق عليه السلام وقال في ذلك:

تجعفـرت بـاسـم الله ـ والله أكبـر ... وأيقنـت أن الله يعفـو ويغفـر

وله أشعار كثيرة في مدح أهل البيت وسيما مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وذم مناوئيه. جمع أشعاره شاكر هادي شكر، وطبع ببيروت ـ دار مكتبة الحياة. راجع ترجمته مفصلاً في مقدمة الديوان.

(٢) راجع الحديث والأشعار مع اختلاف يسير في أمالي المفيد: المجلس الأول، ح٣، ٣ ـ ٧. وأمالي الطوسي: المجلس الثلاثون، ح٥، ٦٢٥ ـ ٦٢٧. بشارة المصطفى: ٤ ـ ٦.

عنها البحار: ٦/ ١٧٨ ـ ١٨٠، ح٧، ٣٩/ ٢٣٩ ـ ٢٤١ و٦٨/ ١٢٠ ـ ١٢٢. وورد الأشعار في ديوان السيد: ٣٢٧ ـ ٣٢٨.

وأوردها ابن أبي الحديد (شرح النهج: ١/ ٢٩٩) مع فروق في اللفظ والأبيات ونسبها إلى أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: «وتروى عنه عليه السلام شعراً قاله للحارث الأعور الهمداني: يا حار همدان من يمت يرني...».

(٣) أمالي المفيد والطوسي: ... لحارث عجب * كم ثمّ أعجوبة...

(٤) منادى مرخم: يا حارث.

(٥) أي قبل الموت، أو قبالاً ومشاهدة.

ذريــه لا تقــربيــه، إنَّ لــه حبــلا بحبــل الــوصــيِّ متّصــلا

وفي كتاب الحسين بن سعيد الأهوازيّ(١) عن [عمار] بن مروان(٢) قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام ـ يقول:ـ

«منكم والله يُقبل، ولكم والله يُغفر، إنَّه ليس بين أحدكم وبين أن يغتبط ويرى السرور وقرَّة العين، إلاَّ أن يبلغ نفسُه هيهنا» ـ وأومأ بيده إلى حلقه ثمَّ قال: ـ «إنَّه إذا كان ذلك واحتضر، حضره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليٌّ والأئمَّةُ وجبرئيلُ وميكائيلُ(٣) وملكُ الموت عليه السلام، فيدنو منه جبرئيل عليه السلام، فيقول لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنَّ هذا كان يحبُّكم أهل البيت فأحبّه».

فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا جبرئيل ـ إنَّ هذا كان يحبُّ الله ورسولَه وأهلَ بيته، فأحبّه».

فيقول جبرئيل: «يا ملك الموت ـ إنّ هذا كان يحبُّ الله ورسولَه وآلَ رسوله، فأحبَّه وارفق به». فيدنو منه ملكُ الموت عليه السلام، فيقول: «يا عبد الله أخذتَ فكاك رقبتك؟ أخذتَ أمان براءتك؟ تمسَّكت بالعصمة الكبرى في الحياة الدنيا»؟

فيوفِّقه الله، فيقول: «نِعَم».

فيقول له: «وما ذاك»؟ فيقول: «ولايةُ عليّ بن أبي طالب عليه السلام».

فيقول: «صدقت، أمّا الذي كنتَ تحذر فقد أمَّنك الله، وأمَّا الذي كنتَ

---

(١) الزهد للأهوازي: باب ما يعاين المؤمن والكافر، ٨١، ح٢١٩.
وجاء مع إضافات في الكافي: كتاب الجنائز، باب ما يعاين المؤمن والكافر: ٣/١٣١.
البحار: ٦/١٩٦ ـ ١٩٩، ح٥١.

(٢) في النسخ: «عباد بن مروان». والصحيح ما أثبتناه مطابقاً للمصدر والكافي والوافي، وبقرينة الراوي عنه (محمد بن سنان). وهو عمار بن مروان مولى بني ثوبان، روى عن الصادق والكاظم عليهما السلام، ثقة. راجع معجم الرجال: ١٢/٢٥٧ ـ ٢٦٠.

(٣) المصدر: ـ وميكائيل.

ترجو فقد أدركته، أبشر بالسلف الصالح، مرافقة رسول الله ﷺ وعليّ والأئمّة من ولده عليهم السلام».

ثمَّ يسلُّ نفسَه سلاً رفيقاً، ثمَّ ينزل بكفنه من الجنَّة، وحنوطه حنوطٌ كالمسك الأذفر، فيكفن بذلك الكفن، ويحنط بذلك الحنوط، ثمَّ يكسى حلَّة صفراء من حلل الجنَّة، فإذا وضع في قبره فتح له بابٌ من أبواب الجنَّة، يدخل عليه من رَوحها وريحانها[1]، ثمَّ يقال له: «نَم، نومةَ العروس على فراشها، أبشر بروحٍ وريحان وجنَّة نعيم، وربٍّ غير غضبان».

ـ قال ـ: «وإذا حضر الكافر الوفاة، حضره رسول الله ﷺ وعليٌّ والأئمَّة وجبرئيل وميكائيل وملك الموت، فيدنو منه جبرئيل، فيقول: «يا رسول الله ـ إنَّ هذا كان مبغضاً لكم أهل البيت، فأبغضه».

فيقول رسول الله ﷺ: «يا جبرئيل ـ إنَّ هذا كان يبغض الله ورسولَه وأهلَ بيت رسوله، فأبغضه».

فيقول جبرئيل: «يا ملك الموت ـ إنَّ هذا كان يُبغض الله ورسوله وأهلَ بيت رسوله، فأبغضه وأعنف عليه». فيدنو منه ملكُ الموت فيقول: «يا عبد الله ـ أخذتَ فكاكَ رقبتك؟ أخذتَ براءةَ أمانك؟ تمسّكتَ بالعصمة الكبرى في الحياة الدنيا؟».

فيقول: «لا».

فيقول له: «أبشر ـ يا عدوّ الله ـ بسخط الله وعذابه والنار، أمَّا الذي كنتَ ترجو فقد فاتَك، وأمَّا الذي كنتَ تحذر فقد نزل بك، ثمَّ يسلُّ نفسَه سلاّ عنيفاً، ثمَّ يوكّل بروحه ثلاثمأة شيطان يبزقون في وجهه، ويتأذّى بريحه، فإذا وضع في قبره فتح له باب من أبواب النار يدخل عليه من فيح ريحها ولهبها».

---

(١) أضيف في المصدر: ثم يفسح له عن أمامه مسيرة شهر، وعن يمينه وعن يساره.

أقول: إنَّ هذه الرؤية إنَّما تكون في النشأة البرزخيَّة، لا الحسيَّة، وإنَّ ذلك حقيقةٌ لا تجوُّز فيه.

ويُشبه أن تكون رؤيةُ المعصومين ـ صلوات الله عليهم ـ مختصَّة بمن غلب عليه ذكرُهم في الحياة الدنيا ـ إمَّا لمحبّة شديدة منه لهم، أو لبُغض شديد ـ وتصديق ذلك قول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩]، يعني المسيح ـ على نبيِّنا وعليه السلام ـ.

وعن أهل البيت عليهم السلام[1]: «إنَّ إيمان أهل الكتاب بالمسيح إنَّما يكون بعد نزوله من السماء ورجعتهم إلى الدنيا».

كراهية الموت وتمنّيه

وفي الكتاب المذكور[2]، عن بعض الأصحاب، عن أبي عبد الله عليه السلام ـ قال:ـ قلت له: «أصلحك الله ـ مَن أحبَّ لقاءَ الله أحبَّ اللهُ لقاءَه، ومن أبغض لقاءَ الله أبغض اللهُ لقاءَه»؟

قال: «نعم». قلت: «فوالله إنَّا لنكره الموتَ».

فقال: «ليس ذلك حيث تذهب، إنَّما ذاك عند المعاينة، إنَّ المؤمن إذا رأى ما يحبُّ، فليس شيء أحبَّ إليه من أن يقدم على الله، والله يحبُّ لقاءَه، وهو يحبُّ لقاءَ الله، وإذا رأى ما يكره، فليس شيء أبغض إليه من لقاء الله [عزَّ وجلَّ][3] والله يبغض لقاءه».

---

(١) في تفسير القمي (تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٩]. . .، ١/ ١٨٦: «إن عيسى ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا، فلا يبقى أهل ملة يهودي ولا نصراني إلا آمن به قبل موته، ويصلي خلف المهدي عليه السلام».

(٢) الزهد للأهوازي: باب ما يعاين المؤمن والكافر: ٨٣، ح٢٢٠. معاني الأخبار: باب ما روي أن من أحب الله تعالى. . .، ٢٣٦، ح١. عنهما البحار: ٦/ ١٢٩، ح١٧.

(٣) إضافة من المصدر.

وقد روي مثل ذلك عن النبيّ ﷺ أيضاً[1]. وقد مرَّ في هذا المقام كلام آخر وهو:

إنَّ كراهة الموت للمؤمن إنَّما هي لخوفه من الله تعالى، وإشفاقه على نفسه الحرمان من جوار الله ـ عزَّ وجلَّ ـ[2] أو لأنَّه ينقطع بالموت عملُه الذي به يحصل الاستعداد للقاء الله وجواره ـ عزَّ وجلَّ ـ فإنَّ بقيَّة عمر المؤمن نفيسة لا ثمن لها ـ كما ورد في الخبر عن أمير المؤمنين عليه السلام[3] ـ.

وعن النبي[4] ﷺ: «لا يتمنَّ أحدُكم الموتَ، ولا يدعُ به من قبل أن يأتيه، إذا مات انقطع عملُه، وإنَّه لا يزيد المؤمنَ عمرُه إلاّ خيراً».

وهذا لا ينافي حبَّه للقاء الله واشتياقه إليه، بلِ يؤكِّده، فإنَّ المؤمن ينبغي أن يخاف الله خوفاً لو جاء ببِرِّ الثقلين لخشي أن يعذِّبه الله، ويرجو منه رجاء لو جاء بذنوب الثقلين لرجى أن يغفر الله له.

ـ كما ورد في الخبر[5] ـ.

---

(1) مسلم: كتاب الذكر، باب ٥، ٤/ ٢٠٦٥ ـ ٢٠٦٦، ح١٤ ـ ١٨. البخاري: كتاب الرقاق، باب من أحبّ لقاء الله...، ٨/ ١٣٢. الترمذي: كتاب الجنائز، باب ٦٧، ٣/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠، ح١٠٦٦ ـ ١٠٦٧. ابن ماجة: كتاب الزهد، باب (٣١) ذكر الموت والاستعداد له ٢/ ١٤٢٥، ح ٤٢٦٤. المسند: ٢/ ٣١٣، ٣٤٦، ٤٢٠، ٣/ ١٠٧. ٤/ ٢٥٩. المعجم الكبير: ١٩/ ٣٩١، ح٩١٩.
كنز العمال: ١٥/ ٥٤٨ و٥٦٥ ـ ٥٦٦، ح٤٢١٢١ و٤٢١٩٦ ـ ٤٢١٩٨.

(2) في هامش النسخة
معاذ الله كه از مردن بترسم در غمت، ليكن زدرد دوري ومحرومي ديدار مي ترسم

(3) في البحار (٦/ ١٣٨، ح٤٦) عن الدرة الباهرة: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: بقيّة عمر المرء لا قيمة له، يدرك بها ما قد فات، ويحيي ما مات».

(4) مسلم: كتاب الذكر، باب تمنة كراهية الموت، ٤/ ٢٠٦٥، ح١٣. وما يقرب منه في المسند: ٢/ ٣٥٠.

(5) الكافي: كتاب الإيمان والكفر، باب الخوف والرجاء، ٢/ ٦٧، ح١.

وإلى هذا أشار النبيُّ[1] صلى الله عليه وآله في الحديث الذي يصف فيه أولياء الله حيث قال: «لولا الآجال التي كُتبت عليهم لم تستقرّ أرواحُهم في أجسادهم، خوفاً من العقاب وشوقاً إلى الثواب»[2].

ولذلك لو تيقَّن أحدٌ - مثلاً - أنَّه من أهل النجاة وأنَّه مستعِدٌّ لجوار الله، اشتاقَ إلى الموت لا محالة، كما أُشير إليه بقوله - عزَّ وجلَّ -: ﴿إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الجمعة: ٦].

ومن هذا القبيل ما يروى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه كان يتمنَّى الموت في بعض الأحوال، وقد قال عليه السلام حين ضربه ابن ملجم - عليه اللعنة -: «فُزتُ ورَبِّ الكَعْبَة». وأنشد عليه السلام حين قتل عمَّار بن ياسر - رضي الله عنه - بصفِّين[3]:

ألا أيها الموتُ الذي ليس تاركي ... أرحني، فقد أفنيتَ كلَّ خليل

***

(١) الكافي: كتاب الإيمان والكفر، باب المؤمن وعلاماته، ٢/ ٢٣٧، وح٢٥، مع فرق يسير. وورد مثله عن أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً في خطبة يصف فيها المتقين: نهج البلاغة، الخطبة ١٩٣، عنه البحار: ٦٧/ ٣١٥، ح٥٠.

(٢) في هامش النسخة:

دل مة نـدهـد كـه جـامـه جـان بـدرم ... زان بيش كه نام[ه] هاي عصيان بدرم

گـراز سـر كـردار بـدم درگـذري ... از آرزوي اجـل گـريـبـان بـدرم

(٣) راجع الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام: ٦٧. كفاية الأثر: باب ما جاء عن عمار بن ياسر عن النبي صلى الله عليه وآله في النصوص...، ١٢٣ - ١٢٤. عنه البحار: ٣٦/ ٣٢٨. ٧٨/ ٨٨. والبيت الأول في كفاية الأثر وكذا في البحار: ٣٣/ ١٩ هكذا:

أيا موت كم هذا التفرق عنوة ... فلست تبقي للخليل خليل

المؤمن والكافر عند الاحتضار

وفي تفسير مولانا العسكري عليه السلام[1]:

«إنَّ المؤمن الموالي لمحمَّد وآله الطيّبين عليهم السلام والمتَّخذ لعليّ بعد محمَّد إمامه الذي يحتذي مثاله، وسيِّده الذي يصدِّق أقوالَه ويصوِّب أفعاله، ويطيعه بطاعته[2] من ينوبه من ذريَّته[3] لأمور الدين وسياسته، إذا حضره من أمره ما لا يُردُّ، ونزل من قضائه ما لا يُصدُّ [حضر عنده][4] ملكُ الموت وأعوانُه ـ وجد عند رأسه محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله ومن جانب آخر[5] عليّاً سيّد الوصيّين، وعند رِجليه من جانب آخر الحسن سبط سيّد النبيّين، ومن جانب آخر الحسين سيِّد الشهداء أجمعين، وحواليه بعدهم خيار خواصِّهم ومحبِّيهم الذين هم سادات هذه الأمَّة بعد ساداتهم من آل محمد، ينظر إليهم العليل المؤمن.

فيخاطبهم ـ بحيث يحجب الله صوتَه عن آذان حاضريه، كما يحجب رؤيتنا أهلَ البيت ورؤية خواصِّنا عن عيونهم، ليكون بذلك أعظم ثوابا لشدَّة المحنة عليهم منه ـ.

فيقول المؤمن: «بأبي أنت وأمّي ـ يا رسول الله ربّ العزَّة[6]، بأبي أنت وأمّي يا وصيّ رسول ربِّ الرحمة، بأبي أنتما وأمّي يا شبلَي محمَّد وضرغاميه، يا ولديه وسبطيه، يا سيِّدي شباب أهل الجنَّة، المقرَّبين من الرحمة والرضوان،

---

(١) التفسير المنسوب إلى العسكري عليه السلام: البقرة/٢٨، ٢١١ ـ ٢١٥.

(٢) المصدر: بطاعة.

(٣) المصدر: بطاعة من يندبه من أطايب ذريته.

(٤) إضافة من المصدر.

(٥) المصدر: من جانب، ومن جانب آخر.

(٦) المصدر: يا رسول ربّ العزة.

مرحباً بكم معاشر أخيار أصحاب محمَّد وعليّ وولديه، ما كان أعظم شوقي إليكم، وما أشدّ سروري الآن بلقائكم ـ يا رسول الله ـ هذا ملك الموت قد حضرني، ولا أشكُّ في جلالتي في صدره، لمكانك ومكان أخيك منِّي».

فيقول رسول الله ﷺ: «كذلك هو».

ثمَّ يقبل رسولُ الله ﷺ على ملك الموت، فيقول: «يا ملك الموت استوص بوصيَّة الله في الإحسان إلى مولانا وخادمنا ومحبِّنا ومؤثرنا».

فيقول ملك الموت: «يا رسول الله ـ مُرْه ينظر إلى ما قد أعدَّ له في الجنان».

فيقول رسول الله: «أُنظر» ـ وينظر إلى العلو وينظر إلى ما لا يحيط به الألباب، ولا يأتي عليه العدد والحساب. فيقول ملك الموت: «كيف لا أرفق بمن ذلك ثوابه، وهذا محمَّد وعترته زوَّاره ـ يا رسول الله ـ لولا أنَّ الله جعل الموتَ عقبة لا يصل إلى تلك الجنان إلاّ مَن قطعها، لما تناولتُ روحَه، لكن لخادمك ومحبِّك هذا أُسوة بك وبسائر أولياء الله ورسله، وأوليائه الذين أُذيقوا الموتَ بحكم الله».

ثمَّ يقول محمّد ﷺ: «يا ملك الموت ـ هاك أخانا قد سلَّمناه إليك، فاستوص به خيراً».

ثمَّ يرفع هو ومن معه إلى رياض الجنان، وقد كشف عن الغطاء والحجاب لعين ذلك المؤمن فيراهم المؤمن هناك بعدما كانوا حول فراشه فيقول: «يا ملك الموت ألوَحا ألوَحا، تناول روحي ولا تلبثني هنا، فلا صبر لي على محمَّد وعترته، وألحقني بهم».

فعند ذلك يتناول ملكُ الموت روحَه، فيسلّها كما يسلُّ الشَعرة من الدقيق، وإن كنتم ترونه في شدَّة، فليس هو في شدَّة، بل هو في رخاء ولذّة.

* * *

فإذا دخل قبره وجد جماعتَنا هناك.

وإذا جاء منكرٌ ونكيرٌ قال أحدهما للآخر: «هذا محمَّد وعليٌّ والحسن والحسين وخيار صحابتهم بحضرة صاحبنا، فلنصنع بهم[1]». فيأتيان فيسلِّمان على محمّد ﷺ سلاماً منفرداً، ثمَّ يسلّمان على عليٍّ سلاماً منفرداً، ثمَّ يسلِّمان على الحسن والحسين سلاماً يجمعانهما فيه، ثمَّ يسلِّمان على سائر من معنا من أصحابنا، ثمَّ يقولان: «قد علِمنا ـ يا رسول الله ـ زيارتَك في خاصَّتك لخادمك ومولاك، ولولا أن الله يريد إظهار فضله لمن بهذه الحضرة من أملاكه ومن يسمعنا من ملائكته بعدهم لمَا سألناه، ولكن أمر الله لا بدَّ من امتثاله».

ثمَّ يسألانه فيقولان: «مَن رَبُّك، وما دينُك، ومن نبيُّك، ومن إمامك، وما قبلتُك ومن أخوانُك»؟

فيقول: «الله ربِّي، ومحمَّد نبيِّي، وعليٌّ وصيُّ محمَّد إمامي، والكعبةُ قبلتي، والمؤمنون ـ الموالون لمحمَّد وعليٍّ وأوليائهما، المعادون لأعدائهما إخواني ـ أشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله وأنَّ أخاه عليّاً وليّ الله، وأنّ من نصبهم للإمامة من أطائب عترته وخيار ذريَّته خلفاؤه والأئمَّة وولاة الحقّ والقائمون[2] بالصدق.

فيقولان: «على هذا حُيّيت، وعلى هذا أُمِتُّ، وعلى هذا تُبعثَ إن شاء الله وتكون مع من تتولاّه في دار كرامة الله ومستقرّ رحمته».

***

ـ قال رسول الله ﷺ ـ: «وإن كان لأوليائنا معادياً ولأعدائنا موالياً، ولأضدادنا بألقابنا ملقّبا، فإذا جاء ملك الموتُ ينزع روحَه، يمثّل الله ـ عزَّ

(١) يحتمل القراءة: «فلنصنع لهم». المصدر: «فلنتضع لهم».

(٢) في هامش النسخة: القوامون ـ خ ل.

وجلَّ ـ لذلك الفاجر سادته ـ الذين اتَّخذهم من دون الله أرباباً ـ عليهم من أنواع العذاب ما يكاد نظره إليهم يُهلكه، ولا يزال يصل إليه من حرِّ عذابهم ما لا طاقة له به، فيقول له ملك الموت: «أيُّها الفاجر الكافر، تركتَ أولياءَ الله إلى أعدائه، فاليوم لا يغنون عنك شيئاً، ولا تجد إلى المناص سبيلاً» فيرد عليه من العذاب ما لو قسِّم أدناه على أهل الدنيا لأهلكهم.

ثمَّ إذا دُلّي في قبره رأى باباً من الجنَّة مفتوحاً إلى قبره، يرى منه خيراتها، فيقول له منكر ونكير: «أنظر إلى ما حُرِّمته من تلك الخيرات»، ثمَّ يُفتح له في قبره بابٌ من النار، يدخل عليه فيه عذابُها، فيقول: «يا ربِّ لا تُقم الساعة لا تقم الساعة».

الشيعة عند الموت

روى الصدوق رحمه الله بإسناده عن الحارث، قال[1]: دخلت على أمير المؤمنين، وهو ساجد يبكي حتَّى علا نحيبُه وارتفع صوتُه بالبكاء، فقلنا: «يا أمير المؤمنين ـ فقد أمرضَنا بكاؤك وأغصَّنا وشجَّانا، وما رأيناك فعلتَ مثلَ هذا الفعل قطّ».

قال: «كنت ساجداً أدعو ربِّي بدعاء الخيرة في سجدتي، فغلبتني عيني، فرأيت رؤيا هالتني وأفظعتني، رأيت النبيَّ ﷺ قائماً وهو يقول لي: «يا أبا الحسن ـ طالت غيبتك عليَّ، وقد اشتقتُ إلى رؤيتك، وقد أنجز لي ربّي ما وعدني فيك».

قلت: «يا رسول الله ـ ما الذي أنجز لك فيَّ»؟

---

(١) لم أعثر على الحديث فيما عندي من كتب الصدوق ـ قده ـ وقد ورد في تأويل الآيات، سورة المطففين/ ٢٥، ٢/ ٧٧٦ ـ ٧٧٧، ح٨. عنه البحار: ٦/ ١٦١، ح٣٠، ٤٢/ ١٩٤، ح١١.

قال: «أنجز لي فيك وفي زوجتك وابنيك وذرِّيتك أنَّكم في الدرجات العُلى من العليِّين».

قلت: «بأبي وأمِّي ـ يا رسول الله ـ فشيعتنا»؟

قال: «شيعتنا معَنا، قصورهم بحذاء قصورنا، ومنازلهم يقابل منازلنا».

قلت: «يا رسول الله ـ فما لشيعتك[1] في الدنيا»؟

قال: «الأمنُ والعافية».

قلت: «فما لهم عند الموت»؟

قال: «يحكّم الرجلُ في نفسه، ويؤمر ملكُ الموت بطاعته، وأيّ موتة شاء ماتَها، وإنَّ شيعتنا ليموتون على قدر حُبِّهم لنا».

قلت: «يا رسول الله ـ فما لديك[2] حدٌّ يعرف»؟

قال: «بلى ـ إنَّ أوفر شيعتنا لنا حبّاً يكون خروجُ نفسه عندك كشُرب أحدكم في اليوم الصائف الماءَ البارد الذي ينتفع منه القلبُ، وإنَّ سائرهم ليموت كما يغبط[3] أحدكم على فراشه، كأقرّ ما كانت عينه بموته».

* * *

وصف الموت

قال الصدوق ـ رحمه الله ـ في اعتقاداته[4]:

---

(١) تأويل الآيات: لشيعتنا.

(٢) تأويل الآيات: لذلك.

(٣) تأويل الآيات: لذلك.

(٤) اعتقادات الصدوق: باب الاعتقاد في الموت مع اختلافات يسيرة نشير إلى بعضها. وقد وردت هذه الروايات في معاني الأخبار أيضاً ـ كما سنشير إليها ـ عن المفسر الجرجاني، وهو الذي يروي عنه الصدوق التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام، على أنّ =

قيل لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام : «صِف لنا الموت»؟

فقال[1] عليه السلام : «على الخبير سقطتم، الموت هو أحد ثلاثة أمور يرد عليه: إمَّا بشارة بنعيم الأبد، وإمَّا بشارة بعِذاب الأبد، وإمَّا بتخويف وتهويل[2] لا يدري من أيّ الفرق هو.

أمَّا وليُّنا والمطيع لأمرنا، فهو المبشَّر بنعيم الأبد، وأمَّا عدوُّنا والمخالف لأمرنا، فهو المبشَّر بعذاب الأبد، وأمَّا المبهم أمرُه الذي لا يدري ما حاله، فهو المؤمن المسرفُ على نفسه، يأتيه الخبر مبهماً مخوفاً، ثمَّ لن يسوِّيه الله بأعدائنا ويخرجه[3] من النار بشفاعتنا، فاحتملوا وأطيعوا ولا تنكلوا[4]، ولا تستصغروا عقوبةَ الله، فإنَّ من المسرفين من لا تلحقه شفاعتنا إلاّ بعد عذاب ثلاث مئة سنة».

وسئل عن الحسن بن عليّ[5]: «ما الموت الذي جهلوه»؟

فقال: «أعظم سرور يرِد على المؤمنين، إذ نُقلوا عن دار النكد إلى النعيم الأبد، وأعظم ثبور يرد على الكافرين، إذ نُقلوا عن جنَّتهم إلى نار لا تبيد ولا تنفد».

و[6] لمَّا اشتدَّ الأمرُ على الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام نظر إليه من كان معه، وإذا هو بخلافهم، لأنَّهم كانوا إذا اشتدَّ بهم الأمرُ تغيَّرت ألوانُهم وارتعدت فرائصهم، ووجلت قلوبُهم ووجبت جنوبُهم، وكان الحسين عليه السلام

= سياق الأحاديث أيضاً مشابه للموارد العديدة من التفسير الموجود.

(١) أورده أيضاً في معاني الأخبار: باب معنى الموت: ٢٨٨، ح٢.
عنه البحار: ٦/١٥٣ ـ ١٥٤، ح٩.

(٢) أضيف في المصدر: وأمر مبهم.

(٣) المصدر: ولكن يخرجه.

(٤) المصدر: فاعملوا وأطيعوا ولا تتكلوا.

(٥) معاني الأخبار: الصفحة المذكورة. وكذا في البحار.

(٦) في معاني الأخبار: وقال علي بن الحسين عليه السلام لما اشتد. . .

وبعض من معه من خصائصه تشرق ألوانُهم وتهوي جوارحُهم وتسكن نفوسهم، فقال بعضهم لبعض: «أُنظروا إليه لا يبالي بالموت».

فقال الحسين عليه السلام: «صبراً بني الكرام ـ فما الموتُ إلاّ قنطرة تعبر بكم عن البؤس والضرِّ، إلى الجنان الواسعة، والنعم الدائمة، فأيُّكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر؟ وهو لأعدائكم كمن ينتقل من قصر إلى سجن وعذاب أليم، إنَّ أبي حدثني بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «الدنيا سجن المؤمن وجنَّة الكافر، والموت جسر هؤلاء إلى جنَّاتهم، وجسر هؤلاء إلى جحيمهم» ـ ما كذِبتُ ولا كُذّبت ـ».

وقيل لعلي بن الحسين عليه السلام[1]: «ما الموت»؟

قال عليه السلام: «للمؤمن كنزع ثياب وسخة قمِلة[2]، وفكِّ قيود وأغلال ثقيلة، والاستبدال بأفخر الثياب وأطيبها روائح، وأوطأ المراكب، وآنس المنازل، وللكافر كخلع ثياب فاخرة والنقل عن المنازل الأنيسة، والاستبدال بأوسخ الثياب وأخشنها، وأوحش المنازل وأعظم العذاب».

وقيل لمحمَّد بن عليٍّ الباقر عليه السلام: «ما الموت»؟

قال[3]: «هو النوم الذي يأتيكم في كلّ ليلة، إلاَّ أنَّه طويل مدّته لا ينتبه إلى يوم القيامة، فمنهم من رأى في منامه من أصناف الفرَح ما لا يقادر قدره، ومنهم من رأى في نومه من أصناف الأهوال ما لا يقادَر قدره، فكيف حال فرحه في الموت ووجله فيه[4]، هذا هو الموت، فاستعدُّوا له».

وقيل للصادق عليه السلام: «صِف لنا الموت»؟

---

(١) معاني الأخبار: الباب السابق، ٢٨٩.

(٢) الثوب القمِل: ما كثر فيه القمل، وهو دويبة صغيرة معروفة، يقال لها بالفارسية: شبش.

(٣) معاني الأخبار: الصفحة السابقة.

(٤) المصدر: لا ينتبه منه إلى يوم القيامة، فمن رأى في منامه من أصناف الفرح ما لا يقدر قدره، ومن رأى في نومه أصناف الأهوال ما لا يقدر قدره، فكيف حال من فرح في النوم ووجل فيه؟.

فقال[1]: «هو للمؤمن كأطيب ريح يشمُّه فينعس لطيبه، فيقطع التعبَ والألمَ كلَّه عنه، وللكافر كلدْغ الأفاعي وكلسْع العقارب وأشدّ».

قيل: فإنّ قوماً يقولون: «إنَّه أشدُّ من نشرٍ بالمناشير وقرض بالمقاريض ورضخ بالحجارة، وتدوير قطب الأرحية في الأحداق»؟

فقال: «هو كذلك على بعض الكافرين والفاجرين، ألا ترون منهم من يعاني تلك الشدائد، فذلكم الذي هو أشدّ من هذا ومن عذاب الدنيا».

قيل: «لما لنا نرى كافراً يسهل عليه النزع، فينطفي وهو يتحدّث ويضحك ويتكلّم، وفي المؤمنين من يكون ـ أيضاً ـ كذلك، وفي المؤمنين والكافرين من يقاسي عند سكرات الموت هذه الشدائد»؟.

قال: «ما كان من راحةٍ للمؤمن هناك فهو عاجل ثوابه، وما كان من شدَّة فهو تمحيصه من ذنوبه، ليرد إلى الآخرة نقيّاً نظيفاً مستحقاً لثواب الله، ليس له مانع دونه، وما كان من سهولة هناك على الكافرين فليستوفي أجر حسناته في الدنيا، ليرد الى الآخرة وليس له إلاّ ما يوجب عليه العذاب، وما كان من شدّةٍ هناك على الكافرين، فهو ابتداء عقاب الله له بعد نفاد حسناته، ذلكم بأنّ الله عدلٌ لا يجور».

ودخل موسى بن جعفر عليه السلام[2] على رجل قد غرق في سكرات الموت ـ وهو لا يجيب داعياً ـ، فقالوا له: «يا بن رسول الله ـ وددنا لو عرفنا كيف حال صاحبنا وكيف الموت»؟

فقال: «إنّ الموت هو المصفاة، يصفّي المؤمنين من ذنوبهم، فيكون آخر ألم يصيبهم وكفّارة آخر وزر عليهم، ويصفّي الكافرين من حسناتهم، فيكون آخر لذّة أو نعمة أو رحمة يلحقهم، وهو آخر ثواب حسنة تكون لهم. وأمّا

(١) معاني الأخبار: الباب السابق ٢٨٧. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/ ٢٧٤، ح٩.
(٢) معاني الأخبار: ٢٨٩.

صاحبكم فقد تخلَّى من الذنوب[1] وصفى من الآثام تصفية، وخلص حتَّى نقى كما ينقّى ثوب من الوسخ، وصلح لمعاشرتنا أهلَ البيت، وفي دارنا دار الأبد».

ومرض رجل من أصحاب الرضا عليه السلام فعاده فقال: «كيف تجدك»؟

فقال: «لقيت الموت بعدك» - يريد به ما لقيه من شدّة مرضه -. فقال: «كيف لقيته»؟

فقال: «أليماً شديداً».

فقال: «ما لقيته، ولكن لقيتَ ما ينذرك به، ويعرّفك بعض حاله، إنَّما الناس رجلان: مستريحٌ بالموت ومستراح به، فجدِّد الإيمان بالله والنبوَّة وبالولاية لنا تكون مستريحاً». ففعل الرجل ذلك -.

- والحديث طويل أخذنا منه موضعَ الحاجة[2] -.

وقيل لمحمَّد بن علي بن موسى عليه السلام: «ما بال هؤلاء المسلمين يكرهون الموت»؟

فقال[3]: «لأنَّهم جهلوه وكرهوه، ولو عرفوه وكانوا من أولياء الله حقَّاً لأحبُّوه، وليعلموا أنَّ الآخرة خيرٌ لهم من الدنيا».

- ثمَّ قال: - «يا عبد الله - ما بال الصبيُّ والمجنون يمتنع من الدواء المشفي لبدنه والمنافي للألم عنه»؟

فقال: «لجهلهم بنفع الدواء».

وقال[4]: «والذي بعث محمَّداً بالحقِّ نبيّاً - إنَّ مَن استعدَّ للموت حقَّ

---

(١) المصدر: فقد نخل من الذنوب نخلاً.

(٢) راجع تمام الحديث في البحار: ٦/ ١٩٤ - ١٩٥، ح٤٥، عن دعوات الراوندي.

(٣) معاني الأخبار: ٢٩٠.

(٤) كما في النسخة والمصدر. معاني الأخبار: - و.

الاستعداد إنَّه أنفع لهم من هذا الدواء لهذا المتعالج، إنَّهم لو علموا ما يؤدّي إليه الموت من النعم، لاستدعوه أشدّ ممّا يستدعي العاقلُ الحازمُ الدواءَ لدفع الآفات واجتلاب السلامات».

ودخل عليُّ بن محمَّد عليه السلام على مريض مِن أصحابه، وهو يبكي ويجزع عن الموت، فقال له[1]:

«يا عبد الله ـ تخاف مِن الموت لأنّك لا تعرفه، أرأيتك إذا اتّسختَ وتقذَّرت وتأذَّيت بما عليك من الوسخ والقذرة، وأصابك قروح وجربٌ، وعلمت أنَّ الغسل في الحمَّام يزيل عنك ذلك كلّه، أما تريد أن تدخله فتغسل ذلك عنك؟ أو تكره أن تدخله فيبقى ذلك عليك»؟

قال: «بلى ـ يا بن رسول الله».

قال: «فذلك الموت هو ذلك الحمَّام، وهو آخر ما بقي عليك من تمحيص ذنوبك وتنقيتك عن سيّئاتك، فإذا أنت وردت عليه وجاوزتَه فقد نجوت من كلِّ غمٍّ وهمٍّ وأذى، ووصلتَ إلى كلِّ سرور وفرح».

فسكن الرجل ونشط واستسلم وغمض عين نفسه ومضى لسبيله.

وسئل الحسن بن عليّ عليه السلام عن الموت ما هو؟ فقال[2]:

«هو التصديق بما لا يكون[3]، إنَّ أبي حدَّثني بذلك عن أبيه، عن جدِّه، عن الصادق عليه السلام أنّه قال: إنَّ المؤمن إذا مات لم يكن ميّتاً، وإنَّ الكافر هو الميّت، إنَّ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يقول: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ

---

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

(٣) يعني أنّ المؤمن إذا مات على ما هو المشهود، لم يمت حقيقة وهو حيٌّ، وكذا الكافر أيضاً، لأنه كان ميّتاً، والحاصل لا يحصَّل، فتصديق موتهما تصديقٌ بما لم يكن. هذا ما يظهر من التأمل في تتمة الحديث.

﴿ٱلۡحَيِّ﴾ [الروم: ١٩]، يعني المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن».

وجاء رجلٌ إلى النبيّ ﷺ، فقال: «يا رسول الله ـ ما بالي لا أحبُّ الموت»؟ فقال[1]: «لك مالٌ»؟

قال: «نعم».

قال: «قدَّمتَه»؟

قال: «لا».

قال: «فمن ثَمَّة لا تحبُّ الموت».

وقال رجلٌ لأبي ذر ـ رحمه الله عليه ـ: «ما بالنا نكره الموت»؟

فقال[2]: «لأنكم عمَّرتم الدنيا وخرَّبتم الآخرة، فتكرهون أن تنتقلوا من عمران إلى خراب».

وقيل له: «كيف ترى قدومَنا على الله»؟

قال: «أما المحسن: فكالغائب، يقدم على أهله، وأمَّا المسيء: فكالآبق، يقدم على مولاه».

قيل: «فكيف حالنا عند الله»؟

قال: «أعرضوا أعمالكم على الكتاب، إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ * وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ﴾ [الانفطار: ١٣ ـ ١٤].

قال الرجل: «فأين ﴿رَحۡمَتَ ٱللَّهِ﴾؟

قال: ﴿رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الاعراف: ٥٦]»[3].

(١) الخصال: باب الواحد، ح٤٧، ١/١٣.
(٢) جامع الأخبار: الفصل الثالث والثلاثون والمئة، ح٤، ٤٧٨.
(٣) إلى هنا تم المنقول من عقائد الصدوق.





الباب الثاني:

البرزخ وعذاب القبر وسؤاله

﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾

[المؤمنون: ١٠٠]

البرزخ في الأحاديث

البرزخ هي الحالة التي تكون بين الموت والبعث[1]، وهو مدَّة اضمحلال هذا البدن المحسوس إلى وقت العود ـ أعني زمان القبر ـ ويكون الروح في هذه المدَّة في بدنها المثالي الذي يرى الإنسانُ نفسَه فيه في النوم: «النومُ أخُ الموت»[2].

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الزمر: ٤٢].

وقد مضى وصف ذلك البدن، وأنَّه هو الذي تتصرَّف فيه النفسُ أوّلاً في هذه النشأة ـ أيضاً ـ إذ هو معها الآن، وحياتُه كحياة النفس ذاتيَّة، بل هو عين النفس، وهذا البدن بمنزلة قشر وغلاف له، وإنَّما تتصرَّف النفس فيه بواسطته، وهو أعلى رتبةً من هذه الأجسام المشفَّة التي توجد هيهنا ومن التي تسمَّى بالروح الحيواني، فإنَّه من الدنيا، وإن كان شريفاً لطيفاً بالإضافة ـ ولهذا يستحيل سريعاً ويضمحل ـ.

---

(١) في الكافي (الجنائز، باب ما ينطق به موضع القبر: ٣/ ٢٤٢، ح٣) عن الصادق عليه السلام في الجواب عمن سأله: «وما البرزخ»؟ قال: «القبر، منذ حين موته إلى يوم القيامة».

(٢) في حلية الأولياء (٧/ ٩٠): «النوم أخو الموت، وأهل الجنة لا ينامون». وفي الكامل لابن عدي (٤/ ٢١٨، ترجمة عبد الله بن محمد بن المغيرة): «النوم أخو الموت ولا ينام أهل الجنة». وفيه (٦/ ٣٦٦، ترجمة مصعب بن إبراهيم) بلفظ «. . . وأهل الجنة لا يموتون». ومع فرق يسير في شعب الإيمان: باب ٣٣، فصل في ذم كثرة النوم، ٤/ ١٨٣، ح٤٧٤٥. وكنز العمال: ١٤/ ٤٧٥، ح٣٩٣٢١. راجع أيضاً مصباح الشريعة: الباب ٤٤، في النوم: ٢٩. عنه البحار: ٧٦/ ١٨٩، ح١٨.

رُوي في الكافي[1] بإسناده عن مولانا الكاظم عليه السلام، أنَّه قال:

«إنَّ الأحلام لم تكن فيما مضى في أوّل الخلق، وإنَّما حدثت».

قيل: «وما العلَّة في ذلك»؟

فقال: «إنَّ الله بعث رسولاً إلى أهل زمانه، فدعاهم إلى عبادة الله وطاعته، فقالوا: «إن فعَلنا ذلك فمالنا؟ فوالله ما أنت بأكثرنا مالاً، ولا بأعزِّنا عشيرة».

فقال: «إن أطعتموني أدخلكم الله الجنَّة، وإن عصيتم أدخلكم الله النار».

فقالوا: «وما الجنَّة والنار»؟

فوصَف لهم ذلك، فقالوا: «متى نصير إلى ذلك»؟

فقال: «إذا مُتُّم».

فقالوا: «فقد رأينا أمواتنا صاروا عظاماً ورفاتاً»، فازدادوا له تكذيباً وبه استخفافاً، فأحدث الله ـ تعالى ـ فيهم الأحلام، فأتوه فأخبروه بما رأوا وما أنكروا من ذلك. فقال: «إنَّ الله ـ تعالى ـ أراد أن يحتجَّ عليكم بهذا، هكذا تكون أرواحكم إذا مُتُّم، وإن بليت أبدانُكم تصير الأرواحُ إلى عقاب حتَّى تبعث الأبدان».

وبإسناده[2] الصحيح عن أبيه الصادق عليه السلام: إنَّه قيل له: «جعلتُ

---

(١) الكافي: الروضة، حديث الأحلام...، ٨/ ٩٠، ح٥٧. عنه البحار: ٦/ ٢٤٣، ح٦٨. ١٤/ ٤٨٤، ح٣٨، ٦١/ ١٨٩، ح٥٥.
ولا يخفى أنّ مضمون الرواية مستبعدٌ جداً، ويؤيّد عدم صحة صدوره ضعف سنده، إذ فيه علي بن العباس الخراذيني ـ أو الجراذيني ـ، الذي قال فيه النجاشي (٢٥٥، الترجمة ٦٨٨): «عليّ بن العباس...، رمي بالغلوّ وغمز عليه، ضعيفٌ جداً». معجم الرجال: ١٢/ ٦٨ ـ ٦٩.

(٢) الكافي: كتاب الجنائز، باب آخر في أرواح المؤمنين، ٣/ ٢٤٤، ح١. عنه البحار: =

فداك، يروون أنَّ أرواح المؤمنين في حواصل طير خضر حول العرش».

فقال: «لا ـ المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحَه في حوصلة طير، ولكن في أبدان كأبدانهم».

وفي رواية أخرى عنه عليه السلام[1]: «... فإذا قبضه الله صيَّر تلك الروح في قالبٍ كقالبه في الدنيا، فيأكلون ويشربون، فإذا قدِمَ عليهم القادمُ عرفوه بتلك الصورة التي كانت في الدنيا».

وفي لفظ آخر[2]: «إنَّهم في الجنَّة على صوَر أبدانهم، لو رأيتَه لقلتَ: فلان».

وفي خبر آخر[3]: «إنَّ الأرواح في صفة الأجساد في شجرة في الجنَّة تعارف وتتسائل، فإذا قدمت الروحُ على الأرواح تقول: «دعوها فإنَّها قد أقبلت[4] من هول عظيم»، ثمَّ يسألونها: «ما فعلَ فلان، وما فعلَ فلانٌ»؟ فإن قالت لهم: «تركتُه حيَّاً» ارتجوه، وإن قالت لهم: «قد هلك»، قالوا: «قد هَوى هُوىً[5]».

وفي لفظ آخر[6]: «في روضة كهيئة الأجساد في الجنَّة».

وزاد في بعضها[7]: يقولون: «ربَّنا أقم لنا الساعة، وأنجز لنا ما وعدتنا،

= ٦/٢٦٨، ح١١٩.

(١) الكافي: الباب السابق، ٣/ ٢٤٥، ٦، عنه البحار: ٦/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠، ح١٢٤.

(٢) لم أعثر عليه في الكافي، لكنه في التهذيب: باب تلقين المحتضرين، ح١٧٢، ١/ ٤٦٦.

(٣) الكافي: الباب السابق، ٣/ ٢٤٤، ح٣. عنه البحار: ٦/ ٢٦٩، ح١٢١.

(٤) المصدر: أفلتت.

(٥) هَوى، يهوي، هُويا: سقط من علو إلى سفل، والمعنى أنهم لو سمعوا أن المسؤول عنه في الدنيا، ارتجوا وصوله إليهم بعداً، ولكن لو سمعوا أنه مات، يقولون إنه سقط إلى الأسفل، إذ لو كان من السعداء لوصل إليهم.

(٦) الكافي: الباب السابق، ٣/ ٢٤٥، ح٧، عنه البحار: ٦/ ٢٧٠، ح١٢٥.

(٧) الكافي: الباب السابق، ٣/ ٢٤٤، ح٤. عنه البحار: ٦/ ٢٦٩، ح١٢٢.

وألحِق آخرنا بأوّلنا».

وسُئل عن أرواح المشركين فقال[1]: «في النار يعذَّبون، يقولون: ربَّنا لا تُقِم لنا الساعة[2]، ولا تُلحق آخرنا بأوّلنا».

وبإسناده عنه عليه السلام[3]: «إنَّ الميّت يزور أهلَه في كلِّ يوم، أو يومين، أو ثلاث، أو جمعة، أو شهر أو سَنَة ـ على قدر منزلته وعمله ـ فينظر إليهم ويسمع كلامَهم، ويُرى المؤمن ما يحبُّ، ويُستر عنه ما يكره، ويُرى الكافر ما يكره ويُستر عنه ما يحبُّ».

ظهور الملكات في البرزخ

قيل: النفوس في هذه الأجساد القبريَّة واجدون للَّذات والآلام التي تستصحبها الصور الحاصلة لهم من العلم والعمل في الخير والشرِّ، وتصير فيها محكمة، ذاتيَّة، مثمِرة، فحالهم فيها كحال النطفة في الرحم، والبذر في الأرض، تنبت فيها وتثمر على ما في أصلها، جاءت من ظهر أبيها، حتَّى اتَّصلت بها القوَّة الإسرافيليَّة، فصار حكمها وحالها إلى لون آخر، كأنَّهم يفيقون من سكرة وينتبهون من صعقة ـ انتهى ـ.

وروى الصدوق عن النبي عليه السلام أنَّه قال[4]: «يا بني عبد المطّلب إنّ الرائدَ لا يكذب أهلَه، والذي بعثني بالحقّ لتموتنَّ كما تنامون، ولتُبعثنَّ كما

---

(1) الكافي: باب في أرواح الكفار، ٣/ ٢٤٥، ح١، عنه البحار: ٦/ ٢٧٠، ح١٢٦.
(2) أضيف إلى المصدر: ولا تنجز لنا ما وعدتنا.
(3) ظاهر النقل أنه رواية واحدة عن الصادق عليه السلام، ولم أعثر عليها، والأظهر أنها ملتقطة من خمس روايات عن الصادق والكاظم عليه السلام، رويت في الكافي: باب أنّ الميت يزور أهله، ٣/ ٢٣٠ ـ ٢٣١، ح ١ ـ ٥). البحار: ٦/ ٢٥٦ ـ ٢٥٧، ح٨٩ ـ ٩٣.
(4) الاعتقادات: باب الاعتقاد في البعث بعد الموت، مع فرق يسير. عنه البحار: ٧/ ٤٧، ح٣١.

تستيقظون، وما بعد الموت دارٌ إلاّ جنَّة أو نار».

نعيم القبر وعذابه

إنَّ من الأحكام التي تجري مجرى الضرورة من الدين عذاب القبر وثوابه والمساءلة فيه، وقد تظافرت الأخبار في ذلك من طُرقنا وطرق العامَّة، بحيث لا مجال للشكّ فيه والريب:

قال النبيّ ﷺ - في الخبر المشهور[1] : «القبرُ إمَّا حفرةٌ من حُفَر النيران، أو روضة من رياض الجنَّة».

وقال عليه السلام[2]: «إذا مات أحدكم عُرض عليه مقعدُه غدوة وعشيَّة - إن كان من أهل الجنَّة فمن الجنَّة، وإن كان من أهل النار فمن النار - يقال: هذا مقعدك حتَّى يبعثك الله إليه يوم القيامة».

وفي القرآن المجيد: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗا﴾ [غافر: ٤٦]. قال

---

(١) الخرائج والجرائح: الباب الثاني، ١/ ١٧٢، ح٢. الدعوات: ٢٤٤، ح٦٩١.
البحار: ٤١/ ٢٤٩، ح٢.
الترمذي: كتاب صفة القيامة، باب ٢٦، ٤/ ٦٤٠، ح٢٦٦٠. المعجم الأوسط: ٩/ ٢٧٩، ح٨٦٠٨. كنز العمال: ١٥/ ٦٠٣، ح٤٢٣٩٧.
وعن الإمام السجاد عليه السلام في الخصال: باب الثلاثة، ح١٠٨، ١/ ١٢٠.
تفسير القمي: تفسير المؤمنون/ ١٠٠، ٢/ ٩٤. البحار: ٦/ ٢١٥.

(٢) البخاري: الجنائز، باب الميت يعرض عليه بالغداة والعشي: ٢/ ١٢٤. وكتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة: ٤/ ١٤٢.
باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة: ٤/ ١٤٢.
مسلم: كتاب الجنة...، باب (١٧) عرض مقعد الميت من الجنة أو النار...، ٤/ ٢١٩٩، ح٦٥، المسند: ٢/ ٥١.
الترمذي: كتاب الجنائز، باب (٧٠) ما جاء في عذاب القبر، ٣/ ٣٨٤، ح١٠٧٢.
ابن ماجة: كتاب الزهد، باب (٣٢) ذكر القبر والبلى، ٢/ ١٤٢٧، ح٤١٧٠.

الصادق عليه السلام[1]: «إنَّ هذا في نار البرزخ قبل القيامة، إذ لا غدوَّ ولا عشيَّ في القيامة» ـ ثمَّ قال عليه السلام: «ألم تسمع قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

وقال عليُّ بن إبراهيم ـ رحمه الله ـ[2] في تفسير قوله عزَّ وجلَّ:

﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ * فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [هود: ١٠٥ ـ ١٠٧]:

«فهذا هو في نار الدنيا قبل القيامة، وأمَّا قوله: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ يعني في جنان الدنيا، التي تنقل إليها أرواح المؤمنين ﴿وَأَمَّا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ يعني غير مقطوع من نعيم الآخرة في الجنَّة، يكون متَّصلاً به، وهو ردٌّ على من أنكرَ عذابَ القبر والثواب والعقاب في الدنيا ـ في البرزخ قبل يوم القيامة ـ».

وقال الشيخ الصدوق ـ رحمه الله ـ[3]:

«اعتقادنا في المساءَلة في القبر أنَّها حقٌّ لا بدَّ منها، فمن أجاب بالصواب فاز بِرَوح وريحان في قبره وبجنَّة نعيم في الآخرة، ومن لم يأت بالصواب فله نزلٌ من حميم في قبره وتصلية جحيم في الآخرة. وأكثر ما يكون عذاب القبر من النميمة وسوء الخلق والاستخفاف بالبول، وأشدُّ ما يكون عذاب القبر على المؤمنين من مثل اختلاج العين أو شرطة حجَّام، ويكون ذلك كفَّارة لما بقي عليه من الذنوب، التي تُكفِّرها الهموم والغموم والأمراض وشدّة النزع عند الموت» ـ انتهى.

---

(١) جاء ما يقرب منه في تفسير القمي: قوله تعالى ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦]: ٢/ ٢٦١. عنه البحار: ٦/ ٢١٨، ح١٢.

(٢) تفسير القمي: ١/ ٣٦٦.

(٣) الاعتقادات: باب الاعتقاد في المساءلة في القبر.

وروى بإسناده[1] عن مولانا الصادق عليه السلام أنَّه قال: «من أنكر ثلاثةَ أشياء فليس من شيعتنا: المعراج، والمساءلة في القبر، والشفاعة».

وفي الكافي[2] بإسناده عن مولانا الصادق عليه السلام أنّه قال: «لا يُسأل في القبر إلاّ من محّض الإيمان محضاً، أو محّض الكفرَ محضاً».

وفي رواية أخرى[3]: «والآخرون يُلهون عنهم».

وفي لفظ آخر[4]: «وما يعبؤ بهم».

وبإسناده[5] عنه عليه السلام: «يُسأل وهو مضغوطٌ».

وسُئل عليه السلام[6]: «أيفلت من ضغطة القبر أحد»؟

قال: «نعوذ بالله منها، ما أقلَّ من يفلت من ضغطة القبر!

إنَّ رقيَّة لمَّا قتلها عثمان، وقف رسول الله صلى الله عليه وآله على قبرها، فرفع رأسه إلى السماء فدمعت عيناه، وقال للناس: «إنِّي ذكرتُ هذه وما لقيَتْ، فرققتُ لها، فاستوهبتُها من ضمَّة القبر» ـ قال: ـ فقال: «اللهمَّ هب لي رقيَّة من ضمَّة القبر»؟ فوهبها الله له».

قال: «وإنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله خرج في جنازة سعد، وقد شيَّعه سبعون ألف

---

(١) أمالي الصدوق: المجلس التاسع والأربعون، ٣٧٠، ح٥.
عنه البحار: ٦/ ٢٣٣، ح٢٣، ٨/ ٣٧، ح١٣، ١٨/ ٣٤٠، ح٤٤.

(٢) الكافي: كتاب الجنائز، باب المساءلة في القبر، ٣/ ٢٣٦، ح٤.
الفقيه: باب التعزية، ١/ ١٧٨، ح٥٣٠، عنه البحار: ٦/ ٢٦٠، ح١٠٠.

(٣) الكافي: الباب السابق، ٣/ ٢٣٥، ح١. عنه البحار: ٦/ ٢٦٠، ح٩٧.

(٤) الكافي: الباب السابق، ٣/ ٢٣٧، ح٨.

(٥) الكافي: الباب السابق، ٣/ ٢٣٦، ح٥. عنه البحار: ٦/ ٢٦٠، ح١٠١.

(٦) الكافي: الباب السابق، ٣/ ٢٣٦، ح٦. عنه البحار: ٦/ ٢٦١، ح١٠٢. وجاء ما يقرب منه في الزهد للأهوازي: باب المساءلة في القبر...، ٨٧ ـ ٨٨، ح٢٣٤. عنه البحار: ٦/ ٢١٧، ح١٠.

ملك، فرفع رسول الله ﷺ رأسَه إلى السماء ثم قال: «مثلُ سعد يُضمّ»؟

ـ قال: ـ قلت: «جعلتُ فداك ـ إنَّا نحدَّث أنَّه كان يستخفُّ بالبول».
فقال: «معاذ الله ـ إنَّما كان من زَعارَّة[1] في خُلقه على أهله».

وروى عمر بن يزيد[2] قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «إنّي سمعتك وأنت تقول: «كلُّ شيعتنا في الجنَّة على ما كان منهم».

قال: «صدقتك ـ كلُّهم والله في الجنَّة».

ـ قال: ـ قلت: «جعلتُ فداك ـ إنَّ الذنوبَ كثيرةٌ كبار».

فقال: «أمَّا في القيامة، فكلُّكم في الجنَّة بشفاعة النبيِّ المطاع أو وصيّ النبيّ، ولكنِّي ـ والله ـ أتخوَّفُ عليكم في البرزخ».

قلت: «وما البرزخ»؟

قال: «القبر، منذ حين موته إلى يوم القيامة».

قال بعض العلماء

«والذي يوضح لك كيفيَّة ضغطة القبر ـ وإن كان جسد الميِّت ساكناً أو كان في الهواء أو الماء ـ أنَّ من كان في ضيق شديد أو تفرُّق اتِّصال بالنار وغيرها، أو وقع بين حجرين عظيمين: فإنَّ الذي يؤلمه ويؤثِّر في نفسه بالذات

---

(١) الزعارَّة: شكاسة في الخُلق.

(٢) الكافي: كتاب الجنائز، باب ما ينطق به موضع القبر، ٣/٢٤٢، ح٣. عنه البحار: ٦/٢٦٧، ح١١٦.

والراوي عمر بن يزيد بياع السابري، كما هو في النسخة ومرآة العقول وبقرينة الراوي عنه: حماد بن عثمان. قال النجاشي (٢٨٣، رقم ٧٥١): «عمر بن محمد بن يزيد أبو الأسود، بيّاع السابري، مولى ثقيف، كوفي ثقة جليل، روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليه السلام ...».

راجع معجم الرجال: ١٣/ ٦٠ ـ ٦٤، رقم ٨٨١٧ ـ ٨٨١٩.

وما جاء في المصدر والمحكي عنه في البحار: «عمرو بن يزيد» سهو على الأظهر.

ليس هذه الأمور الواقعة على بدنه، بل صورتها الواصلة إلى نفسه لعلاقة لها مع البدن، حتَّى أنَّه لو فرض حصول تلك الصور إلى النفس من سبيل آخر ـ لا من جهة هذه الأسباب الماديَّة ـ لكان التأثير بحالها ما دامت النفس ذات علاقة بهذا البدن ـ سواء كان البدن بعينه باقياً أم لا ـ. فضَغطة القبر وعذابُه من هذا القبيل الذي ذكرناه، وكذلك ثوابه وراحته، فسعة القبر وضيقه تابعان لانشراح الصدر وضيقه».

روي في الكافي[1] بإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال:

«إنَّ ابن آدم، إذا كان في آخر يوم من أيَّام الدنيا وأوّل يوم من أيَّام الآخرة مُثّل له مالُه وولدُه وعملُه.

فيلتفت إلى مالِه فيقول: «والله إنِّي كنت عليك حريصاً شحيحاً، فما لي عندك»؟ فيقول: «خذ منِّي كفنك».

ـ قال: ـ فيلتفت إلى ولده فيقول: «والله إنِّي كنت لكم محبّاً وإنِّي كنت عليكم محامياً، فما لي عندكم»؟

فيقولون: «نؤدِّيك إلى حُفرتك فنواريك فيها».

ـ قال: ـ فيلتفت إلى عمَلِه فيقول: «والله إنِّي كنت فيك لزاهداً، وإن كنتَ عليَّ لثقيلاً، فما لي عندك»؟

فيقول: «أنا قرينُك في قبرك ويوم نشرك، حتَّى أعرَض أنا وأنت على ربك».

---

(١) الكافي: كتاب الجنائز، باب أن الميّت يمثّل له ماله وولده، ٣/ ٢٣١، ح١. أمالي الطوسي: المجلس الثاني عشر، ح٥٩، ٣٤٧ـ ٣٤٩. تفسير القمي: قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧]...، ١/ ٣٩٩. البحار: ٦/ ٢٢٤ ـ ٢٢٦، ح٢٦. وورد صدر الرواية في الفقيه أيضاً، باب غسل الميت: ١/ ١٣٧، ح٣٧٠.

ـ قال: ـ فإن كان لله، وليّاً أتاه أطيبُ الناس ريحاً وأحبُّهم منظراً وأحسنهم رياشاً[1]، فقال: «أبشر برَوح وريحان وجنَّة نعيم، ومَقدمَك خير مَقدَم». فيقول له: «مَن أنت»؟

فيقول: «أنا عملُك الصالح، ارتحل من الدنيا إلى الجنَّة».

وإنَّه ليعرف غاسلَه ويناشد حامله أن يعجِّله، فإذا دخل قبره أتاه ملكا القبر، يجرَّان أشعارَهما ويخدَّان الأرض بأقدامهما، أصواتُهما كالرعد القاصف، وأبصارهما كالبرق الخاطف، فيقولان له: «مَن ربُّك، وما دينك، ومن نبيُّك»؟

فيقول: «اللهُ ربِّي، وديني الإسلام، ونبيِّي محمَّد ﷺ».

فيقولان له: «ثبَّتك الله فيما يحبُّ ويرضى[2]» ـ وهو قول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [ابراهيم: ٢٧] ـ ثمَّ يفسحان له في قبره مدَّ بصره، ثمَّ يفتحان له باباً إلى الجنَّة، ثمَّ يقولان له: «نم قرير العين، نوم الشابّ الناعم»، فإنَّ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يقول: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤].

ـ قال: ـ «وإذا كان لربِّه عدوّاً، فإنَّه يأتيه أقبح مَن خلَقَ الله زيّاً[3] وأنتنه ريحاً، فيقول: «أبشر بنُزل من حميم وتصلية جحيم».

وإنَّه ليعرف غاسله ويناشد حملته إن يحبسوه، فإذا دخل القبر أتاه ممتحناً القبر، فألقيا أكفانَه، ثمَّ يقولان له: «مَن ربُّك، وما دينك، ومَن نبيّك؟ فيقول: «لا أدري».

---

(١) الرياش ـ بكسر الراء ـ: اللباس الفاخر.

(٢) النسخة مهملة، وفي الكافي: تحب وترضى. ولكن المؤلف ـ قدس سره ـ نص في الوافي على أنهما بصيغة الغائب.

(٣) أضيف في الكافي والوافي: ورؤيا.

فيقولان: «لا دَريت ولا هُديت»[1]، فيضربان يافوخَه بمِرزبة[2] معهما، ضربةً ما خلق الله ـ عزَّ وجلَّ ـ من دابّة إلاّ تذعر لها ـ ما خلا الثقلين ـ. ثمَّ يفتحان له باباً إلى النار، يقولان له: «نَم بِشرِّ حالٍ[3]، ويسلّط الله عليه حيّاتِ الأرض وعقاربَها وهوامَّها، فتنهشه حتَّى يبعثه الله من قبره».

وفي بعض الأخبار[4] أنَّه عَلَيْهِ السَّلَامُ قال في المؤمن: «يقول: رأيك الحسَن الذي كنتَ عليه، وعملك الصالح الذي كنتَ تعمله». وفي الكافر: «أنا عملك السيّء الذي كنتَ تعمله ورأيك الخبيث».

وهذا يدلُّ على تجسُّم الاعتقاد ـ أيضاً ـ.

وفي بعض الروايات عن مولانا الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ[5]: «ويدخل في قبره ملكا القبر ـ وهما قعيدا القبر ـ منكرٌ ونكيرٌ، فيلقيان فيه الروح إلى حَقويه[6]، فيُقعدانه ويسألانه...».

قيل: «جعلت فداك ـ يدخلان على المؤمن والكافر في صورة واحدة»؟ فقال: «لا».

وفي كثير من الأخبار[7]: أنَّه يُسأل عن إمامه ـ أيضاً ـ.

قيل: «ولعلَّ مولانا أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يذكر ذلك اكتفاءً بشهرته

---

(١) قال ـ قده ـ في الوافي: دعاء منهما عليه.
(٢) اليافوخ: فراغ بين عظام جمجمة الرأس. المِرزبة والمِرزَبة: عصا من حديد.
(٣) المصدر: نم بشرّ حال فيه من الضيق مثل ما فيه القنا من الزجّ، حتّى أنّ دماغه ليخرج من بين ظفره ولحمه.
(٤) الكافي: كتاب الجنائز، باب ما ينطق به موضع القبر، ٣/ ٢٤٢، ح١.
عنه البحار: ٦/ ٢٦٧، ح١١٤.
(٥) الكافي: كتاب الجنائز، باب المساءلة في القبر، ٣/ ٢٣٩، ح١٢.
البحار عنه وعن العياشي: ٦/ ٢٦٤، ح١٠٨.
(٦) الحَقو: الخصر.
(٧) الكافي: الباب السابق: ٣/ ٢٣٨، ح١١.

وهضماً لنفسه المقدّسة ـ سلام الله عليه ـ».

وروي في الكافي، وفي اعتقادات الصدوق ـ رحمه الله[1] ـ: أنَّ النبيَّ ﷺ لمَّا دفن فاطمةَ بنت أسد، لقَّنها وقال لها: «ابنكِ ابنكِ».

وفي آخر الرواية قال ﷺ: «وانكببتُ عليها فلقَّنتها ما تسأل عنه، وإنَّما سئلت عن ربِّها، فقالت، وسُئلت عن نبيِّها[2]، فأجابت: وسُئلت عن وليِّها وإمامها، فارتجَّ عليها، فقلت لها: «ابنكِ ابنكِ».

وقال المفيد ـ رحمه الله ـ[3]:

«قيل في بعض الأخبار: إنَّ اسمي الملكين الذين ينزلان على الكافر: ناكر ونكير. واسمي الملكين الذين ينزلان على المؤمن: مبشِّرٌ وبشير.

قيل: إنَّما سمِّي ملكا الكافر «ناكراً» و«نكيراً» لأنَّه يُنكِر الحقَّ ويُنكر ما يأتيانه به ويكرهه، وسمِّي ملكا المؤمن «مبشِّراً» و«بشيراً»، لأنَّهما يبشِّرانه بالنعم ويبشِّرانه من الله بالرضا والثواب المقيم، وإنّ هذين الإسمين ليسا بلقب لهما، وإنَّما هو عبارة عن فعلهما» ـ انتهى كلامه ـ.

وفي بعض الروايات[4]: «يُفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين».

وفي بعضها[5]: «سبعة أذرع».

ولعلَّ اختلاف الفسحة لاختلاف الدرجات.

---

(١) الكافي: باب مولد أمير المؤمنين عليه السلام: ١/ ٤٥٣، ح٢.
الاعتقادات: في سؤال القبر، عنه البحار: ٦/ ٢٧٩.

(٢) الكافي: عن رسولها.

(٣) شرح الاعتقادات: في المساءلة في القبر: ١٩٣.

(٤) سنن الترمذي: كتاب الجنائز، باب ٧٠، ح١٠٧١، ٣/ ٣٧٣.

(٥) الكافي: باب المساءلة في القبر: ٣/ ٢٣٨، ح٩. البحار: ٦/ ٢٣٧، ح٥٦ و١٠٥.

وفي رواية أخرى عن مولانا الصادق عليه السلام[1]:

«وإذا كان الرجل كافراً دخلا عليه، وأقيم الشيطان بين يديه عيناه من نحاس، فيقولان له: «من ربُّك، وما دينك؟ وما تقول في هذا الرجل الذي خرج من بين ظهرانيكم»؟

فيقول: «لا أدري».

فيخلّيان بينه وبين الشيطان، ويسلَّط عليه في قبره تسعةٌ وتسعون تنِّيناً ـ لو أنَّ واحداً منها نفخ على الأرض ما أنبتت شجراً أبداً ـ».

وروى العامَّة عن النبيِّ[2] صلى الله عليه وآله: «هل تدرون فيما ذا أنزلت: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤]؟ قالوا: «الله ورسولُه أعلم».

قال: «عذاب الكافر في قبره، يسلَّط عليه تسعةٌ وتسعون تنِّيناً، هل تدرون ما التنِّين؟ تسعة وتسعون حيَّة، لكلِّ حيَّةٍ تسعة رؤوس، تنهشونه وتلحسون وتنفخون في جسمه إلى يوم القيامة».

قال بعض العلماء[3]:

«وليس التخصيص بهذا العدد بعجيب، فلعلَّ عددها بقدر الأخلاق المذمومة ـ من الكبر والريا والحسد والحقد وغيرها ـ فإنَّها تنشعب وتتنوَّع وتنقلب بعينها حيَّات في تلك النشأة».

وقيل[4]:

---

(١) الكافي: كتاب الجنائز، باب المساءلة في القبر: ٣/ ٢٣٧، ح٧.

(٢) أورده الغزالي في الإحياء: كتاب ذكر الموت، بيان عذاب القبر، ٤/ ٧٢٤. وجاء ما يقرب منه في تفسير الطبري في تفسير الآية طه/ ١٢٤، ١٦/ ١٦٥. الدر المنثور: ٥/ ٦٠٨.

(٣) الغزالي: إحياء علوم الدين، الصفحة السابقة.

(٤) لم أعثر على القائل، وقد أورده الشيخ البهائي ـ قده ـ أيضاً في أربعينه (شرح الحديث ٣٩، ص٤٨٥) قائلاً: «ولبعض أصحاب الحديث في نكتة التخصيص بهذا العدد وجه ظاهري إقناعي...».

«لمَّا كان لله سبحانه تسعةٌ وتسعون إسماً من أحصاها دخل الجنَّة[1]، وله تسعة وتسعون رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة ـ كماورد في الحديث[2] ـ والكافر لم يعرف الله بشيء من تلك الأسماء: جُعل له في مقابلة كلِّ اسم ورحمةٍ تنِّينٌ تنهشه في قبره».

وفي الكافي[3] عن مولانا الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ قال: ـ قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «إنِّي كنت لأنظر إلى الإبل والغنم وأنا أرعاها ـ وليس من نبيٍّ إلاّ وقد رعى الغنم ـ فكنتُ أنظر إليها وهي ممتلئة من المكينة[4] ما حولها شيءٌ يهيِّجها حتَّى تذعر وتطير، فأقول: «ما هذا»، وأعجبُ، حتَّى جائني جبرئيل عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: «إنَّ الكافر يُضرب ضربةً، ما خلَق الله شيئاً إلاّ سمعها ويذعر لها، إلاّ الثقلين».

وعن زيد بن ثابت[5] قال:

«بينا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في حائطٍ لبني النجار على بغلة له، ونحن معه إذ حادت به وكادت تلقيه، وإذا أقبُرٌ ستَّة ـ أو خمسة[6] ـ، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «مَن يعرف أصحابَ هذه الأقبُر»؟ قال رجلٌ: «أنا».

فقال: «متى ماتوا»؟ فقال: «في الشرك».

---

(١) مضى الحديث في: ١٥٢.

(٢) ابن ماجة: كتاب الزهد، باب (٣٥) ما يرجى من رحمةِ الله...، ٢/ ١٤٣٥، ح٤٢٩٣ ـ ٤٢٩٤، وجاء ما يقرب منه أيضاً في الترمذي: كتاب الدعوات، باب (١٠٠) خلق مئة رحمة: ٥/ ٥٤٩، ح٣٥٤١.

(٣) الكافي: كتاب الجنائز، باب أنّ الميت يمثّل له ماله، ٣/ ٢٣٣، ح١، مع فروق لفظية. عنه البحار: ٦/ ٢٢٦، ح٢٨.

(٤) في هامش النسخة: «المَكينة: السكينة». وفي المصدر: وكنت أنظر إليها قبل النبوة وهي متمكنة في المكينة.

(٥) مسلم: كتاب الجنة...، ح٦٧، ٤/ ٢١٩٩، مع فرق يسير. عنه البحار: ٦٤/ ١٩١. وجاء ما يقرب منه بألفاظ مختلفة في المسند: ٣/ ١٠٣ و١١١ و١١٤ و١٥٣ و١٧٥ و٢٠١ و٢٨٤ و٥/ ١٩٠. وجاء ذيل الحديث في كنز العمال: ١٥/ ٦٣٨، ح٤٢٥١٣.

(٦) أضيف في مسلم: أو أربعة.

فقال: «إنَّ هذه الأمَّة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا، لدعوت الله أن يُسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه[1]».

آثار الأعمال والملكات في القبر

قال بعض العلماء[2]:

«كلُّ مَن شاهَد بنور البصيرة باطنَه في الدنيا لرآه مشحوناً بأنواع المؤذيات والسباع ـ مثل الشهوة والغضب والمكر والحسد والحقد والكبر والريا والعُجب ـ وهي التي لا تزال تفترسه وتنهشه إن سهى عنها بلحظة، إلاّ أنَّ أكثر الناس محجوب العين عن مشاهدتها لشغلهم بالأمور الدنياويَّة، وبما يرد عليهم من الخارج من طرق الحواس، فإذا انكشف الغطاء ووُضع الإنسان في قبره عايَنها، وقد تمثَّلت بصورها وأشكالها الموافقة لمعانيها، فيرى بعينه العقاربَ والحيَّاتِ قد أحدقت به، وإنَّما هي ملكاته وصفاته الحاضرة الآن في نفسه ـ وقد انكشفت له صورُها الأصليَّة، فإنَّ لكلٍّ معنى صورة تناسبه.

فهذا عذاب القبر إن كان شقيَّاً ويقابله إن كان سعيداً».

ـ انتهى ـ.

وحاصله أنَّ عذاب القبر وثوابه بعينها الأمور التي كانت مع الإنسان في الدنيا تلذُّه وتؤذيه ـ وهو لا يشعر بذلك لانهماكه في الحسِّيات الفانية ـ ويؤيّده كثير من الآيات والأخبار:

(١) في هامش النسخة: «أقول: لعل المراد أنهم لو سمعوا لماتوا جميعاً، فلم يبق من يدفنهم» منه. وأُضيف في هامش نسخة علم الهدى: «ولعل المراد: أنّه لو لم أخف أن لا تدافنوا موتاكم خوفاً عليهم من عذاب القبر، لدعوت الله أن يُسمعكم».

(٢) لم أعثر على القائل، وقد أورده صدر المتألهين أيضاً في مفاتيح الغيب (٦٣٨) حاكياً بعض أهل الكشف، وفي المبدء والمعاد عن بعض العرفاء، وفي الأسفار الأربعة (٩/ ٢٢٠) عن بعض العلماء.

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٥٤] ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء: ١٠] ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ [آل عمران: ٣٠] أي تجد عين ذلك العمل حاضراً، وإن كان في جلباب آخر، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس: ٥٤].

وفي الحديث النبوي[١]: «إنَّما هي أعمالكم تُرد إليكم».

«الذي يشرب في آنية الذهب والفضَّة، إنَّما يُجرجر[٢] في جوفه نار جهنَّم»[٣].

«الظلمُ ظلماتٌ يومَ القيامة»[٤].

---

(١) جاء نص الحديث فيما رواه مفضل عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ من الأدلة على إثبات الصانع المعروف بتوحيد المفضل، البحار، ٣/ ٩٠، أول المجلس الثاني: «... ولذلك قال سيدنا محمد ـ صلوات الله عليه وآله ـ: إنما هي أعمالكم ترد إليكم». وسيجيء حكاية المؤلف للحديث النبوي عن أبي هريرة، وفيه: «إنما هي أعمالكم في صحفكم».
وأورد مسلم (كتاب البر والصلة، باب (١٥) تحريم الظلم، ح٥٥، ٤/ ١٩٩٥) في حديث قدسي رواه أبو ذر عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «... إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها».

(٢) الجرجرة: التصويت.

(٣) مسلم: كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال أواني الذهب والفضة...، ٣/ ١٦٣٤، ح١ ـ ٢. وجاء في بعض الأحاديث «آنية الفضة» فقط، منها مسلم الصفحة المذكورة. والبخاري: كتاب الأشربة، باب آنية الفضة، ٧/ ١٤٦. ابن ماجة: كتاب الأشربة، باب (١٧) الشرب في آنية الفضة: ٢/ ١١٣٠، ح٣٤١٣ و٣٤١٥. وجاء في الجميع: «في بطنه» بدلاً من «جوفه». وفيه وفي البخاري (نفس الصفحة): «نهى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عن الشرب في آنية الذهب والفضة».

(٤) الكافي: كتاب الكفر والإيمان، باب الظلم، ح١٠، ٢/ ٣٣٢، البخاري: المظالم والغصب. باب الظلم ظلمات، ٣/ ١٦٩. مسلم: كتاب البر، باب تحريم الظلم، ٤/ ١٩٩٦، ح٥٦ ـ ٥٧. الترمذي: كتاب البر والصلة، باب (٨٣) ما جاء في الظلم، ٤/ ٣٧٧، ح٢٠٣٠.
=

«الجنَّة قيعان وإنَّ غراسها سبحان الله وبحمده»[1].

وقال ﷺ لقيس بن عاصم[2]: «لا بدَّ لك ـ يا قيس ـ من قرين يُدفَن معك وهو حيّ، وتُدفَن معه وأنت ميِّت، فإن كان كريماً أكرمك، وإن كان لئيماً أساءك[3]، ثمَّ لا يُحشر إلاّ معك، ولا تُبعث إلاّ معه، ولا تُسأل إلاّ عنه، فلا تجعله إلاّ صالحاً، فإنَّه إن صلح آنست به، وإن فسد لا تستوحش إلاّ منه، وهو فِعلك».

رواه الصدوق رحمه الله في أماليه[4] وقد مضى ما يقرب من هذا المعنى في كلام أمير المؤمنين عليه السلام[5].

وفي نهج البلاغة من كلامه عليه السلام[6]: «أعمالُ العباد في عاجلهم، نصْب أعينهم في آجلهم».

وفي كلام فيثاغورث[7] ـ وهو من أعاظم الحكماء الأقدمين ـ:

---

(١) راجع ما مضى في أحاديث المعراج: ٦٧٩.

(٢) قيس بن عاصم المنقري، وفد على النبي ﷺ في وفد بني تميم وأسلم سنة تسع، راجع أسد الغابة: ٤/ ١٢٢، الترجمة ٤٣٦٤. معجم الشعراء: ١٩٩.

(٣) المصدر: أسلمك.

(٤) أمالي الصدوق: المجلس الأول، ٥١، ح٤. معاني الأخبار: باب معنى القرين الذي يدفن مع الإنسان، ٢٣٢، ح١، الخصال: باب الثلاثة، ١/ ١١٤، ح٩٣.
البحار: ٧١/ ١٧٠، ح١.

(٥) راجع ما مضى في أول الفصل السابق.

(٦) نهج البلاغة: الحكمة رقم ٧.

(٧) لم أعثر على مصدر هذا الكلام، غير أن صدر المتألهين أورده في كتبه ـ مثل الأسفار ٩/ ٢٩٤ ـ ومنه أخذ المؤلف. ولعله مأخوذ من الرسالة الذهبية التي أشار إليها صدر المتألهين في المبدء والمعاد (ص٣٢٣) عند ذكر أسامي بعض الحكماء المتقدمين المؤمنين ببقاء النفس: «ومما يدلّ على أنّ فيثاغورس ـ صاحب العدد، وهو من أفاضل الفلاسفة ـ رأى هذا الرأي، كلامه في الرسالة المعروفة بالوصايا الذهبيّة، وهي أيضاً موجودة عندنا». راجع أيضاً: الشواهد الربوبية: ٢١٩، الإشراق الخامس من الشاهد الثاني=

«إنَّك ستعارض لك في أفعالك وأقوالك وأفكارك، وسيظهر لك من كلِّ حركة فكريّة أو قوليّة أو عمليَّة، صورةٌ روحانيَّةٌ وجسمانيَّة، فإن كانت الحركة غضبيَّة أو شهويّة صارت مادَّة لشيطان يؤذيك في حياتك، ويحجبك عن ملاقاة النور بعد وفاتك، وإن كانت الحركة عقليَّة صارت ملكاً تلتذُّ بمنادمته في دنياك، وتهتدي به في أخراك إلى جوار الله ودار كرامته».

وفي الأخبار العاميَّة[1] عن عبد الله بن سلام[2] قال: سألت رسولَ الله ﷺ عن أوَّل ملك يدخل في القبر على الميِّت قبل منكر ونكير؟

قال رسول الله ﷺ: «يا بن سلام - يدخل على الميِّت ملكٌ قبل أن يدخل منكر ونكير، يتلألأ وجهه كالشمس، اسمه رومان، يدخل على الميِّت، ثمَّ يقعده، فيقول له: «أكتب ما عملتَ من حسَنة من سَيِّئة».

فيقول له: «بأيِّ شيء أكتب؟ أين قلمي؟ وأين دواتي ومدادي»؟

فيقول له: «ريقُك مدادٌ، وقلمك إصبعك».

فيقول: «وعلى أيِّ شيء أكتبه وليس معي صحيفة»؟

- قال -: «فيقطع كفنَه فيناوله، فيقول: «هذا صحيفتك، فاكتب ما عملت في الدنيا خيراً وشرّاً»، فإذا بلغ سيِّئة يستحيي منه، فيقول له الملك: «يا خاطىء أما تستحيي من خالقك حيث عملتَها في الدنيا، وتستحيي منِّي الآن؟» فيرفع الملكُ العمودَ فيضربه. فيقول العبد: «ارفع عنِّي حتَّى اكتبها».

فيكتب فيها جميعَ حسناته وسيّئاته، ثمَّ يأمر أن يطويه ويختمه، فيطوي،

= من المشهد الثالث.

(١) أورده في البحار (٥٩/ ٢٣٤) عن كتاب زهرة الرياض.

(٢) عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي من الصحابة، كان من أحبار اليهود فأسلم، مات سنة ثلاث وأربعين بالمدينة. راجع طبقات ابن سعد: ٢/ ٣٥٢ - ٣٥٣. المسند: ٥/ ٤٥٠. سير أعلام النبلاء: ٢/ ٤١٣ - ٤٢٦.

فيقول: «بأيِّ شيء أختمه؟ وليس معي خاتم؟».

فيقول: «اختمه بظفرك».

ويعلّه في عنقه إلى يوم القيامة، كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الاسراء: ١٣]، ثم يدخل بعد ذلك منكر ونكير».

وكذلك إذا رأى العاصي كتابه يوم القيامة، فإذا أمره الله ـ تعالى ـ بالقراءة: فقرأ حسناتِه، فإذا بلغ سيآتِه سكت، فيقول الله ـ تعالى ـ: «ألا تقرأ»؟ فيقول: «أستحيي منك ـ يا ربِّ».

فقال الله ـ تعالى ـ: «ألا تستحيي في الدنيا، الآن استحييت»؟

فيندم العبد، فلم ينفعه الندم، فيقول: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ [الحاقة: ٣٠].

أقول: ولعلَّه أشير إلى هذا الملك ما ورد في الصحيفة السجاديَّة: «ورومان فتّان القبور» ـ كما مرَّ في مباحث الملائكة[١].

وفي الأخبار العاميَّة[٢] ـ أيضاً ـ: «إذا وضع الميِّت في القبر أتاه ملكان أسودان أزرقان، أصواتُهما كالرعد العاصف، وأبصارهما كالبرق الخاطف، يخرقان الأرض بأنيابهما، فيأتيان من قِبلِ رأسه، فتقول صلاتُه: «لا تأتيا من قِبل صلاته، فإنَّه يصلِّي في الليل والنهار حذَرًا من هذا الموضع». ثمَّ يؤتى من قِبل رجليه، فتقول: «لا تأت من قِبلي، فقد كان يمشي إلى الجماعة حذراً من هذا الموضع». فيأتي من قِبل يمينه، فتقول الصدقة: «لا تأت من قِبلي، فقد كان يتصدَّق حذراً من هذا الموضع». فيأتي مِن قِبل الشمال، فيقول صومُه: «لا تأت من قِبلي، فقد كان يجوع ويعطش حذراً من هذا الموضع»[٣].

---

(١) مضى في الصفحة: ٤٢٥.

(٢) جاء ما يقرب منه في الترغيب والترهيب: كتاب الجنائز، ما جاء في عذاب القبر ونعيمه...» ٦/١٦٩.

(٣) في الترغيب والترهيب: فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة: ما قبلي مدخل، ثم يؤتى عن=

فيوقَظ ـ كما يوقَظ النائم ـ فيقولان: «ما تقول في محمَّد»؟

فيقول: «أشهد أنَّ محمَّداً رسول الله».

فيقولان: «عشتَ مؤمناً، ومُتَّ مؤمناً».

تحقيق في المنكر والنكير وحالات الميت في القبر

يخطر بالبال: أنَّ «المنكَر» عبارة عن جملة الأعمال المنكَرة التي فعَلها الإنسان في الدنيا، فتمثَّلت في الآخرة بصورة مناسبة لها، مأخوذ مما هو وصف الأفعال في الشرع ـ أعني المذكور في مقابلة «المعروف».

و«النكير» هو الإنكار لغة.

ولا يبعد أن يكون الإنسان إذا رأى فعلَه المنكَر في تلك الحال أنكرَه ووبَّخ نفسَه عليه، فتمثَّل تلك الهيأة الإنكاريّة أو مبدؤها من النفس بمثال مناسب لتلك النشأة. وقد علمتَ أنَّ قوى النفس ومبادىء آثارها ـ كالحواسّ ومبادىء اللمم وغير ذلك ـ يسمّى في الشرع بالملائكة.

ثم إنّ هذا الإنكار من النفس لذلك المنكَر، يحملها إلى أن يلتفت إلى اعتقاداتها ويفتِّش عنها، أهي صحيحةٌ حسنَة حقَّة؟ أم فاسدةٌ خبيثةٌ باطلةٌ؟ ليظهر نجاتها وهلاكها ويطمئنَّ قلبُها.

وذلك لأنَّ قبول الأعمال موقوفٌ على صحَّة الاعتقاد، بل المدار في النجاة على ذلك ـ كما هو مقرَّرٌ ضروريٌ من الدين ـ.

= يمينه فيقول الصيام: ما قبلي مدخل، ثم يؤتى عن يساره، فتقول الزكاة: ما قبلي مدخل، ثم يؤتى من قبل رجليه فيقول فعل الخيرات من الصدقة والمعروف والإحسان إلى الناس: ما قبلي مدخل...

وإليه أشير بقوله ﷺ: «حبُّ عليٍّ لا تضرّ معه سيّئة، وبغض عليّ لا تنفع معه حسنة».

ثمَّ قد بيّن أنَّ صور تلك النشأة وموجوداتها كلّها حيَّة مدركة، ولا ميِّت فيها ـ وسنؤكِّد ذلك بالأخبار والنقول فيما بعد ـ وكلّ حيٍّ مدركٍ يحبُّ نفسَه ويحبُّ أن يكون مقبولاً غير مردود، فكأنَّ المفتِّش عن الاعتقاد إنَّما هو الملكان، حيث صار ذلك غرضاً لهما بهذا الاعتبار.

وأيضاً: فإنَّ النفس أقرب إلى الاعتقاد من العمل إليه، فكأنَّها عالمةٌ به، فينبغي أن تكون مسؤولاً عنها، لما بينها وبينه من الاتحاد، والملكان سائلين، لما بينهما وبينه من المبائنة.

ويؤيّد هذا سكوته ﷺ في الحديث المذكور عن العمل المنكر، واقتصاره على ذكر العمل الصالح، وتسمية الملكين في بعض الأخبار بـ «قعيدَي القبر» ـ حيث يشعر بالمصاحبة ـ وعدم السؤال إلاّ عن المؤمن المحض والكافر المحض، فإنَّ من لا يهتمّ بالدين فهو بمعزل عن ذلك.

إلى غير ذلك من الإشارات، وسينكشف لك زيادة انكشاف بما ستطلع عليه من نظائره ـ والله أعلم بأسرار شريعته ـ.

وقال بعض العلماء:

«إنّه لمّا كانت السعادة والشقاوة الحاصلتان للنفس إنَّما تحصل من جهة قوَّتين ـ: نظريَّة وعمليَّة ـ جعل ما يكتسب على كلّ واحدة منهما ملكاً، فإن كان المكتسب جهلاً مركَّباً ورذائل أخلاق، فمنكر ونكير، وإن كان علماً ومكارم، فمبشِّر وبشير، ومن تصوَّر ثواب القبر وعذابه يتصوّر ثواب الجنَّة وعذاب النار»[1].

---

(١) كتب المؤلف هنا الفصل الآتي ثم شطب عليه:
فصل: =

أعلم أنَّ هذه الأمور القبريَّة والأهوال المُطلعيّة ليست أموراً موهومة لا وجود لها في الأعيان ـ هيهات ـ فإنّ من يعتقد ذلك فهو كافرٌ في الشريعة، ضالٌّ في الحكمة.

بل هي أقوى في الوجود وأشدُّ تحصّلاً في التجوهر من هذه الحسّيات الدنياويَّة بكثير، لأنَّ هذه الصور توجد في المادَّة الجسمانيَّة ـ التي هي أخسُّ الموضوعات ـ وتلك قائمة في موضوع النفس، ولا نسبة بين الموضوعين في الشرف والخسّة، فلا نسبة بين الصورتين في القوَّة والضعف.

على أنَّ كلتيهما مدرَكتان للنفس، إحداهما بواسطة الآلات الجسدانيَّة، والأخرى بذاتها[1].

ومن هنا صحَّ أن يقال[2]: «إنَّ الدنيا والآخرة حالتان للنفس». وأن يقال: «إنَّ النشأة الثانية عبارةٌ عن خروج النفس عن غبار هذه الهيأة البدنية»، فمن قَبل أن تخرج عن البدن لا ترى تلك الصورة إلا مشاهدة ضعيفة ـ وذاك أيضاً لبعض الناس ـ وإذا تجرّدت وارتفعت الشواغل وقوي العزيمة وانحصرت القوى كلّها في قوَّة واحدة ـ وهي المتخيّلة على ما حقَّقناه فيما قبل[3] ـ وتصير هي عيناً

= قيل: الحكمة في سؤال منكر ونكير أنّ الملائكة طعنت لبني آدم حيث قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ ـ الآية ـ [البقرة: ٣٠]، فردّ الله ـ تعالى ـ عليهم وقال: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، فبعث الله الملكين إلى قبر المؤمن ليسألاه مَن ذلك الخبر، فيأمرهما أن يشهدا بين يدي الملائكة بما سمعا من عبده المؤمن ـ لأنَّ أقلّ الشهود اثنان ـ.
ثم يقول الله ـ تعالى ـ: «يا ملائكتي ـ قد أخذتُ روحَه، وتركتُ مالَه لغيره، وزوجتَه في حجر غيره، وجاريته لغيره، وضياعه لغيره، وأحبَّاءَه لغيره، فيسأل به ببطن الأرض، فلم يجب عن أحدٍ إلاّ عنّي، فقال: «الله ربّي، وديني الإسلام، ونبيّي محمَّد ﷺ» لتعلموا أني أعلم ما لا تعلمون.

(١) مقتبس من مفاتيح الغيب: المفتاح الثامن عشر، المشهد الخامس: ٦٠٧.
(٢) نفس المصدر: ٦٠٩.
(٣) في هامش النسخة:
«قال في الفتوحات: الاحتضار حال استشراف على حضرة الخيال الصحيح، الذي لا =

باصرة وقوّة فعّالة: ينقلب العلم مشاهدة، والمسموع مشافهة.

وقد تبيّن أنّ أهل كل نشأة إنّما يدرك الموجودات التي فيها على سبيل المشاهدة، والتي في غيرها على سبيل الحكاية، فشهادة كل نشأة غيبٌ في أخرى، وعيانها علمٌ وخبرٌ في غيرها، «والناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا».

فالصور الدنياويّة بالنسبة إلى الأخراويّة كالصور المناميّة إلى الانتباهيّة.

ومن هنا يظهر أنه لا يلزم أن يشاهَد تلك الأمور في القبر بهذه الآلات الجسدانيّة، لأنّها من نشأة أخرى، ومَن يشاهدها في الدنيا، فذاك من ظهور سلطان الآخرة عليه، كما يشاهد النبيُّ ﷺ جبرئيل ـ صلوات الله عليه ـ ولا يشاهده غيره من الحاضرين، فإنَّ لكلٍّ نشأة حكمها ـ فاغتنم وافهم.

قال بعض المحقّقين[1]:

«الفرق بين الصوَر التي يراها ويكون الإنسان عليها في البرزخ والتي يشاهدها ويكون الإنسان عليها في الجنة أو النار عند قيامته الكبرى، إنَّما يكون بالشدَّة والضعف والكمال والنقص، إذ كلٌّ منها صور إدراكيَّة جزئيَّة غير مادِّية، إلاّ أنَّها مشهودة في عالم البرزخ بعين الخيال، وفي عالم الجنان بعين الحسّ، لكنّ عين الحسّ الأُخروي ليس غير عين الخيال، بخلاف الحسّ الدنيوي، المنقسم بخمس قوى في خمسة مواضع من البدن مختلفة.

فموضع البصر هو العين، وموضع السمع هو الأُذُن، وموضع الذوق هو اللسان، ولا يمكن ـ أيضاً ـ أن يفعل كلٌّ منها فعلَ صاحبه.

فالبصر لا يسمع، والسمع لا يبصر، وهما لا يذوقان ولا يشمّان ـ وعلى

= يدخله ريب، ما هو الخيال الذي هو قوّةٌ في الإنسان في مقدّم الدماغ، بل هو خيال من خارج، كجبرئيل في صورة دحية، وهو حضرة مستقلّة وجوديّة صحيحة، ذات صور جسديّة، تلبسها المعاني والأرواح».

(١) صدر المتألهين في الأسفار الأربعة: ٩/ ٣٣٥ ـ ٣٣٦.

هذا القياس في الجميع.

فإن قلت: باصرةُ العين ولامستُها في موضع واحد؟

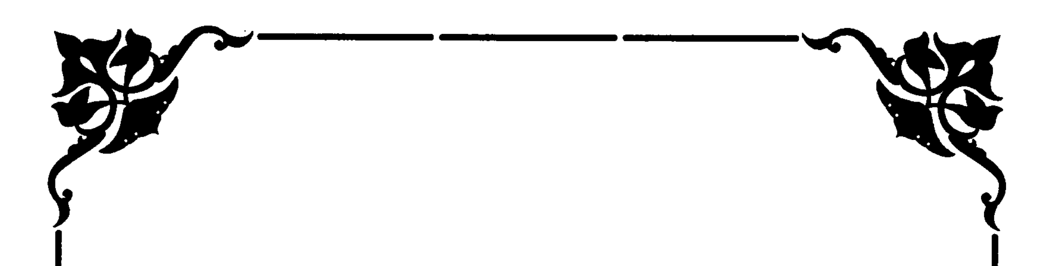
قلنا: ليس كذلك. بل الباصرةُ في الجليدية، ولامسةُ العين في القرنية. وأمَّا حواسُّ الآخرة، فجميعها في موضع واحد غير متغائر في الوضع والجهة، وكلٌّ منها يفعل فعلَ صاحبه.

ونسبة الصور البرزخيَّة إلى الصور التي في القيامة الكبرى كنسبة الطفل والجنين إلى البالغ».

وقال:

«إنَّ حالةَ القبر أُنموذج من أحوال القيامة، فإنَّ الإنسان لكونه قريب العهد من الدنيا، لم تستحكم نفسُه قوَّةُ انكشاف الآخرة على وجه الكمال، كما لم تستحكم في الجنين قوَّة الإحساس بالمحسوسات، فما دامت النفس حالها على هذا المنوال من الضعف، وإدراكه كإدراك النائم، يقال: «إنَّها في عالم القبر والبرزخ»، وإذا اشتدَّت قوَّتها قامت قيامتها».

* * *



الباب الثالث

نفخ الصور والبعث والحشر

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾

[الزمر: ٦٨]

الصور والنفخ

قيل: «الصور ـ بسكون الواو، وقريء بانفتاحها أيضاً ـ: جمع الصورة[١].

وسئل النبيّ ﷺ عنه، فقال[٢]: «قرنٌ من نورٍ التقمه إسرافيل».

فوصف بالسعة والضيق. واختلف في أنّ أعلاه ضيّقٌ وأسفله واسعٌ، أو بالعكس، ولكلٍ وجهٌ.

وورد[٣]: «أنّ فيه ثقباً بعدد كلِّ إنسان، ثقبة فيها روحه»[٤].

---

(١) قراءة الفتح روي عن الحسن كما سيجيء، وحكاه في مجمع البيان (٨/ ٥٠٨) عن قتادة.

(٢) ورد في الفتوحات (الباب الثالث والستون: ١/ ٣٠٦): «أنّ رسول الله ﷺ لما سئل عن الصور، ما هو؟ فقال ﷺ: «هو قرن من نور ألقمه إسرافيل»، فأخبر أنّ شكله شكل القرن، فوصف بالسعة والضيق، فإنّ القرن واسع ضيّق. . .».
ولم أعثر على هذا النص في الجوامع الروائيّة، والذي جاء في بعض الأحاديث: «قال أعرابي: يا رسول الله ـ ما الصور؟ قال: قرن ينفخ فيه». رواه الترمذي: كتاب التفسير، سورة المدثر، ٥/ ٣٧٣، ح٣٢٤٤. والمستدرك للحاكم: كتاب التفسير سورة المدثر، ٢/ ٥٠٦، والمسند: ٢/ ١٦٢ و١٩٢. كنز العمال: ١٤/ ٣٥١، ج٣٨٩٠٤. وفي حديث آخر ورد بألفاظ مختلفة: «كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرنَ وحنى الجبهة. . .». الترمذي: الباب المذكور، ٥/ ٣٧٢، ح٣٢٤٣. «. . .وصاحب الصور قد التقم القرن. . .»: كنز العمال: ١٤/ ٣٥١ ـ ٣٥٢. «. . .وصاحب الصور قد التقمه. . .»: المستدرك للحاكم: ٤/ ٥٥٩.

(٣) في الدر المنثور (الأنعام/ ٧٣، ٣/ ٢٩٨ ـ ٢٩٩): «وأخرج أبو الشيخ في العظمة، عن وهب بن منبه، قال: خلق الله الصور. . . ثم قال كن، فكان إسرافيل. فأمره أن يأخذ الصور فأخذه، وبه ثقب بعدد كل روح مخلوقة ونفس منفوسة، لا تخرج روحان من ثقب واحد. . .».

(٤) هنا جاء في المطبوعة القديمة فقرتان منقولتان عن تفسير الفخر الرازي (قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا

والنفخة نفختان[1]: نفخة تطفىء النارَ، ونفخة تشعلها، فإذا تهيأ صورُ الخلائق، كانت فتيلة استعدادها كالحشيش المحترق، وهو الاستعداد لقبول الأرواح، كاستعداد الحشيش بالنار التي[2] كُمنت فيه لقبول الاشتعال، والصور البرزخية ـ كالسُرج ـ مشتعلة بالأرواح التي فيها، فينفخ إسرافيل نفخة واحدة، فتمرُّ على تلك الصور، فتطفئها، وتمرُّ النفخة التي تليها ـ وهي الأخرى ـ على الصور المستعدَّة للاشتعال ـ وهي النشأة الأخرى، فتشتعل بأرواحها ﴿ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [الزمر: ٦٨]. فتقوم تلك الصور أحياءً ناطقةً بما ينطقها الله، فمن ناطق بـ «الحمد لله»، ومن ناطق يقول: ﴿ مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ﴾ [يس: ٥٢]، ومن ناطق يقول: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور».

وكلٌ ينطق بحسب علمه وحاله وما كان عليه، ونسي حالَه في البرزخ، ويتخيَّل أنَّ ذلك منامٌ كما يتخيَّله المستيقظ، وقد كان عند موته وانتقاله إلى البرزخ كالمستيقظ هناك، وأنَّ الحياة الدنيا كانت له كالمنام، وفي الآخرة يعتقد أمرَ الدنيا والبرزخ أنه منامٌ في منام[3].

= نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، والأسفار الأربعة (٩/ ٢٧٥)، وحيث لا يوجد شيء منهما في النسخ المخطوطة أعرضنا عن ذكرها، ولعلها مما كتبه المؤلف ثم أعرض عنه وأخرج الورقة المكتوبة من نسختها.

(١) مقتبس من الفتوحات المكية: الباب الرابع والستون: ١/ ٣١٣.

(٢) الفتوحات: الحشيش المحرق... بالنارية التي.

(٣) هنا جاء في الطبعة القديمة الفقرات التالية وليس شيء منها في النسخ المخطوطة، والذي يظهر أنها كسابقتها التي كتبها المؤلف ثم أعرض عنها وأسقط الورقة المكتوبة أيضاً من النسخة، وهذه السطور وإن كانت من كلام ابن عربي غير أنها كسابقتها منقولة عن الأسفار الأربعة: ٩/ ٢٧٦، وهي:

«وقال في موضع لآخر بعد ذكر الناقور والصور: وليعلم بعد ما قرَّرناه، أنَّ الله تعالى بعدما قبض الأرواح من هذه الأجسام الطبيعيَّة والعنصريَّة، أودعها صوراً أخذها في مجموع هذا القرن النوريّ، يجمع ما يدركه الإنسان بعد الموت في البرزخ، من الأمور التي يدركها بعين الصورة التي هو بها في القرن.

والنفخة نفختان: نفخةٌ تطفىء النار، ونفخةٌ تشعلها، فلذلك نفخة الصور نفختان: الأولى=

والنفخة وإن كانت من جانب الحقّ واحدة ـ لإحاطته بجميع ما سواه ـ لكنَّها بالنسبة إلى الخلائق نفخاتٌ متعدِّدة ـ حسب تعدُّد الأشخاص، كما أنَّ الأزمنة والأوقات المتمادية هيهنا إنَّما هي ساعة واحدة بالقياس إليه «وما أمر الساعة إلا واحدة».

و«الساعة» أيضاً مأخوذٌ من السعي، لأنَّ جميع الأشياء متوجِّهة إليه تعالى، ساعية نحوه.

نفخ الصور

وفي بعض الروايات[1] أنّ النفخات ثلاثة: نفخةٌ للفزع، ونفخة للصعق، ونفخة للبعث.

فيأمر الله تعالى إسرافيل في النفخة الأولى فينفخ فيه، فيفزع من في السماوات ومن في الأرض، وهو قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي

= للإماتة لمن يزعم أنّ له حياة ـ سواء كان من أهل السماوات أو من أهل الأرض. قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨] وهم الذين سبقت لهم القيامة الكبرى، وإليهم الإشارة بقوله تعالى: ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ * لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ * لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: ١٠١ ـ ١٠٤] إذ الفزع الأكبر إشارة إلى ما في قوله: ﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: ٨٧].

والثانية لأجل الإحياء بعد الإماتة، والبقاء بعد الفناء، حياة أرفع من الأولى ـ بقاء حقيقياً لافناء بعده. قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [القلم: ٩٣].

(١) قال في مجمع البيان (٦/٤٩٦)، قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف: ٩٩]: «قيل: إنّه ينفخ إسرافيل في الصور ثلاث نفخات: فالنفخة الأولى: نفخة الفزع، والثانية: نفخة الصعق التي يصعف مَن في السماوات والأرض بها فيموتون، والثالثة: نفخة القيام لرب العالمين، فيحشر الناس بها من قبورهم».

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٨٧].

وتزلزلت الأرض: ﴿تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ [الحج: ٢]، ويصير الولدان شيبا، وتطير الشياطين هاربة، وهو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٌ﴾ ـ الآية ـ [الحج: ١] فيمكثون ما شاء الله[1].

ثمَّ يأمر الله إسرافيل فينفخ نفخة الصعق، فيصعق ـ يعني يموت ـ أهل السماوات والأرض، وهو قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾ [الزمر: ٦٨] ثمَّ يأمر الله تعالى إسرافيل، فينفخ نفخة البعث، فتخرج الأرواح كأنَّها النحل، قد ملأت ما بين السماء والأرض، فتدخل الأرواح في الأرض إلى الأجساد في الخياشيم ـ يعني الآناف ـ فتنشقُّ الأرض عنها[2].

---

(١) أضيف هنا في المطبوعة القديمة ما يلي وهو كسابقيها الدان أشرنا إليهما في التعليقة السابقة:
وفي بعض الأخبار: «وتسير الجبال سيراً، وتمور السماء موراً، وترجف الأرض رجفاً ـ مثل السفينة في الماء ـ وتضع الحوامل، وتذهل المراضع وتصير الولدان شيبا، وتصير الشياطين هاربة وقد تناثرت عليهم النجوم، وكسفت الشمس والقمر، وكشطت السماء من فوقهم ـ والأموات من ذلك في غفلة، وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١] ويكون كذلك أربعين سنة.

(٢) أضيف هنا في المطبوعة القديمة ما يلي، وهذا أيضاً مثل سابقه:
وفي رواية أبي هريرة: «أنَّ للصور أربع شعَب، شعبةٌ منها في المشرق، وشعبةٌ منها في المغرب، وشعبةٌ منها تحت الأرض السابقة، وشعبة منها فوق السماء السابعة. وفي الصور أبواب بعدد الأرواح، ففي واحد أرواح الأنبياء، وفي واحد أرواح الملائكة، وفي واحد أرواح الشياطين، وفي واحد أرواح الهوامّ ـ حتَّى النملة ـ وفي واحد أرواح البهائم ـ إلى سبعين صنفاً».

عود الأرواح إلى الأبدان

روي في الكافي عن مولانا الصادق عليه السلام[1] أنّه سئل عن الميّت: «يبلى جسدُه»؟

قال: «نعم ـ حتّى لا يبقى له لحمٌ ولا عظمٌ إلا طينته التي خُلق منها، فإنّها لا تبلى، تبقى في الأرض مستديرة، حتّى يُخلق منها ـ كما خُلق أوّل مرّة».

أقول: كأنّ استدارتها كناية عن انتقالها من حال إلى حال، بمعنى الحركة، وإنّما لا تبلى لأنّها لا تقبل البلى.

وروى الصدوق[2] بإسناده الصحيح، عن مولانا الصادق عليه السلام، أنّه قال: «إذا أراد الله أن يُبعث الخَلق أمطرَ السماءَ على الأرض أربعين صباحاً، فاجتمعت الأوصالُ ونبتت اللحومُ».

قيل: «هي إشارة إلى الأطوار البرزخيّة، التي بها يتمُّ البعث والإعادة، المشار إليها بقوله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩] كالأطوار الحمليّة التي للجنين في بطن أمّه، التي بها يتمُّ الخَلق أوّل مرّة، فقس الآخرة بالأولى: فـ ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨].

أقول: وقد أشرنا فيما سبق إلى الأطوار الخلقيّة والبعثيّة، وقياس الثانية على الأولى، والآيات الواردة في ذلك ـ فليتذكّر.

---

(١) الكافي: كتاب الجنائز، باب النوادر: ٣/ ٢٥١، ح٧.
عنه البحار: ٧/ ٤٣، ح٢١. و٦٠/ ٣٥٧ ـ ٣٥٨، ح٤٣.

(٢) أمالي الصدوق: المجلس الثالث والثلاثون، ح٦، ٢٤٣. الزهد للأهوازي: باب (١٦) المساءلة في القبر والبرزخ، ٨٨، ح٢٣٧.
عنهما البحار: ٧/ ٣٣، ح١. وأورده عن تفسير القمي أيضاً: ٧/ ٣٩.

ولا تعجُّب لأُولي الألباب من النشأة الثانية والبعث إليها أصلاً، بل تعجُّبهم من النشأة الأولى أكثر بكثير، إلا أنَّ الأولى لمَّا كانت محسوسة، مشاهدة، معتادة: سقط التعجُّب منها.

كما ذكر بعض العرفاء[1] أنَّه:

«لو سمع عاقلٌ ـ قبل أن يشاهد ـ أنَّ إنساناً حرَّك نفسَه فوقَ امرأة مراراً ـ كما يحرك الممخض ـ وخرج من بعض أجزائيه شيء مثل زبد سيّال، فيخفى ذلك الشيء في بعض أجزاء المرأة، ويبقى مدَّة على هذه الحالة، ثمَّ يصير علقة، ثمَّ العلقة تصير مضغة، ثمَّ المضغة تصير عظاماً، ثمَّ يُكسى العظام لحماً، ثمَّ تحصل منه الحركة، فيخرج من موضع لم يعهد خروج شيء منه على حالة لا تهلك أمّه ولا تشقُّ عليها ولادتُه، ثمَّ يفتح عينه، ويحصل في ثدي الأمِّ مثل شراب مائع ـ لم يكن فيها قبل ذلك شيء ـ ويغتذي به الطفل إلى أن يصير هذا الطفل بالتدريج صاحب صناعات واستنباطات، بل ربما يكون هذا الذي أصله نطفة ـ وهو عند الولادة أضعف خلق الله ـ عن قريب ملكاً جبَّاراً قهَّاراً، يملك أكثر العالم ويتصرّف فيه. فإنَّ التعجُّب من ذلك أكثر وأوفر من التعجُّب من النشأة الثانية».

وإلى ذلك أشير في القرآن بقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٦٢].

قال سيّد العابدين عليه السلام[2]: «عجباً ـ كلّ العجب ـ لمن أنكر الموت،

---

(١) الغزالي في المضنون به على غير أهله: مجموعة رسائل الغزالي، ٤/ ١٥٤ ـ ١٥٥.
والمعهود من عادة المؤلف التعبير عن الغزالي بـ«بعض العلماء»، فما عبّر به هنا «بعض العرفاء» إما من سهو القلم، أو أنه نقل الكلام عن شخص آخر لم أعثر عليه وهو اقتبس عن الغزالي، أو الغزالي أخذ عنه.

(٢) المحاسن: كتاب مصابيح الظلم، ح٢٣٠: ١/ ٢٤٢. أمالي الطوسي: المجلس ٣٥، ح٣١، ٦٦٣، مع فرق يسير. عنهما البحار: ٧/ ٤٢، ح١٤. ٧٨/ ١٤٢، ح٤.

وهو يرى من يموت كلّ يوم وليلة، والعجب كلّ العجب لمن أنكر النشأة الآخرة، وهو يرى النشأة الأولى».

البدن الأخروي

قيل: البدن المحسوس أمرٌ مركّبٌ من جواهر متعدّدة، ظهرت من اجتماعها الأبعاد الثلاثة، مع طبيعة لها أعراض لازمة أو مفارقة.

ثمَّ إذا بلغنا أجلنا الذي أُجِّلَ لنا، وتلاشى هذا التركيب بالموت، رجع كلّ جوهر من جواهره إلى أصله وعالمه مفردة، أمّا الأرواح فإلى مرجع الأرواح: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦].

وأمّا الأشباح فإلى التراب الرميم ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ [طه: ٥٥]، وبطلت الأعراض الدنيويّة، واضمحلّت الهيآت البدنيّة لعدم جواز الانتقال عليها من موضوع الدنيا إلى موضوع الآخرة.

ثمَّ إذا جاء وقت العود والبعث بأمر الله، ركّب الجسم من أصول تلك الجواهر وصوَّرها، من دون مادّة دنيويّة ـ تركيباً لا يقبل الفساد، فيكون الجسم الأُخرويّ مجرَّد جواهر بلا أعراض هذه الدنيا ولا مادّتها، ولم يكن له صفاتٌ مستحيلةٌ زائلة، حاصلةٌ من انفعال الموادّ.

الحشر على صور الملكات

إنَّ حشر الخلائق يكون على أنحاء مختلفة حسب أعمالهم وملكاتهم:

فلقوم على سبيل الوفد ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥].

ولقوم على وجه التعذيب: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [فصلت: ١٩].

ولقوم: ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢].

ولقوم: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤].

ولقوم: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ * فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر: ٧١ ـ ٧٢].

وبالجملة لكلٍّ أحد إلى غاية سعيه وعمله وما يحبُّه، حتَّى أنَّه «لو أحبَّ أحدكم حجراً لحُشر معه»[١].

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الانبياء: ٩٨] وقال: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [الصافات: ٢٢ ـ ٢٣].

فإنَّ تكرُّر الأفاعيل يوجب حدوثَ الملكات، فكلُّ ملكة تغلب على الإنسان في الدنيا تتصوَّر في الآخرة بصورة تناسبها: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾ [الاسراء: ٨٤].

ولا شكَّ أنَّ أفاعيل الأشقياء المدبِرين إنَّما هي بحسب هممهم القاصرة النازلة في مراتب البرازخ الحيوانيَّة[٢]، وتصوُّراتهم مقصورة على أغراض بهيميَّة أو سُبعيَّة أو شيطانيَّة تغلب على نفوسهم، فلا جرم يحشرون على صور تلك الحيوانات في القيامة[٣].

وفي الحديث[٤]: «يُحشر الناس على نيَّاتهم».

---

(١) أمالي الصدوق: المجلس ٣٧، ح٩، ٢٧٨: «لو أنَّ رجلاً أحبَّ حجراً لحشره الله معه».

(٢) في النسخ: «البرزخ الحيوانية» والتصحيح من الأسفار والمفاتيح.

(٣) كتب هنا ما يلي ثمَّ شطب عليه:
كما قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥]، وقال: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ﴾ [الأنعام: ١٢٨].

(٤) ابن ماجة: كتاب الزهد، باب (٢١) النية، ٢/ ١٤١٤، ح٤٢٣٠، المسند: ٢/ ٣٩٢.
وجاء عن الصادق عليه السلام في الكافي: كتاب الجهاد، باب الغزو مع الناس...، =

وفيه أيضاً[1] «يحشر بعضُ الناس على صوَر تحسنُ عندها القرَدةُ والخنازيرُ».

وفيه أيضاً[2]: «يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف: ركباناً، ومشاة، وعلى وجوههم».

فقيل: «يا رسول الله ـ فكيف يمشون على وجوههم»؟

قال: «الذي أمشاهم على أقدامهم قادرٌ على أن يُمشيهم على وجوههم».

والسرُّ في ذلك أنَّ لكلّ خُلقٍ من الأخلاق المذمومة والهيآت الرديَّة المتمكِّنة في النفس صورةَ نوع من أنواع الحيوانات وبدناً يختصُّ بذلك. كصور أبدان الأسود ونحوها لخُلق التكبُّر والتهوُّر ـ مثلاً ـ وأبدان الثعالب وأمثالها للخبث والروغان، وأبدان القِرد وأشباهها للمحاكاة والسخريَّة، وأبدان الطواويس ونظائرها للعُجب، والخنازير للحرص، والديك للشهوة ـ إلى غير ذلك ـ.

وكذلك بإزاء كلِّ مرتبة ـ قويَّة أو ضعيفة ـ من خُلق مَّا، بدن نوع خاصّ من الحيوانات التي اشتركت في ذلك الخُلق، كعِظم الجثَّة لشديد ذلك الخُلق، وصغيرها لضعيفه. وربما كان لشخص واحد من الإنسان عددٌ كثير من الأخلاق الرديَّة على مراتب متفاوتة، فبحسب كلّ خُلقٍ مذموم في نفسه وضعف ذلك وما ينضمّ إليه من باقي الأخلاق المحمودة والمذمومة القويَّة والضعيفة واختلاف تراكيبها الكثيرة التي لا يقدر على حصرها إلا الله ـ سبحانه ـ تختلف الصور

= ٥/ ٢٠. والتهذيب: كتاب الجهاد، باب من يجب معه الجهاد: ٦/ ١٣٥.
المحاسن: كتاب مصابيح الظلم، باب (٣٣) النية: ١/ ٢٦٢، ح٣٢٥.
عنه البحار: ٧٠/ ٢٠٩، ح٢٩.

(١) لم أعثر عليه.

(٢) الترمذي: كتاب التفسير، باب (١٨) سورة بني إسرائيل: ٥/ ٣٠٥، ح٣١٤٢. المسند: ٢/ ٣٥٤. كنز العمال: ١٤/ ٣٦٠، ح٣٨٩٣٣.

الحيوانيّة في الآخرة»[1].

إنَّ المُعاد في المعَاد والمحشور في الآخرة، هو بعينه هذا الشخص الإنساني الذي في الدنيا والبرزخ ـ روحاً وبدناً ـ بحيث لو يراه أحدٌ عند المحشر يقول: «هذا فلان، الذي كان في الدنيا».

كما قال مولانا الصادق عليه السلام في البرزخي: «لو رأيتَه لقلتَ فلان».

وإن كان صورتُه صورةَ حمار أو خنزير، أو ضِرسُه مثلَ جبل أُحُد ـ تغليظاً للعقوبة ـ أو كانوا جُرداً مُرداً مكحّلين، أبناء ثلاث وثلاثين، على خَلق آدم، طولهم ستّون في عرض سبعة أذرع ـ ليتوفَّر عليهم اللذات ـ كما ورد كلّه في الأخبار.

وذلك لأنَّ تشخُّص البدن ـ على ما حقَّقه المحقِّقون[2] ـ ليس إلاّ بالنفس، فلا يمتاز ولا يتعيَّن إلاّ بها، ولهذا يكون بدنُ زيد وأعضاؤه ينسب إليه ويعرف به ويُحكم بوحدته ـ وإن تبدَّل أنواعاً من التبدُّل.

فجوهريَّة هذا الإنسان واحدة في الدنيا والآخرة وروحُه باقٍ مع تبدُّل الصوَر عليه ـ من غير تناسخ باطل ـ وكلُّ ما نشأ من عمله الذي كان يعلمه في الدنيا من خير أو شرٍّ يعطى لقالبه جزاء ذلك في الآخرة.

---

(١) كتب المؤلف هنا ما يلي ثم شطب عليه:
قيل: وربما ينتقل من صورة إلى أخرى نوعاً أو مرتبة ـ بحسب زوال ذلك الخُلق عنه رأساً ـ أو مرتبة شديدة منه ـ إلى أن يزول عن النفس الهيآت الرديَّة بالكليَّة ـ إن كانت قابلة للزوال ـ وهذا إنَّما يجوز في النشأة الآخرة، لأنَّ أبدانها ليست بحسب استعدادات المواد وحركاتها، وأمَّا في هذه النشأة ـ كما زعمه أهل التناسخ ـ فغير جائز، كما برهن عليه في محلّه.

(٢) كتب أولاً: «ما حققه أستاذنا صدر المحققين سلمه الله تعالى، ثم شطب عليه وكتب: «المحققون». راجع الأسفار الأربعة: ٩/١٨٥ ـ ١٩٩. المبدء والمعاد: ٣٨٠ ـ ٣٩٦. تفسير سورة يس لصدر المتألهين: الآية ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ [يس: ٨١]: ٤٣٤ ـ ٤٤٧.

ومن هنا قال الصادق عليه السلام في قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦]، حيث سُئل: «ما ذنب الغير»؟

قال: «ويحك ـ هي هي، وهي غيرها». ثمّ مثّل باللبِنة المكسورة المجدَّدة ثانياً[١]. وبهذا تتوافق وتتلائم الآياتِ والأخبار والدلائل الدالّة على أنّ المُعاد في الآخرة هو عين هذا الجسم الميّت، كقوله ـ سبحانه ـ: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩]، والدالة على أنه مثله، كقوله تعالى: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الواقعة: ٦٠، ٦١] ـ إلى غير ذلك ـ. فافهم واغتنم.

قيل[٢]: إنّما يعاد الإنسان بجميع قواه وجوارحه، لأنّ كلّ قوّة من قواه بما هو إنسانٌ يسري من نفسه إلى البدن، ولكلٍّ منها كمالٌ يخصُّها، ولذَّةٌ وألمٌ تناسبها، وبحسب كلّ ما كسبته يلزم لها في الطبيعة الجزاء.

وقد ثبتت الغايات الطبيعيّة لجميع المبادي والقوى، عاليةً كانت أو سافلة، ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة: ١٤٨]، وهذا هو مقتضى الحكمة والوفاء بالوعد والوعيد ولزوم الجزاء والمكافآت للعبيد.

وكذلك لكلِّ موجودٍ من الموجودات حشرٌ وإعادةٌ ـ لامتناع ساكن في الخليقة، معطّل في الطبيعة ـ بل الكلُّ متوجّهٌ نحو الغاية المطلوبة منه، إلاّ أنّ حشر كلِّ شيءٍ إلى ما يناسبه ويقصده، فللإنسان بحسبه، ولقواه بحسبها، وللملائكة بحسبهم، وللشياطين بحسبهم، وللحيوانات بحسبها، وللنباتات بحسبها[٣].

قال الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ

---

(١) تفسير القمي: ١/١٦٩.

(٢) مقتبس من مفاتيح الغيب: المفتاح الثامن عشر، المشهد السادس: ٦٠٩ ـ ٦١٠.

(٣) راجع عين اليقين: ٤٢٢ ـ ٤٢٥.

﴿أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الانعام: ٣٨].

وقال في الشياطين: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾ [مريم: ٦٨].

وفي بعض الأخبار[١]: «إنّ الحيوانات يحشر يوم القيامة، فيقضي الله ـ تعالى ـ بينها، حتّى أنّه يقتصّ الجماء[٢] من ذوات القرن، ثمَّ يقول الله ـ تعالى ـ لها: «كونوا ترابا»، فعند ذلك يقول الكافر: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ [النبأ: ٤٠].

وفي الخبر من طريق العامَّة:

إذا أراد الله أن يحشر الخلائق أحيا جبرئيلَ وميكائيلَ وإسرافيل وعزرائيل ـ أوّلهم إسرافيل، فيأخذ الصور من العرش ـ فيُبعثهم إلى رضوان، فيقولون: «يا رضوان ـ زيِّن الجنان لمحمَّد ولأمَّته، ثمَّ يأتون مع البُراق ولواء الحمد وحلتين من حلل الجنَّة.

فأوَّل ما أحيي من الدوابِّ البراقُ، فيقول الله ـ تعالى ـ لهم: «اكسوه»، فيكسونه سرجاً من ياقوتة حمراى، ولجامُها من زبرجدة حمراء، وحلّتين: إحداهما خضراء، والأخرى صفراء، فيقول لهم: «انطلقوا إلى قبر محمَّد ﷺ».

فيذهبون وصارت الأرض قاعاً صفصفاً[٣]، فلا يدرون قبرَه، فينظرون نور محمَّد مثل العمود من قبره إلى أعنان السماء. فيقول جبرئيل: «ناد أنت يا إسرافيل ـ أنت ممَّن يحشر الله الخلائق بيدك».

فيقول: «يا جبرئيل ناد أنت ـ فإنّك خليله في الدنيا».

---

(١) أورد السيوطي أحاديث يقرب من هذه المضامين في الدر المنثور: ٨/ ٤٠١ ـ ٤٠٢.
(٢) الجمّاء ـ جمع أجمّ ـ: ما لا قرن لها من الكبش.
(٣) القاع: الأرض السهلة التي انفرجت عنها الجبال والآكام. الصفصف: المستوي من الأرض.

فيقول: «أنا أستحيي منه».

فيقول إسرافيل: «ناد أنت ـ يا ميكائيل».

فيقول: «السلام عليك يا محمَّد»، فلا يجيبه، فيقول لملك الموت: «نادِ أنت». فيقول: «[أيَّتها] الروح الطيِّبة ـ ارجعي إلى البدن الطيِّب»، فلا يجيبه أحدٌ، ثمَّ ينادي إسرافيل: «أيَّتها الروح الطيِّبة، قومي لفصل القضاء والحساب والعرض على الرحمان»، فينشقُّ القبر، فإذا هو جالس في قبره، فينفضُّ الترابَ عن رأسه ولحيته، فيُعطيه جبرئيل حلَّتين والبراق.

فيقول محمَّد: «يا جبرئيل ـ أيُّ يوم هذا»؟

فيقول: «هذا يوم الندامة، يوم الحسرة والملامة، هذا يوم الميثاق، هذا يوم الفراق، هذا يوم التلاق».

فيقول: «يا جبرئيل ـ بشِّرني».

فيقول: «يا محمَّد ـ معي لواءُ الحمد والتاج».

فيقول: «لستُ أسألك عن هذا».

فيقول: «الجنَّة قد زُخرفت لقدومك، والنار قد أُغلقت».

فيقول: «لستُ أسألك عن هذا، وأسألك عن أمَّتي المذنبين، لعلَّك تركتَهم على الصراط»؟

فيقول إسرافيل: «وعزَّة ربِّي ـ يا محمَّد ـ ما نفختُ الصورَ بعد».

فيقول: «الآن طابت نفسي وقرَّت عيني»، فيأخذ التاج والحلَّة فيلبسهما، ويركب البراقَ، وله جناحان يطير ما بين السماء والأرض، ووجهه كوجه الإنسان، ولسانه كلسان البقر، واضح الجبين، ضخم القرنين، رقيق الأذنين من زبرجد، أخضر العينين، ويقال كالكوكب الدرِّي، وناصيته من ياقوتة حمراء، وذَنَبه كذنَب البقر مكللٌ بالذهب الأحمر، وبدنه كالبرق ـ ويقال:

كالطاووس ـ فوق الحمار دون البغل، سمِّي البُراق لسرعة سيره كالبرق.

فلمَّا دنى ليركب البراق يضطرب ويقول: «وعزَّة ربِّي ـ لا يركبنِّي إلاّ النبيّ الهاشمي الأبطحيّ، محمَّد بن عبد الله صاحب القرآن».

فقال[1]: «أنا محمَّد»، فركب ثمَّ انطلق إلى الجنَّة، فخرَّ ساجداً، فينادي منادٍ: «ارفع رأسَك، وسل تعط».

فيقول: «إلهي ـ وعدتني في أُمَّتي»؟

فيقول: «أعطيتك ما ترضى».

ـ قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٥] ـ

ثم يأمر الله ـ تعالى ـ إلى السماء أن يمطر، فيمطر السماء كمنيِّ الرجال أربعين يوماً، ويكون الماء فوق كلّ شيء اثنا عشر ذراعاً، فينبت الخلق بذلك الماء كنبات البقل، حتَّى تكاملت أجسادُهم كما كانت. ثمَّ يطوى السماء والأرض، فيقول الله ـ تعالى ـ: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦]؟ فلا يجيبه أحد، وثانياً وثالثاً، ثمَّ يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

ثمَّ يقول الله تعالى: «أين الجبابرة، وأين أبناء الجبابرة، وأين الملوك وأين أبناء الملوك، الذين يأكلون رزقي ويعبدون غيري»؟ ثمَّ يصير الجبال كالعهن المنفوش، ثمَّ يبدِّل الله الأرضَ التي عليها المعاصي فينصب عليها جهنَّم، ويأتي بأرض من فضَّة بيضاء، فينصب الجنَّة عليها.

ثمَّ يقول الله ـ تعالى ـ: «يا إسرافيل، قُم وانفخ في الصور نفخةَ البعث».

فينفخ وينادي: «أيَّتها الأرواح الخارجة، والعظام النخرة، والأجساد البالية، والعروق المنقطعة، والجلود المتمزِّقة، والشعور المتساقطة ـ قوموا لفصل القضاء».

---

(١) كذا. والأظهر أنّ الصحيح: فيقول... فيركب... ثمّ ينطلق... فيخرّ...

فيقومون بأمر الله ـ تعالى ـ وذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨] إلى السماوات قد أزيلت، وإلى الأرض قد بُدِّلت، وإلى العشار قد عُطِّلت، وإلى الوحوش قد حُشرت، وإلى البحار قد سُجِّرت، وإلى النفوس قد زُوِّجت، وإلى الزبانية قد أُحضرت، وإلى الشمس قد كُوِّرت، وإلى الموازين قد نصبت، وإلى الجنَّة قد أُزلفت، ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤].

فذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾؟ فيجيبهم المؤمنون: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢].

فيخرجون من القبور أحياء عرياناً.

***

سُئل رسول الله ﷺ عن معنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبأ: ١٨]؟ فبكى رسول الله ﷺ حتَّى بلَّ الثياب عن دموع عينيه، ثمَّ قال[1]:

أيها السائل سألتني عن أمر عظيم، إنَّه يحشر يوم القيامة أقوامٌ على إثنا عشر صنفاً:

أمَّا الأوَّل: فيحشر على صورة القردة، وهم الفتَّانون في الناس ـ قوله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١].

والثاني: يحشر على صورة الخنازير، وهم أهل السُحت، قوله تعالى: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة: ٤٢].

---

(١) جاء ما يقرب منه في الدر المنثور: تفسير الآية المذكورة: ٨/ ٣٩٣.
جامع الأخبار: الفصل الأربعون والمئة: ٥٠١. والسائل فيهما معاذ.

والثالث: يحشر عمياً يتردَّدون فيتعلَّق بهم الناس، وهم الذين يجورون في الحكم[1] ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِٱلْعَدْلِ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨].

والرابع: صمّاً بُكماً، وهم المعجِبون بأعمالهم ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

والخامس: يحشر ويسيل من أفواههم القيح ويمضغون ألسنتهم، وهم العلماء الذين يخالف أقوالهم[2] أعمالهم ـ قوله تعالى: ﴿۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤].

والسادس: يحشرون على أجسادهم قروح من النار، وهم الشاهدون بالزور.

والسابع: يحشرون وأقدامهم على جباههم معقودة بنواصيهم، وهم أشدُّ نتناً من الجيَف، وهم الذين يسعون في الشهوات واللذات. قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ [البقرة: ٨٦].

والثامن: يحشرون كالسكارى، يسقط يميناً وشمالاً، وهم الذين يمنعون حقَّ الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

والتاسع: يُحشرون وعليهم سرابيلٌ من قطران، وهم الذين يغتابون الناس ويتجسّسون ويمشون بالنميمة: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢].

والعاشر: يحشرون خارجين ألسنتهم من قفائهم، وهم الذين كانوا أصحاب النميمة.

---

(١) في الهامش: «يجيرون الحكم ـ خ ل».
(٢) يحتمل القراءة: بأقوالهم.

والحادي عشر: يحشرون سكران، وهم الذين كانوا يحدّثون في المساجد بحديث الدنيا ـ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [نوح: ١٨].

والثاني عشر: يحشرون على صورة الخنازير، وهم الذين كانوا يأكلون الربا، قوله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾ [آل عمران: ١٣٠].

قيل: ومن الناس من يُحشر بفتنته الدنياويّة، فقومٌ مفتونون بالعود معتكفون عليهم دهرهم، فعند قيامه من قبره يأخذه بيمينه، فيطرحه من يده، فيقول: «سُحقاً لك ـ شغلتني عن ذكر الله»، فيعود إليه ويقول: «أنا صاحبك حتّى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين».

وكذلك يبعث السكران سكراناً، والزامر زامراً، وكلُّ واحد على الحال الذي سدَّه عن سبيل الله.

ويؤيّده الحديث الذي روي في الصحيح:

«إنَّ شارب الخمر يحشر والكوز معلَّق في عنقه، والقدَح بيده، وهو نُتن مِن كلّ جيفة على وجه الأرض، يلعنه كلُّ مَن يَمرُّ به مِن الخلائق».

وفي الصحيح[1]: «إنَّ المقتول في سبيل الله يأتي يوم القيامة وجرحه يشخب دماً ـ اللونُ لون الدم والريحُ ريح المسك ـ حتّى يقف بين يدي الله ـ عزَّ وجلَّ».

أقول: ومن طريق الخاصّة ما رواه في الكافي[2] عن أبي جعفر عليه السلام،

---

(١) لم أعثر عليه. وفي الترمذي (كتاب التفسير، سورة النساء، ح٣٠٢٩، ٥/ ٢٤٠): «يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة، ناصيته ورأسه بيده، وأوداجه تشخب دماً، يقول: يا ربِّ ـ هذا قتلني، حتّى يدنيه من العرش».
وكذا ما يقرب منه في المسند: ١/ ٢٤٠ و٢٩٤ و٣٦٤.

(٢) الكافي: كتاب الديات، باب القتل: ٧/ ٢٧٢، ح٣، ثواب الأعمال: باب من قتل نفساً متعمّداً: ٣٢٧، ح٥. عنه البحار: ٧/ ٢١٧، ح١٢٤.

قال: «ما من نفس تُقتل - برَّة ولا فاجرة - إلاّ وهي تحشر يوم القيامة متعلِّقة بقاتله بيده اليمنى، ورأسه بيده اليسرى وأوداجه تشخب [دماً][1] تقول: «يا ربّ - سل هذا فيمَ قتلني»، فإن كان قتله في طاعة الله أُثيب القاتل الجنَّة، وذهب بالمقتول إلى النار، وإن قال: «في طاعة فلان» قيل له: «أُقتله كما قتلك»، ثمَّ يفعل الله - عزَّ وجلَّ - فيهما بعدُ مشيَّته».

---

(١) الإضافة من المصدر.

الباب الرابع

طول يوم القيامة وأهواله

﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾

[المعارج: ٤]



طولُ هذا اليوم وقصره

روي عن النبي[1] ﷺ أنّه تلا قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]، ثمَّ قال: «كيف بكم إذا جمعكم الله كما يُجمع النبلُ في الكنانة، خمسين ألف سنة ـ لا ينظر إليكم ـ»؟.

وعن أمير المؤمنين[2] عليه السلام «وذلك يوم يجمع الله فيه الأوّلين والآخرين لنقاش الحساب وجزاء الأعمال، خضوعاً قياماً، قد ألجمهم العَرَقُ ورجفت بهم الأرض، فأحسنُهم حالاً من وَجد لقدَميه موضعاً ولنفسه متَّسعاً».

قوله: «ألجمهم العرقُ»: أي بلغ منهم مكان اللجام. قيل[3]: «إنّه كنايةٌ عن بلوغهم الغاية من الجهد إذ كانت غاية التاعب أن يكثر عرقه».

وعن مولانا الصادق عليه السلام في حديث[4]: «فحاسبوا أنفسَكم قبل أن تحاسَبوا عليها، فإنَّ للقيامة خمسين موقفاً، كلّ موقف مقام[5] ألف سنة»، ثمَّ تلا: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾.

---

(١) المستدرك للحاكم: كتاب الأهوال: ٤/ ٥٧٢. وأورده السيوطي في الدر المنثور (تفسير الآية [٨٣/ ٦]: ٨/ ٤٤٢) عن الطبراني وأبو الشيخ والحاكم وابن مردويه والبيهقي.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٠٢.

(٣) ابن ميثم: شرح نهج البلاغة، شرح الخطبة المذكورة (رقمها فيه ٩٩): ٣/ ١٣.

(٤) الكافي: الروضة، حديث محاسبة النفس، ٨/ ١٤٣، ح١٠٨. أمالي المفيد: المجلس الثالث والثلاثون، ح١، ٢٧٤. أمالي الطوسي: المجلس الثاني، ح٧، ٣٦.
عنها البحار: ٧/ ١٢٦، ح٣. ٧٠/ ٦٤، ح٤. ٧٥/ ١٠٧.

(٥) الكافي: مقداره.

وعنه[1] عليه السلام: «مَثَل الناس يوم القيامة إذا قاموا لربِّ العالمين مَثَل السهم في القِرَب، ليس له من الأرض إلاّ موضع قدمه، كالسهم في الكنانة لا يقدر أن يزول هيهنا ولا هيهنا».

وعن النبي[2] صلى الله عليه وآله: «تدنوا الشمس من الأرض يوم القيامة، فيعرق الناس، فمن الناس مَن يبلغ عرقُه عقبه، ومنهم من يبلغ نصف ساقه، ومنهم من يبلغ ركبتيه، ومنهم من يبلغ فخذيه، ومنهم من يبلغ خاصرته، ومنهم من يبلغ فاه ـ فأشار بيده ـ فألجمها فاه، ومنهم من يغطيه عرقه ـ وضرب بيده على رأسه ـ هكذا».

وفي معناه أخبار أُخر، وفي بعضها[3]: «يذهب عرَقهُم في الأرض سبعين باعاً».

وفي بعضها[4]: «والعرق يكون من طول المكث».

وقيل: إنّ جهنّم تزفر على أهل الموقف زفرة تجثوا الخلائق منها على الرُكب، ويبلغ حرّها الأجواف، فتسيل الأعراق من هولها.

وفي رواية أنس: إنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: «لم يلق ابن آدم شيئاً منذ خلقه الله أشدّ عليه من الموت، ثمَّ إنَّ الموت أهون ممَّا بعده، وإنَّهم ليلقون من هول

---

(١) الكافي: الصفحة السابقة، ح١١٠، عنه البحار: ٧/ ١١١، ح٤٣.

(٢) أورده الغزالي في الإحياء: كتاب ذكر الموت، صفة العرق، ٤/ ٧٤٤.
وجاء مع فروق في المستدرك للحاكم: كتاب الأهوال، ٤/ ٥٧١.
المسند: ٤/ ١٥٧. مسلم: باب (١٥) في صفة يوم القيامة، ٤/ ٢١٩٦، ح٦٢.

(٣) مسلم: الباب السابق، الحديث ٦١. المسند: ٢/ ٤١٨. كنز العمال: ١٤/ ٣٥٨، ح٣٨٩٢٧.

(٤) هذا مضمون أحاديث ورد في وصف الموقف، جاء في الكافي (كتاب الإيمان والكفر، باب من منع مؤمناً شيئاً...، ٢/ ٣٦٧، ح٢) عن الصادق عليه السلام: «من حبس حقّ المؤمن أقامه الله يوم القيامة خمسمئة عام على رجليه، حتّى يسيل عرقه أو دمه».

ذلك اليوم شدَّة حتَّى يلجمهم العرَق، حتَّى أنَّ السُفن لو أُلقيت فيه لجرت» ـ رواه الطبراني ـ[1].

وقال بعض العلماء[2]:

«كلّ عرَق لم يخرجه التعبُ في سبيل الله ـ من حجٍّ وجهادٍ وقيامٍ وصيامٍ وتردُّدٍ في قضاء حاجة مسلمٍ وتحمُّل مشقَّةٍ في أمرٍ بمعروف ونهيٍ عن منكر ـ فيستخرجه الحياءُ والخوفُ في صعيد القيامة، ويطول فيه الكرب»[3].

ومن طال انتظاره في الدنيا للموت لشدَّة مقاساته للصبر عن الشهوات، فإنَّه يقصر انتظاره في ذلك اليوم خاصَّة.

سُئل رسول الله ﷺ عن طول ذلك اليوم، فقال[4]: والذي نفسي بيده إنّه ليخفِّف على المؤمن حتَّى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصلِّيها في الدنيا».

وفي الخبر: إذا كان يوم القيامة يجمع الله ـ تعالى ـ خلق الأولين والآخرين في صعيد واحد، وتدنو الشمس على رؤوسهم، فيشتدّ عليهم يوم القيامة حرُّها، فيخرج عنقٌ من النار كالظلّ، ثمَّ ينادي المنادي: «يا معشر الخلائق ـ انطلقوا إلى الظلّ»، فينطلقون وهم ثلاث فرق: فرقة من المؤمنين، وفرقة من المنافقين، وفرقة من الكافرين.

---

(١) المعجم الأوسط: ٢/ ٥٨١، ح١٩٩٧. وقال المنذري (الترغيب والترهيب: (كتاب البعث، ذكر الحشر وغيره، ح٥١٥٦، ٦/ ١٨١): رواه أحمد [المسند: ٣/ ١٥٤] مرفوعاً باختصار، والطبراني في الأوسط. . .، وإسنادهما جيّد.

(٢) إحياء علوم الدين: كتاب ذكر الموت، صفة العرق: ٤/ ٧٤٥.

(٣) ابن ميثم: شرح نهج البلاغة، شرح الخطبة المذكورة (رقمها فيه ٩٩): ٣/ ١٣.

(٤) المسند: ٣/ ٧٥. كنز العمال: ١٤/ ٣٧٧ ح٣٩٠٠٣. وأورده المنذري في الترغيب والترهيب (كتاب البعث وأهوال القيامة، ذكر الحشر وما بعده. ح٥١٦٠، ٦/ ١٨٢) ثم قال: رواه أحمد وأبو يعلي وابن حيان في صحيحه.

فإذا صار الخلائق إلى الظلّ، صار الظلّ ثلاثة أقسام:

قسمٌ للحرارة وقسمٌ للدخان وقسم للنور، فذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ * لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ * إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ * كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ [المعارج: ٣٠ ـ ٣٣].

والحرارة تقوم على رؤوس المنافقين، لأنّهم يحدثون في الحرارة في الدنيا: ﴿وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ قُلْ﴾ ـ يا محمَّد ـ ﴿نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨١].

والدخان على رؤوس الكفَّار، لأنَّهم كانوا في الدنيا في الظلمات، وفي الآخرة كذلك، لقوله ـ تعالى ـ: ﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

والنور على رؤوس المؤمنين، لأنّهم كانوا في الدنيا في النور، لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وقال في صفاتهم يوم القيامة: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الحديد: ١٢].

وعن النبي[١] ﷺ: «سبعةٌ يظلّهم الله في ظلّ العرش ـ يومَ لا ظلّ إلاّ ظلّه ـ: إمامٌ عادل، وشابٌّ نشأ في عبادة الله، ورجلان تحابّا في الله، ورجلٌ طلبته امرأة ذات جمال، فقال: «إنّي أخاف الله ربّ العالمين»، ورجلٌ ذكر الله ـ تعالى ـ خاليا، ففاضت عيناه من خشية الله، ورجلٌ تصدَّق بيمينه فأخفاها عن شماله، ورجلٌ يتعلَّق قلبه في المساجد».

---

(١) ورد في الخصال مع اختلاف يسير: باب السبعة، ٣٤٣، ح٧.
عنه البحار: ٢٦/٢٦١، ح٤١. المسند: ٢/٤٣٩.

وفي حديث أبي هريرة من طرق العامَّة[1] ـ قال: ـ

«فيخرجون منها سراعا ـ ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٥١] ـ يعني يخرجون من قبورهم حفاة عراة يقفون موقفاً واحداً مقدار سبعين عاماً، لا يُنظر إليهم ولا يُقضى بينهم، فيبكون حتَّى ينقطع الدموع، ثمَّ يبكون دماً، ويعرقون حتَّى يبلغ العرَق منهم أن يلجمهم، بأن يبلغ الأذقان، ثمَّ يُدعون إلى المحشر، وذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿مُّهْطِعِينَ﴾ ناظرين قاصرين مسرعين ﴿إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: ٨].

فإذا اجتمع الخلائق كلُّهم ـ الجنُّ والأنس وغيرهم ـ وهم وقوف، إذ سمعوا حَسًّا من السماء شديداً فهالهم ذلك، فتنشقُّ السماء ونزلت ملائكة السماء الدنيا بمثل من في الأرض وأخذوا مصافَّهم. فقال لهم الناس: «أفيكم ربُّنا»؟ ـ يعني أفيكم أمرُ ربِّنا بالحساب ـ؟

قالوا: «لا ـ ولمَّا يأت أمرُه بالحساب».

ثمَّ تنزل ملائكة السماء الثانية، فيقومون صفًّاً خلف صفٍّ أهل السماء الدنيا، ثمَّ تنزل ملائكة السماء الثالثة، حتَّى تنزل ملائكة سبع سماوات على قدر التضعيف ويقومون حول أهل الدنيا».

وعن الضحَّاك قال: «إنَّ الله تعالى يأمر السماوات فتنشقُّ بما فيها من الملائكة، فينزلون فيحيطون بالأرض ومن فيها، ثمَّ الثانية ومن فيها، ثمَّ الثالثة ومن فيها، ثمَّ الرابعة ومن فيها، ثمَّ الخامسة ومن فيها، ثمَّ السادسة ومن فيها، ثمَّ السابعة ومن فيها، حتَّى يكون سبع صفوف بعضهم في جوف بعض، وأهل الأرض لا يأتون قطراً من أقطارها إلاَّ وجدوا عندها سبع صفوف من الملائكة، وذلك قوله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟﴾ [الرحمن: ٣٣].

---

(١) ما يقرب منه مع فرق كثير في الدر المنثور عن ابن عباس: الفرقان/ ٢٥، ٦/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩.

وقال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥].

وروى أبو هريرة عن النبيّ ﷺ أنّه قال[1]: «إنّ الله تعالى يقول: يا مَعشر الجنّ والإنس، إني قد نصحت لكم وإنَّما هي أعمالكم في صحفكم، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلاّ نفسه.

ثمّ يأمر الله ـ تعالى ـ بجهنّم، فيخرج منها عنق ساطع واسع مظلم فيقول: ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ * وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ * هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [يس: ٦٠ ـ ٦٣]. فتجثوا الأمم وهو قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ [الجاثية: ٢٨]، فيقضي الله بين خلقه، ويقضي بين الوحوش والبهائم، حتَّى أنَّه ليقتصّ الجمّاء من ذات القرن، ثمَّ يقول: «كوني تراباً»، فعند ذلك يقول الكافر: ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ ـ ثمَّ يقضي بين العباد».

وعن ابن عمر، عن النبي ﷺ[2] قال: «يُحشر الناس يوم القيامة كما ولدتهم أمَّهاتهم حفاةً عراةً».

فقالت عايشة: «الرجال والنساء؟» قال: «نعم».

قالت: «واسوأتاه ـ فينظر بعضهم إلى بعض؟».

---

(١) لم أعثر عليه بلفظه. وقد أخرج في مسلم عن أبي ذر (كتاب البر، باب (١٥) تحريم الظُّلم، ح٥٥، ٤/ ١٩٩٥): «يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه».
وأخرج الطبري (التفسير، النبأ/ ٤٠، ٣٠/ ١٧) عن أبي هريرة: إنّ رسول الله ﷺ قال: يقضيَ الله بين خلقه الجن والإنس والبهائم، وإنه ليقيد (كذا) يومئذ الجماء من القرناء، حتى إذا لم يبق تبعة عند واحد لأخرى، قال الله: كونوا تراباً. فعند ذلك يقول الكافر: يا ليتني كنت تراباً».

(٢) جاء ما يقرب منه في الدر المنثور (غافر/١٧، ٧/ ٢٨٠): «فأخرج الخطيب في تاريخه بسند واهٍ عن عمر، قال رسول الله ﷺ: يحشر الناس يوم القيامة كما ولدتهم...».

فضرب على منكبها، قال: «يا ابنة أبي قحافة - يشتغل الناس يومئذ عن النظر، وشخصوا بأبصارهم إلى السماء موقفين أربعين سنة، لا يأكلون ولا يشربون، فمنهم من يبلغ العرق قدميه، ومنهم من يبلغ ساقيه، ومنهم من يبلغ بطنه، ومنهم من يلجمه العرق من طول الوقوف، ثمَّ يقوم الملائكة حافِّين من حول العرش، فيأمر الله منادياً فينادي: «أين فلان بن فلان»؟ فيشرأبُّ الناس - أي رفعوا رؤوسهم - لذلك الصوت، ويخرج ذلك المنادي من الموقف، فإذا وقف بين يدي ربّ العالمين فيسأل: «أين أصحاب المظالم؟»».

فينادون رجلاً رجلاً، فيؤخذ من حسناته ويدفع إلى مظلمته، يومئذ لا دينار ولا درهم، إلا أخذ من الحسنات وردّ من السيّئات، فلا يزالون يستوفون من حسناته حتَّى لا تبقى له حسنة، ويؤخذ من سيّئاته فيُردُّ عليه، فإذا فرغ من حسناته قيل له: «ارجع إلى أُمِّك الهاوية»، فإنَّه لا ظلم اليوم إنَّ الله سريع الحساب - يعني سريع المجازاة - فلا يبقى يومئذ ملك ولا نبيٌّ ولا شهيد إلاّ ظنَّ - لما يرى من الشدّة - أن لا ينجو، إلاّ من عصمه الله - تعالى -».

وعن عكرمة، قال[1]: إنَّ الوالد يتعلَّق بولده يوم القيامة، فيقول: «يا بُنيَّ - إنِّي كنت في الدنيا والدك»، فيُثني عليه خيراً.

فيقول له: «يا بُنيَّ - إنِّي قد احتجت إلى مثقال حبَّة من حسناتك، لعلِّي أنجو ممَّا ترى.»

فيقول له ولده: «إنِّي أتخوَّف مثل الذي تخوَّفت، فلا أُطيق أن أعطيك شيئاً».

ثمَّ يتعلق بزوجته، فيقول لها: «يا فلانة - إنِّي كنت زوجك في الدنيا»، فتثني عليه خيراً.

---

(١) حكى السيوطي ما يقرب منه في الدر المنثور (فاطر/١٧، ٧/١٧)، قال: أخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن عكرمة...

فيقول لها: «إنِّي أطلب منك حسنة واحدة تهبها لي، لعلِّي أنجو ممَّا ترين».

فتقول: «لا أُطيق على ذلك، فإنِّي أتخوَّف مثلَ الذي تخوَّفت».

فيقول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ [فاطر: ١٨].

يعني الذي أثقله الذنوب لا يحمل أحد منه شيئاً من ذنوبه.

وعن ابن مسعود: عن النبي[1] ﷺ قال: «إنَّ الكافر ليلجم بعرقه من طول ذلك اليوم حتَّى يقول: ربِّ ـ أرحني ولو إلى النار».

وروي[2] أنَّ أعظم الساعة ترد عليه في الدنيا: عند خروج روحه، إذا شخصت عيناه، وانتشرت منخراه، وتساقطت شفتاه، واصفرّت وجهاه، وعرق جبينه، واشتدَّ أنينه، وانعقد لسانه، ولا يجيب جواباً، ولا يقدر أن يردَّ كلاماً، وقد عاين ما قدّم، واسترخت مفاصله، وانقطعت أعضاؤه، وجفاه أحبّاؤه، وتفرّق عنه أقرباؤه، وودّعه المكان، فيبقى متحيِّراً قد تغيَّر عقله، وتمكَّن الشيطان من اختلاسه.

وتلك الساعة عظيمة عليه، وأغلق عليه باب التوبة، فأفضل ما تكلم العبد في ذلك الوقت كلمة الشهادة.

وأمّا أعظم الساعة[3] ترد عليه في الآخرة: فإذا نفخ في الصور ويبعث ما في القبور، وتعلّق المظلوم بالظالم، وكان الشهود الملائكة والسائل هو الله،

---

(١) قال في الترغيب والترهيب (كتاب البعث، ذكر الحشر وغيره، ح٥١٥٨: ٦/ ١٨٢): رواه الطبراني في الكبير [١٠/ ١٠٠، ح١٠٠٨٣] بإسناد جيد [بلفظ: إن الرجل]، وأبو يعلي، ومن طريقه ابن حبان [بلفظ: إن الكافر].

(٢) في الخصال (١/ ١١٩، باب الثلاثة، ح١٠٨) عن الإمام السجاد عليه السلام: «أشد ساعات ابن آدم ثلاث ساعات: الساعة التي يعاين فيها ملك الموت، والساعة التي يقوم فيها من قبره، والساعة التي يقف فيها بين يدي الله تبارك وتعالى...».
عنه البحار: ٦/ ١٥٩، ح١٩.

(٣) كتب على الهامش: ساعة ـ ظ.

وأهل العذاب في جهنَّم، وأهل النعيم في الجنَّة، ووضع كلُّ ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد، ورأيت الولدان شيباً في ذلك اليوم.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ ـ الآية ـ [يس: ٢٩] و﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧١] و﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧٣].

ويقال: يشهد عليكم سبعةُ شهود:

المكان والأرض ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤].

والزمان كما ورد في الخبر[1] ينادي كلُّ يوم: «أنا يومٌ جديدٌ، وأنا على ما تعمل شهيد».

واللسان: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ﴾ [النور: ٢٤].

والملكان: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١١].

والديوان: ﴿هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ﴾ [الجاثية: ٢٩].

والرحمن: ﴿كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ [يونس: ٦١].

فكيف يكون حالك ـ يا عاصي ـ

بعد ما شهد عليكم هؤلاء الشهود.

* * *

---

(١) في أمالي الصدوق (المجلس ٢٣، ح٢، ١٦٩) عن علي عليه السلام: «ما من يوم يمرّ على ابن آدم إلا قال له ذلك اليوم: يا بن آدم، أنا يوم جديد، وأنا عليك شهيد...». عنه البحار: ٧١/ ١٨١. وورد فيه (٨٦/ ١٢٩ و٧/ ٣٢٥) عن فلاح السائل ومحاسبة النفس أيضاً.



الباب الخامس

الخصماء والمظالم

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ ۝ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ۝ ﴾

[إبراهيم: ٤٢، ٤٣]



الخصماء والمظالم

روي في الكافي[1] بإسناده عن سيِّد العابدين عليه السلام أنَّه قال: حدَّثني أبي، أنَّه سمع أباه علي بن أبي طالب عليه السلام يحدِّث الناس، قال:

«إذا كان يوم القيامة بعث الله ـ تعالى ـ الناس من حُفَرهم عُزلاً بُهْماً جُرداً مُرداً[2] في صعيد واحد، يسوقهم النور، وتجمعهم الظلمة، حتَّى يقفوا على عقبة في المحشر، فيركب بعضهم بعضاً، ويزدحمون دونها، فيمنعون من المضيّ، فيشتدُّ أنفاسُهم، ويكثر عرقهم، ويضيق بهم أُمورهم، ويشتدُّ ضجيجهم، وترتفع أصواتُهم».

ـ قال: ـ «وهو أوّل هول من أهوال يوم القيامة».

ـ قال: ـ «فيشرف الجبَّار ـ تعالى ـ عليهم من فوق عرشه في ظلال من

---

(١) الكافي: الروضة، ح ٧٩، ٨/ ١٠٤ ـ ١٠٥. عنه البحار: ٧/ ٢٦٨ ـ ٢٧٠، ح٣٥.

(٢) عُزلا: لا سلاح لهم ـ بضم العين وسكون الزا، جمع أعزل. بهما: ليس معهم شيء. جرد: لا ثياب لهم. (الوافي). مُرد: جمع أمرد.
قال ابن الأثير (النهاية: بهم، ١/ ١٦٧): «فيه «يحشر الناس يوم القيامة غُراة حفاة بُهما»، البُهم: جمع بهيم، وهو في الأصل الذي لا يخالط لونه لون سواه، يعني ليس فيهم شيء من العاهات والأعراض التي تكون في الدنيا، كالعمى والعور والعرج وغير ذلك، وإنما هي أجساد مصححة لخلود الأبد في الجنة أو النار.
وقال بعضهم في تمام الحديث: «قيل: وما البُهم؟ قال: ليس معهم شيء»، يعني من أعراض الدنيا. وهذا يخالف الأول من حيث المعنى».

الملائكة، فيأمر ملكاً من الملائكة فينادي فيهم: «يا معشر الخلائق ـ أنصتوا واستمعوا منادي الجبَّار».

ـ قال: ـ «فيسمع آخرُهم، كما يسمع أوّلهم».

ـ قال: ـ «فتنكسر أصواتهم عند ذلك، وتخشع أبصارهم، وتضطرب فرائصهم، وتفزع قلوبهم، ويرفعون رؤوسهم إلى ناحية الصوت، ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ﴾».

ـ قال: ـ «فعند ذلك يقول الكافر: ﴿هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر: ٨].

ـ قال: ـ «فيشرف الجبَّار ـ تعالى ذكره ـ الحكَم العدلُ عليهم، فيقول: «أنا اللهُ لا إله إلاّ أنا، الحكَم العدْل الذي لا يجور، اليوم أحكم بينكم بعدلي وقسطي، لا يظلم اليوم عندي أحد، اليوم آخذ للضعيف من القويِّ بحقِّه، وبصاحب المظلَمة بالمظلمة، بالقصاص من الحسنات والسيّئات، وأُثيب على الهبات، ولا يجوز هذه العقبة اليوم عندي ظالمٌ ـ ولأحد عنده مظلمةٌ، إلاّ مظلمةٌ يهبها صاحبُها، وأُثيبه عليها، وآخذ له بها عند الحساب ـ وتلازموا أيُّها الخلائق، واطلبوا مظالمكم عند من ظلمكم بها في الدنيا، وأنا شاهد لكم بها عليهم ـ وكفى بي شهيداً ـ».

ـ قال: ـ «فيتعارفون ويتلازمون، فلا يبقى أحد له عند أحد مظلمةٌ أو حقٌّ إلاّ لزمه بها».

ـ قال: ـ «فيمكثون ما شاء الله، فيشتدُّ حالُهم ويكثر عرقُهم[1] وترتفع أصواتهم بضجيج شديد، فيتمنَّون المَخلَص منه بترك مظالمهم لأهلها».

ـ قال: ـ «ويطّلع الله ـ تعالى ـ على جهدهم، فينادي مناد عند الله ـ تعالى ـ يسمع آخرهم كما يسمع أوّلهم: «يا معشر الخلائق ـ أنصتوا لداعي الله ـ تعالى ـ واسمعوا، إنَّ الله ـ تعالى ـ يقول: أنا الوهَّاب إن أحببتم أن تواهبوا

(١) أضيف في المصدر: ويشتدّ غمّهم.

فتواهبوا، وإن لم تواهبوا أخذت لكم بمظالمكم».

ـ قال: ـ «فيفرحون بذلك لشدَّة جُهدهم وضيق مسلكهم وتزاحمهم».

ـ قال: ـ «فيهب بعضُهم مظالمَهم رجاء أن يتخلَّصوا ممَّا هم فيه، ويبقى بعضهم فيقول: «يا ربِّ ـ مظالمنا أعظم من أن نهبها».

ـ قال: ـ فينادي مناد من تلقاء العرش: «أين رضوان خازن الجنان، جنان الفردوس»؟

ـ قال: ـ «فيأمره الله ـ تعالى ـ أن يطلع من الفردوس قصراً من فضَّة بما فيه من الآنية والخدم».

ـ قال: ـ «فيُطلعه عليهم، في ضافة القصر الوصائف والخدم».

ـ قال: ـ «فينادي منادٍ من عند الله ـ تعالى ـ: يا معشر الخلائق، ارفعوا رؤوسَكم، فانظروا إلى هذا القصر».

ـ قال: ـ «فيرفعون رؤوسَهم، فكلُّهم يتمنَّاه».

ـ قال: ـ «فينادي منادٍ من عند الله ـ تعالى ـ: يا معشر الخلائق، هذا لكلِّ مَن عفا عن مؤمن».

ـ قال: ـ «فيعفون كلّهم إلاّ القليل».

ـ قال: ـ «فيقول تعالى: لا يجوز إلى جنَّتي اليوم ظالم، ولا يجوز إلى ناري اليوم ظالمٌ ولأحد من المسلمين عنده مظلمة، حتَّى يأخذها منه عند الحساب، أيُّها الخلائق استعدُّوا للحساب».

ـ قال: ـ «ثمَّ يخلَّى سبيلُهم، فينطلقون إلى العقبة، فيكرد بعضهم بعضاً حتَّى ينتهوا إلى العرصة ـ والجبَّار تعالى على العرش ـ قد نُشرت الدواوين، ونُصبت الموازين وأُحضر النبيُّون والشهداء ـ وهم الأئمَّة ـ يشهد كلُّ إمام على أهل عالمه بأنَّه قد قام فيهم بأمر الله ـ تعالى ـ ودعاهم إلى سبيل الله».

ـ قال الراوي: ـ فقال له رجلٌ من قريش: «يا بن رسول الله ـ إذا كان للرجل المؤمن عند الرجل الكافر مظلمة، أيُّ شيءٍ يأخذ من الكافر ـ وهو من أهل النار»؟

ـ قال: ـ «فقال له عليُّ بنِ الحسين عليه السلام: «يطرح عن المسلم من سيّئاته بقدر ما له على الكافر، فيعذَّب الكافر بها مع عذابه بكفره، عذاباً بقدر ما للمسلم قِبله من مظلمة».

ـ قال: ـ «فقال له القرشي: فإذا كانت المظلمة للمسلم عند مسلم كيف يؤخذ مظلمته من المسلم»؟

ـ قال: ـ يؤخذ للمظلوم من الظالم من حسناته بقدر حقّ المظلوم فتزاد على حسنات المظلوم.

ـ قال: ـ «فقال له القرشي: فإن لم يكن للظالم حسنات»؟

قال: «إن لم يكن للظالم حسنات، فإن كان للمظلوم سيّئات، يؤخذ من سيئات المظلوم فتزاد على سيّئات الظالم».

وعن النبيّ[1] صلى الله عليه وآله وسلم: «هل تدرون مَن المفلِس»؟

قالوا: «المفلِس فينا ـ يا رسول الله ـ مَن لا درهم له ولا متاع».

فقال: «المفلس من أمّتي مَن يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام، ويأتي قد شتَم هذا، وقذَف هذا، وأكل مالَ هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، وإن فنيت حسناتُه قبل أن يقضي ما عليه أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثمَّ يطرح في النار».

* * *

---

(١) مسلم: كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، ١٩٩٧/٤، ح٥٩، المسند: ٣٠٣/٢، و٣٣٤ و٣٧٢.

سؤال:

الحسنات والسيّئات عبارة عن أعمالٍ هي حركاتٌ قد انقضت، فكيف يُنقل المعدومُ الذي لو كان موجوداً لكان عرَضا لا يبقى لينتقل؟

جواب:

هذا النقل واقع في الدنيا عند جريات الظلم، لكنَّه ينكشف في القيامة، فيرى طاعاتِ نفسه في ديوان غيره ـ كما علمتَ في نظائره ـ وما لم ينكشف بعد للإنسان فليس بموجود له، وإن كان موجوداً في نفسه، فإذا انكشف له وعلمه، صار موجوداً له وكأنّه وُجد الآن في حقِّه.

ثمَّ المنقول ليس نفس الحسنات والسيّئات، بل الأثر الذي يترتَّب عليهما من تنوير القلب وإظلامه، وإنَّما عبِّر بهما عن الأثر لأنَّه المقصود والغاية منهما، وبين آثارهما تعاقب وتضادٌّ.

ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤].

وفي الحديث[١]: «أتبع السيئة بالحسنة تَمحُها».

و: «الآلام تمحيصاتٌ للذنوب»[٢].

---

(١) الترمذي: ٤/ ٣٥٥، كتاب البر والصلة، باب (٥٥) في معاشرة الناس، ح١٩٨٧: «أتبع السيئة الحسنة تَمْحها».
وفي أمالي الطوسي (المجلس السابع، ح١٤، ١٨٦): «إذا عملت سيّئة فاعمل حسنة تمحوها». البحار عنه وعن تفسير القمي ٧١/ ٢٤٢، ح٢ ـ ٣.

(٢) في أمالي الطوسي (المجلس ٢٧، ح٢، ٦٠٢): «المرض لا أجر فيه، ولكنّه لا يدع على العبد ذنباً إلاّ حطّه». البحار: ٥/ ٣١٧، ح١٥.
وفي التمحيص: (باب التمحيص بالعلل والأمراض: ٤٣): «لا يمرض مؤمن ولا مؤمنة إلا حطّ الله به من خطاياه».

ولذلك قال النبي[1] ﷺ: «إنَّ الرجلَ لَيثاب حتَّى بالشوكة تُصيب رِجله».

وقال[2]: «الحدود كفّارت لأهلها».

فالظالم يتبع شهوته بالظلم، وفيه ما يقسي قلبه ويسوِّده، فيمحو أثر النور الذي في قلبه من طاعته ـ وكأنَّه أحبط طاعتَه ـ.

والمظلوم يتألّم ويكسر شهوته ويستنير به قلبُه، وتفارقه الظلمة والقسوة التي حصلت له من اتِّباع الشهوات.

ولقد كان قلبَ الظالم مستنيراً فكأنَّه انتقل النور من قلب الظالم إلى قلب المظلوم، وانتقل السواد من قلب المظلوم إلى قلب الظالم.

وهذا وإن لم يكن انتقالاً حقيقياً ـ بل هو بطلان أمر من موضع وحدوث مثله في مضوع آخر ـ إلاّ أنّ إطلاق النقل على مثل ذلك استعارةٌ شائعة كما يقال: «انتقل الظلُّ، أو نور الشمس من موضع إلى موضع، أو ولاية القضاء من فلان إلى فلان» ونحو ذلك.

ـ كذا أفاد بعض العلماء ـ

* * *

(١) في مسلم (كتاب البر والصلة، باب (١٤) ثواب المؤمن فيما يصيبه. . .، ٤/١٩٩٢، ح٥١): «ما من شيء يصيب المؤمن، حتّى الشوكة تصيبه، إلا كتب الله بها حسنة، أو حطّت عنه بها خطيئة». وفي الباب أحاديث أخر يقرب منه.

(٢) في الترمذي (كتاب الحدود، الباب (١٢)، ٤/٤٥، ح١٤٣٩): «من أصاب من ذلك شيئاً فعوقب عليه فهو كفارته». وفي ابن ماجة (كتاب الحدود، الباب ٣٣، ٢/٨٦٨، ح٢٦٠٣): «من أصاب منكم أحداً، فعجّلت عقوبته، فهو كفّارته. . .».

الباب السادس

المساءلة والشهداء

﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾

[الأعراف: ٦ ـ ٧]

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾

[الحجر: ٩٢ ـ ٩٣]

﴿ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾

[الزمر: ٦٩]

المساءلة العامة

روي عليُّ بن إبراهيم[1] بإسناده عن مولانا الباقر عليه السلام في قوله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩] ـ قال: ـ

«إذا كان يوم القيامة وحُشر الناس بالحساب فيمرُّون بأهوال يوم القيامة ولا ينتهون إلى العرصة، ويشرف الجبَّار عليهم حتَّى يجهدوا جهداً شديداً».

ـ قال: ـ «يقفون بفناء العرصة ويشرف الجبَّار عليهم، وهو على عرشه، فأوّل من يدعى بنداء يسمع الخلائقُ أجمعين، بأن يُهتف باسم محمَّد بن عبد الله النبيّ القرشي العربي».

قال: «فيتقدَّم حتَّى يقف على يمين العرش».

ـ قال: ـ «ثمَّ يُدعى بصاحبكم، فيتقدَّم حتَّى يقف على يسار رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمَّ يدعى بأمَّة محمَّد صلى الله عليه وآله فيقفون عن يسار عليٍّ عليه السلام، ثمَّ يُدعى بكلِّ نبيّ وأُمَّته معه ـ من أوّل النبيين إلى آخرهم وأمّتهم معهم ـ فيقفون عن يسار العرش».

ـ قال: ـ «ثمَّ أوّل من يُدعى للمساءلة القلمُ» ـ قال: ـ «فيتقدَّم، فيقف بين يدي الله في صورة الآدميين، فيقول الله: «هل سطرتَ في اللوح ما ألهمتُك وأمرتُك به من الوحي»؟

(١) تفسير القمي: قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩]، ٢١٨/١ ـ ٢٢١.

فيقول القلم: «نعم - يا رب - قد علمتَ أنّي قد سطرت في اللوح ما أمرتني وألهمتَني به من وحيك».

فيقول الله: «فمن يشهد لك بذلك»؟

فيقول: «يا ربِّ - هل اطّلع على مكنون سرِّك خلقٌ غيرك»؟

- قال: - «فيقول له: «أفلحت حجَّتك».

- قال: - «ثمَّ يُدعى باللوح، فيتقدَّم في صورة الآدميّين حتَّى يقف مع القلم، فيقول له: «هل سطر فيك القلم ما ألهمتُه وأمرتُه به من وحي»[1]؟

فيقول اللوح: «نعم يا ربِّ - وبلَّغتُه إسرافيل».

ثم يُدعى بإسرافيل، فيتقدَّم إسرافيلُ مع القلم واللوح في صورة الآدميّين، فيقول الله له: «هل بلَّغك اللوحُ ما سطرَ فيه القلمُ من وحي[2]»؟ فيقول: «نعم يا ربّ - وبلّغتُه جبرئيل».

فيُدعى بجبرئيل، فيتقدَّم حتَّى يقف مع إسرافيل، فيقول الله له: «هل بلّغكَ إسرافيل ما بلّغ؟».

فيقول: «نعم يا ربّ - وبلَّغته جميعَ أنبيائك، وأنفذت إليهم جميعَ ما انتهى إليَّ من أمرك، وأدّيتُ رسالاتك إلى نبيٍّ نبيٍّ ورسولٍ رسولٍ، وبلّغتُهم كلَّ وحيك وحكمتِك وكتبِك، وإنَّ آخر من بلَّغته رسالتَك ووحيَك وحكمتَك وعلمَك وكتابَك وكلامَك: محمَّدُ بن عبد الله العربيّ القرشيّ الحرميّ، حبيبك».

قال أبو جعفر عليه السلام: «فأوّل من يُدعى من ولد آدم للمساءلة محمَّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، فيدنيه الله حتَّى لا يكون خلقٌ أقرب إلى الله يومئذ منه، فيقول

---

(١) المصدر: من وحيي.

(٢) المصدر: وحيي.

الله: «يا محمَّد، هل بلَّغك جبرئيلُ ما أوحيتُ إليك وأرسلته به إليك من كتابي وحكمتي وعلمي؟ وهل أوحى ذلك إليك»؟

فيقول رسول الله ﷺ: «نعم يا ربِّ ـ قد بلَّغني جبرئيلُ جميعَ ما أوحيتَه إليه وأرسلته به من كتابك وحكمتك وعلمك، وأوحاه إليَّ».

فيقول الله لمحمَّد: «هل بلَّغت أمَّتك ما بلَّغك جبرئيل من كتابي وحكمتي وعلمي»؟

فيقول رسول الله: «نعم يا ربّ ـ قد بلَّغت أمَّتي جميعَ ما أوحيتَ إليَّ من كتابك وحكمتك وعلمك، وجاهدتُ في سبيلك».

فيقول الله لمحمَّد: «فمن يشهد لك بذلك»؟

فيقول محمَّد: «يا ربِّ أنت الشاهد لي بتبليغ الرسالة وملائتك والأبرار من أمَّتي ـ وكفى بك شهيدا ـ».

فيُدعى بالملائكة، فيشهدون لمحمَّد بتبليغ الرسالة، ثمَّ يُدعى بأمَّة محمَّد فيُسألون: «هل بلَّغكم محمَّد رسالتي وكتابي وحكمتي وعلمي، وعلَّمكم ذلك»؟ فيشهدون لمحمَّد بتبليغ الرسالة والحكمة والعلم.

فيقول الله لمحمَّد: «فهل استخلفتَ في أمَّتك من بعدك مَن يقوم فيهم بحكمتي وعلمي، ويفسِّر لهم كتابي، ويبيِّن لهم ما يختلفون فيه من بعدك، حجَّة لي وخليفة في الأرض»؟

فيقول محمَّد: «نعم يا ربِّ، قد خلَّفتُ فيهم عليّ بن أبي طالب، أخي ووزيري ووصيِّي وخير أمَّتي، ونصبتُه لهم علَماً في حياتي، ودعوتُهم إلى طاعته، وجعلته خليفتي في أمَّتي، إماماً تقتدي به الأمَّة بعدي إلى يوم القيامة».
فيُدعى بعلي بن أبي طالب عليه السلام فيقال له: «هل أوصى إليك محمَّد واستخلفك في أمَّته، ونصبك علَماً لأمَّته في حياته؟ وهل قمتَ فيهم من بعده مقامَه»؟

فيقول له عليٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «نعم يا ربّ ـ قد أوصى إليَّ محمَّد وخلَّفني في أمَّته، ونصبني لهم علَماً في حياته، فلمَّا قبضتَ محمَّداً إليك جحدتني أمَّته ومكروا بي واستضعفوني وكادوا يقتلونني، وقدَّموا قدَّامي من أخَّرتَ، وأخَّروا مَن قدَّمتَ، ولم يسمعوا منِّي، ولم يطيعوا أمري، فقاتلتهُم في سبيلك حتَّى قتلوني».

فيقال لعليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «هل خلَّفت من بعدك في أمَّة محمَّد حجَّة وخليفة في الأرض، يدعو عبادي إلى ديني وإلى سبيلي»؟

فيقول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «نعم يا ربِّ ـ قد خلَّفت فيهم الحسن ابني وابن بنت نبيِّك». فيُدعى بالحسن بن عليٍّ، فيسأل عمَّا سُئل عنه علي بن أبي طالب». ـ قال: ـ «ثمَّ يدعى بإمامٍ إمامٍ، وبأهل عالَمه، فيحتجُّون بحجَّتهم، فيقبل الله عذرَهم ويجيز حجَّتَهم».

ـ قال: ـ «ثمّ يقول الله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩].

ـ قال: ـ ثمَّ انقطع حديث أبي جعفر ـ عليه وعلى آبائه السلام ـ.

مساءلة المؤمن والكافر

وروي بإسناده[1] عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «قال في خليلين مؤمنين وخليلين كافرين، ومؤمن غنيٍّ ومؤمنٍ فقير، وكافرٍ غنيّ وكافرٍ فقير:

«فأمّا الخليلان المؤمنان فتخالاّ حياتهما في طاعة الله ـ تبارك وتعالى ـ وتباذلا عليها وتوادّا عليها، فمات أحدهما قبل صاحبه، فأراه الله منزله في الجنَّة ليشفع لصاحبه، فقال: «يا ربِّ ـ خليلي فلانٌ كان يأمرني بطاعتك ويعينُني

---

(١) تفسير القمي: قوله تعالى ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍ﴾ [الزخرف: ٦٧]: ٢/ ٢٩١ ـ ٢٩٣. البحار: ٧/ ١٧٣، ح٤.

عليها، وينهاني عن معصيتك، فثبّته على ما ثبّتني عليه من الهدى، حتّى تريه ما أريتني». فيستجيب الله له، حتّى يلتقيا عند الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فيقول كلُّ واحد منهما لصاحبه: «جزاك الله من خليل خيراً، كنتَ تأمرني بطاعة الله وتنهاني عن معصية الله».

وأمّا الكافران: فتخالاّ بمعصية الله وتباذلا عليها وتوادّ عليها، فمات أحدهما قبل صاحبه، فأراه الله ـ تبارك وتعالى ـ منزله في النار، فقال: «يا ربِّ فلان خليلي، كان يأمرني بمعصيتك وينهاني عن طاعتك، فثبّته على ما ثبّتني عليه من المعاصي حتّى تُريه ما أريتني من العذاب» فيلتقيان عند الله يوم القيامة، يقول كل واحد منهما لصاحبه: «جزاك الله من خليل شرّاً، كنتَ تأمرني بمعصية الله وتنهاني عن طاعة الله».

ـ قال: ـ ثمَّ قرأ: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: ٦٧].

* * *

ثمَّ يؤمر بمؤمن غنيّ إلى الحساب ـ ولا غِناء لغنيٍّ يوم القيامة ـ يقول الله ـ تبارك وتعالى ـ: «عبدي». قال: «لبّيك ـ يا ربِّ».

قال: «ألم أجعلك سميعاً بصيراً، وجعلت لك مالاً كثيراً؟».

قال: «بلى ـ يا ربِّ». قال: «فما أعددتَ للقائي»؟

قال: «آمنت بك، وصدَّقت رسلك، وجاهدتُ في سبيلك».

قال: «فماذا فعلتَ فيما آتيتك»؟

فقال: «أنفقتُ في طاعتك». فقال: «ماذا ورثتَ عقبك؟».

قال: «خلَقتني وخلقتَهم، ورزقتَني ورزقتَهم، وكنتَ قادراً على أن ترزقهم

كما رزقتني، فوكلتُ عقبي إليك». فيقول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: «صدقتَ، اذهب فلو تعلم ما لكَ عندي لضحكت كثيراً».

* * *

ثمَّ دعى بالمؤمن الفقير، فيقول: «يا بن آدم».

فيقول: «لبَّيك ـ يا ربِّ». فيقول: «ماذا فعلتَ»؟

فيقول: «يا ربِّ هديتني لدينك، وأنعمتَ عليَّ وكففت عنّي ما لو بسطتَه لخشيت أن يشغلني عمّا خلقتني له». فيقول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: «صدق عبدي، لو تعلم ما لك عندي لضحكتَ كثيراً».

ثمَّ دعى بالكافر الغنيّ، فيقول: «ما أعددتَ للقائي»؟

فيقول: «ما أعددتُ شيئاً». فيقول: «ماذا فعلتَ فيما أتيتك»؟

فيقول: «ورثتُه عقبي». فيقول له: «مَن خلقَك»؟

فيقول: «أنت». فيقول: «مَن رزقك»؟

فيقول: «أنت». فيقول: «مَن خلق عقبك»؟

فيقول: «أنت». فيقول: «ألم أكُ قادراً على أن أرزق عقبك كما رزقتك»؟

فإن قال: «نسيتُ» هلك، وإن قال: «لم أدر ما أنت» هلك.

فيقول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: «لو تعلم ما لك عندي لبكيت كثيراً».

ثمَّ قال: «يدعى الكافر الفقير، فيقول: «يا بن آدم ـ ما فعلتَ فيما أمرتك»؟ فيقول: «ابتليتني ببلاء الدنيا حتَّى أنسيتني ذكركَ، وشغلتني عمَّا خلقتني له».

فيقول له: «فهلاّ دعوتني فأرزُقك، وسألتني فأُعطيك»؟

فإن قال: «ربِّ نسيت»، هلك. وإن قال: «لم أدر ما أنت»، هلك.

فيقول له: «لو تعلم ما لك عندي لبكيت كثيراً».

مكالمة الله مع عباده بلا واسطة في القيامة

وفي كتاب الحسين بن سعيد الأهوازي[1] عن أبي حمزة الثمالي، قال، قال علي بن الحسين عليه السلام: «إذا كان يوم القيامة جمع الله الخلائق الأوّلين والآخرين في صعيد واحد، ثمَّ ينادي مناد: «أين أهل الفضل»؟

ـ قال: ـ «فيقوم عنقٌ من الناس، فتتلقّاهم الملائكةُ فتقولون: «ما كان فضلكم»؟

فيقولون: «كنَّا نَصِل من قطَعنا، ونُعطي من حَرمنا، ونعفو عمَّن ظلمَنا». فيقولون: «أدخلوا الجنَّة».

ثمَّ ينادي مناد: «أين جيران الله في داره»؟

فيقوم عنق آخر من الناس فتقول لهم الملائكة «بما جاورتم الله»؟

فيقولون: «كنَّا نتبارُّ في الله، ونتحابُّ في الله، ونتباذل في الله»[2].

ثمَّ ينادي مناد: «أين أهل الصبر»؟

قال: «فيقوم عنق من الناس، فتتلقَّاهم الملائكة، فتقولون لهم: «على ما كنتم تصبرون»؟

فيقولون: «كنَّا نصبر على طاعة الله، ونصبر أنفسنا عن معاصيه».

---

(١) الزهد: باب الحشر والحساب...، ٩٣، ح٢٥٠. وجاء في أمالي الطوسي مع فروق كثيرة: المجلس الرابع، ح١٢، ١٠٣. عنهما البحار: ٧/ ١٧١ ـ ١٧٢، ح١.

(٢) لعله سقط من هنا فقرة بقرينه السابقة واللاحقة، وهو: «فيقولون ادخلوا الجنة».

فيقال لهم: «أُدخلوا الجنَّة».

وفيه[1] عن علي بن رئاب[2] عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«إن الله ليمنُّ على عبده المؤمن يوم القيامة ويُدنيه من كرامته، ثمَّ يعرِّفه ما أنعم به عليه، يقول الله ـ تبارك وتعالى ـ: «ألم تدعني يوم كذا وكذا فأعطيتك مسألتك؟ ألم تستغث بي في يوم كذا وكذا ـ وبك ضرٌّ كذا وكذا ـ فكشفتُ ضرَّك ورحمتُ صوتك؟ ألم تسألني مالاً فملَّكتك؟ ألم تستخدمني فأخدمتك؟ ألم تسألني أن أُزوّجك فلانة فزوَّجتك»؟

فيقول العبد: «بلى يا ربِّ ـ قد أعطيتني كلّما كنتُ سألتك، وقد سألتك الجنَّةَ».

ـ قال: ـ فيقول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: «إنّي متممٌ لك كلّ ما سألتنيه، هذه الجنَّة لك مباحة، أرضيت»؟

فيقول المؤمن: «نعم يا ربِّ ـ قد رضيت».

ـ قال: ـ فيقول الله ـ تبارك وتعالى ـ: «إنّي كنت أرضى أعمالك، وكنت أرضى لك حسن الجزاء، وأفضل جزائك عندي أن أسكنتك الجنَّة».

وعن النبيّ[3] صلى الله عليه وآله: «ما منكم من أحد إلاّ ويسائله رب العالمين، ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان».

---

(١) الزهد: الباب السابق، ٩٠، ح٢٤٣. تفسير القمي: قوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، ٢/ ٢٦٢. عنهما البحار: ٧/ ٢٨٩، ح٨.

(٢) علي بن رئاب، أبو الحسن، كوفي من أصحاب الصادق عليه السلام، ثقة جليل القدر. راجع معجم الرجال: ١٢/ ١٧ ـ ٢٦.

(٣) مسلم: كتاب الزكاة، باب الحثّ على الصدقة، ٢/ ٧٠٣، ح٦٧. وفيه «. . .إلا سيكلمه الله. . . ليس بينه وبينه ترجمان» بدلاً من «يسائله». وأورد في البحار (٩٦/ ١٣١، ح٦٢، و٧/ ١٨٣، ح٢٩) عن نوادر الراوندي: «كلكم يكلم ربه يوم القيامة، ليس بينه وبينه ترجمان».

وعنه[1] ﷺ: «ليقفنَّ أحدُكم بين يدي الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ليس بينه وبينه حجابٌ ـ فيقول له: «ألم أُوتك مالاً؟ فيقول: «بلى».

فيقول له: «ألم أُرسل إليك رسولاً»؟

فيقول: «بلى»، ثمَّ ينظر عن يمينه فلا يرى إلاّ النار، ثمَّ ينظر عن شماله فلا يرى إلاّ النار، فليتَّق النارَ أحدُكم ولو بشقِّ تمرة، فإن لم يجد فبكلمة طيبة».

وعنه[2] ﷺ: «لا يزول قدما عبد يوم القيامة حتّى يُسأل عن عمره فيما أفناه، وشبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين كسبه وفيما أنفقه، وعن حبّنا أهل البيت».

وعن أمير المؤمنين[3] عليه السلام: «لا تنشقّ الأرض عن أحد يوم القيامة إلاّ وملكان آخذان بعضديه، يقولان: أجب ربَّ العزَّة».

شهادة رسول الله والأئمة صلوات الله عليهم

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

قال مولانا الباقر[4] عليه السلام: «نحن الأمَّة الوسط، ونحن شهداء الله على

---

(١) البخاري: كتاب الزكاة، باب الصدقة قبل الرد، ٢/ ١٣٥ مع فروق يسيرة.
(٢) الخصال: باب الأربعة، ٢٥٣، ح١٢٥. أمالي الصدوق: المجلس العاشر، ح١٠، ٩٣. عنهما البحار: ٧/ ٢٥٨، ح١. و٧١/ ١٨٠، ح٣٢. وأورده الخوارزمي مع فرق يسير في مناقبه: الفصل السادس في محبة الرسول إياه عليهما السلام، ٣٥ ـ ٣٦. فرائد السمطين: السمط الثاني، الباب الحادي والستون: ٢/ ٣٠١.
(٣) أمالي الصدوق: المجلس الرابع والستون، ح١٠، ٤٩٧. عنه البحار: ٧/ ١٠٦، ح٢٢.
(٤) الكافي: كتاب الحجة، باب أن الأئمة شهداء الله، ١/ ١٩١، ح١٩١.

خَلقه وحججه في أرضه». ـ ثمَّ قال: ـ «فرسول الله الشهيد علينا بما بلّغنا عن الله، ونحن الشهداء على الناس، فمن صدَّق يوم القيامة صدَّقناه، ومن كذَّب كذَّبناه».

ومثله قال مولانا الصادق[1] عليه السلام.

وقال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١].

قال مولانا الصادق[2] عليه السلام: «نزلت في أمَّة محمَّد خاصَّة، في كلّ قرن منهم إمامٌ[3] شاهد عليهم، ومحمَّد صلى الله عليه وآله شاهدٌ علينا»[4].

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[5] ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[6] [فصلت: ٢٠ ـ ٢١].

والسرُّ فيه أنَّ لكلِّ خُلقٍ وهيئةٍ ظهوراً خاصّاً في كلِّ موطن ونشأةٍ، وقد

---

(١) الكافي: الباب السابق، ١/ ١٩٠، ح٢.

(٢) الكافي: الصفحة السابقة، ح١. عنه البحار: ٧/ ٢٨٣، ح٧.

(٣) الكافي: إمام منا.

(٤) كتب المصنف ما يلي ثم شطب عليه:
وروى العامَّة: أنّ الأمم يوم القيامة يجحدون بتبليغ الأنبياء، فيطالبهم الله ـ تعالى ـ ببيِّنة التبليغ ـ وهو أعلم بهم ـ إقامة للحجَّة على المنكرين، فيؤتى بأمَّة محمّد صلى الله عليه وآله فيشهدون، فيقول الأمم: «من أين عرفتم»؟ فيقولون: «عَلمنا ذلك بإخبار الله ـ تعالى ـ في كتابه الناطق على لسان نبيِّه صلى الله عليه وآله الصادق. فيؤتى بمحمّد صلى الله عليه وآله فيسأل عن حال أُمَّته فيشهد بعدالتهم».
قال الله ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢].

(٥) في النسخة: يوم تشهد (بدلاً من: حتى إذا ما جاؤوها)، والصحيح ما أثبتناه.

(٦) في النسخة: إنه خبير بما يصنعون (بدلاً من: وهو خلقكم أول مرة...)، والصحيح ما أثبتناه.

تكون لصورةٍ واحدةٍ آثارٌ مختلفة بحسب المواطن، وأنَّ كلّ إنسان يُحشر على صورة تناسب أخلاقَه وأعمالَه، كما قال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء: ٩٧]. وقد مرَّ الكلام فيه.

فتلك الصور لا محالة تدلُّ على تلك الأخلاق والأعمال، وتشهد عليها صريحاً بحيث لا مجال للإنكار والاعتذار، كما قال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ * وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥ ـ ٣٦] ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥].

وقد وفّق مولانا أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في حديث اختلاف آيات القرآن بين هذه الآيات وما يدانيها في المعنى، وبين ما يخالفها بحسب الظاهر، ممَّا يدلُّ على التقاول والاختصام، بأنَّ «ذلك في مواطن غير واحد من مواطن ذلك اليوم الذي كان مقداره خمسون ألف سنة»[1].

وما يدلُّ على التقاول والاختصام كقوله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣١].

وقوله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾

﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ [سبأ: ٣١ ـ ٣٣].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ١٦٦ ـ ١٦٧].

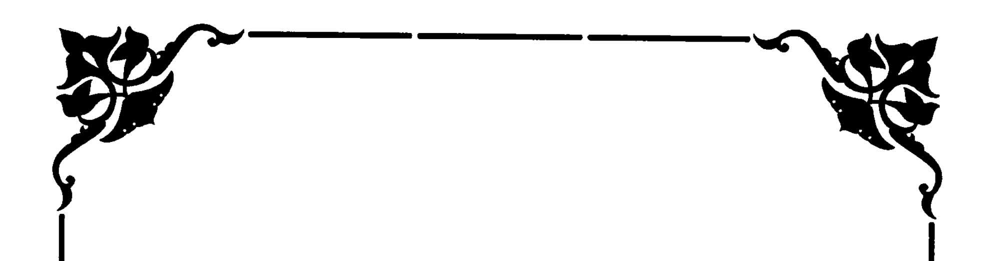
---

(١) راجع الرواية في التوحيد: باب الرد على الثنوية والزنادقة، ح٥، ٢٦٠.

وقوله - عزَّ وجلَّ -: ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العنكبوت: ٢٥]. ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ [ص: ٦٤].

﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ * قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ * مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٧ - ٢٩].

* * *



الباب السابع

تطائر الكتب ونشرها

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۞ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾

[الإسراء: ١٣ ـ ١٤]



تطائر الكتب ونشرها

المراد بالطائر: العمل وما قُدِّر له، كأنَّه طيرٌ له من عُشِّ الغيب ووَكْر القدَر.

وفي الحديث[1]: «أي قدَره الذي قُدِّر عليه».

قيل[2]: كلّ ما يدركه الإنسان بحواسِّه يرتفع منه أثرٌ إلى روحه ويجتمع في صحيفة ذاته وخزانة مدرَكاته، وكذلك كلُّ مثقال ذرة من خير أو شرٍّ يعمله يرى أثره مكتوباً ثمَّة، ولا سيَّما ما رسخت بسببه الهيئات وتأكَّدت به الصفات وصار خُلقاً وملكة، فإنَّ ذلك مما يوجب خلودَ الثواب والعقاب.

وذلك لأنَّ الملكات النفسانيَّة تصير صوَراً جوهريَّة وذواتاً قائمة فعَّالة في النفس تنعيماً وتعذيباً، ولو لم يكن للآثار الحاصلة في النفس من الأعمال والأقوال دوامٌ وثباتٌ وقوّةٌ واشتدادٌ يوماً فيوماً، إلى حدٍّ تصير ملكَة راسخة، لم يكن لأحد تعلُّمُ شيءٍ من الصنايع والحِرف، ولم ينجع فيه التأديبُ والتهذيبُ، ولم يكن في تعليم الأطفال فائدةٌ، ولا لهم تفاوت من أوَّل الحداثة إلى آخر حدٍّ

---

(١) تفسير القمي: سورة أسرى، والآية المذكورة، ٢/ ١٧.

(٢) أورده المؤلف ـ قده ـ في الوافي (٤/ ٣٠) أيضاً، ويظهر أن الفصل مقتبس من شرح أصول الكافي لصدر المتألهين: ٤٣٠ ـ ٤٣٢، الحديث الثاني من باب الهداية من كتاب التوحيد. راجع أيضاً الأسفار الأربعة: ٩/ ٢٩٠ ـ ٢٩٦.

الكمال، وتكون التكاليف الشرعيّة عبثاً لا فائدة فيها.

ولو لم يكن لتلك الملكات من الثبات والتجوهر ما يبقى أبد الآباد، لم يكن لخلود أهل الجنّة في الثواب وخلود أهل النار في العقاب ـ أبداً ـ وجهٌ.

فإنّ منشأ الثواب والعقاب لو كان نفس العمل أو القول ـ وهما أمران زائلان ـ للزم بقاءُ المعلول مع زوال العلّة المقتضية، وذلك غير صحيح، والفعل الجسماني الواقع في زمان متناهٍ، كيف يصير منشأً للجزاء الواقع في أزمنة غير متناهية؟ ومثل هذه المجازاة غير لائق بالحكيم، سيَّما في جانب العذاب.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾[1] [الحج: ١٠] ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩].

ولكن إنَّما يخلَّد أهل الجنَّة في الجنَّة وأهل النار في النار بالثبات في النيَّات والرسوخ في الملكات.

ومواذُ الأشخاص الأخرويَّة[2] ـ وما يكون لها بمنزلة البذور للأشجار والنطف للحيوانات ـ إنَّما هي التصوُّرات الباطنيَّة والتخيُّلات النفسانيَّة والتأمُّلات العقليَّة، فإنَّها تصير صوَراً معقولة قائمة بذواتها، حيّة ـ مع كثرتها ـ بحياة واحدة هي نفس ذاتها، مرتسمة كلُّها في لوح النفس.

* * *

فهذا الكتاب هو مجمع صحائف الأعمال، وهو كتابٌ منطوٍ اليومَ عن مشاهدة الأبصار، وإنّما ينكشف بالموت عند كشف الغطاء ورفع شواغل ما يورده الحواسُّ، المعبَّر عنه بقوله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: ١٠].

---

(١) في النسخة: «ذلك بما كسبت يداك» والصحيح ما أثبتناه.
(٢) الأسفار الأربعة: ٩/ ٢٩٥.

فإذا حان وقتُ ذلك ـ وهو ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق: ٩] ـ صار الغيب شهادةً، والسرُّ علانيةً، والخبرُ عياناً، فيقال: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢].

﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩].

فمن كان في غفلة عن ذاته وحساب سرِّه، فإذا وقع بصرُه على ذلك، والتفت إلى صفحة باطنه وصحيفة قلبه يقول[1]: ﴿هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠].

روى خالدُ بن نجيح[2] عن مولانا الصادق عليه السلام قال[3]:

«يذكر العبد جميعَ أعماله وما كتب عليه، حتَّى كأنَّه فعلَه تلك الساعة، فلذلك قالوا: ﴿يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: ٤٩].

قيل[4]: مَن كان من أهل السعادة وأصحاب اليمين وكان معلوماته أموراً

---

(١) في هامش النسخة:
«ويقال: يستخرج لهم كتابٌ عظيم يسدُّ ما بين المشرق والمغرب، فيه أعمال جميع الخلائق، فما من ﴿وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]. وذلك أنّ أعمال الخلائق يعرض على الله في كلِّ يوم، فيأمر الكرام البررة أن ينسخوا في ذلك الكتاب العظيم، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩] ـ منه».

(٢) قال النجاشي (١٥٠، رقم ٣٩١): «خالد بن نجيح الجوّان، مولى كوفي، يكنى أبا عبد الله، روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام». والرجل إمامي صحيح الاعتقاد على الأظهر، راجع تنقيح المقال: الرقم ٣٥٤٣.

(٣) تفسير العياشي: سورة الكهف، ح٣٥: ٢/ ٣٢٨. عنه البحار: ٧/ ٣١٤ ـ ٣١٥، ح٩.

(٤) راجع الأسفار الأربعة: ٩/ ٢٩٠ ـ ٢٩٦. وأورده ـ قده ـ في الوافي (٤/ ٣٠) أيضاً.

مقدَّسة وأعماله صالحة، فقد أوتي كتابه بيمينه من جهة علّيين: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ١٨ ـ ٢١].

وذلك لأنّ كتابه من جنس الألواح العالية والصحف المكرَّمة، المرفوعة المطهَّرة ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٥ ـ ١٦]، فليس عليه سوى العرض كما قال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ * إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ ـ إلى قوله[1] ـ: ﴿فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ١٩ ـ ٢٤].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق: ٧ ـ ٩].

وفي الحديث[2]: «إنَّ ذلك هو العرض، فإنَّ مَن نوقِشَ في الحساب عُذِّب».

ومن كان من الأشقياء المردودين، وكان معلوماتُه مقصورةً على الجرميّات، وأعماله خبيثة، فقد أوتي كتابه بشماله من جهة سجّين: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ * كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المطففين: ٧ ـ ١٠].

وذلك لأنَّ كتابه من جنس الأوراق السفليّة والصحائف الحسيّة القابلة للاحتراق، فلذلك يعذَّب بالنار كما قال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ * مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّى

---

(١) ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢١ ـ ٢٤].

(٢) البخاري: التفسير، سورة الانشقاق، ٦/٢٠٨. المسند: ٦/٤٧. وجاء في معاني الأخبار (٢٦٢. عنه البحار: ٧/٢٦٣، ح١٧) عن الباقر عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «كل محاسَب معذَّب»، فقال له قائل: «يا رسول الله ـ فأين قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨]؟ قال: «ذلك العرض».

سُلْطَٰنِيَهْ﴾ ـ إلى قوله[1]: ـ ﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ [الحاقة: ٢٥ ـ ٣٧].

وأمَّا من أوتيَ كتابه وراء ظهره، فهم الذين أوتوا الكتاب، فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً، فإذا كان يوم القيامة قيل له: «خذ من وراء ظهرك» ـ أي من حيث نبذتَه فيه في حياتك الدنيا ـ: ﴿قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾ [الحديد: ١٣].

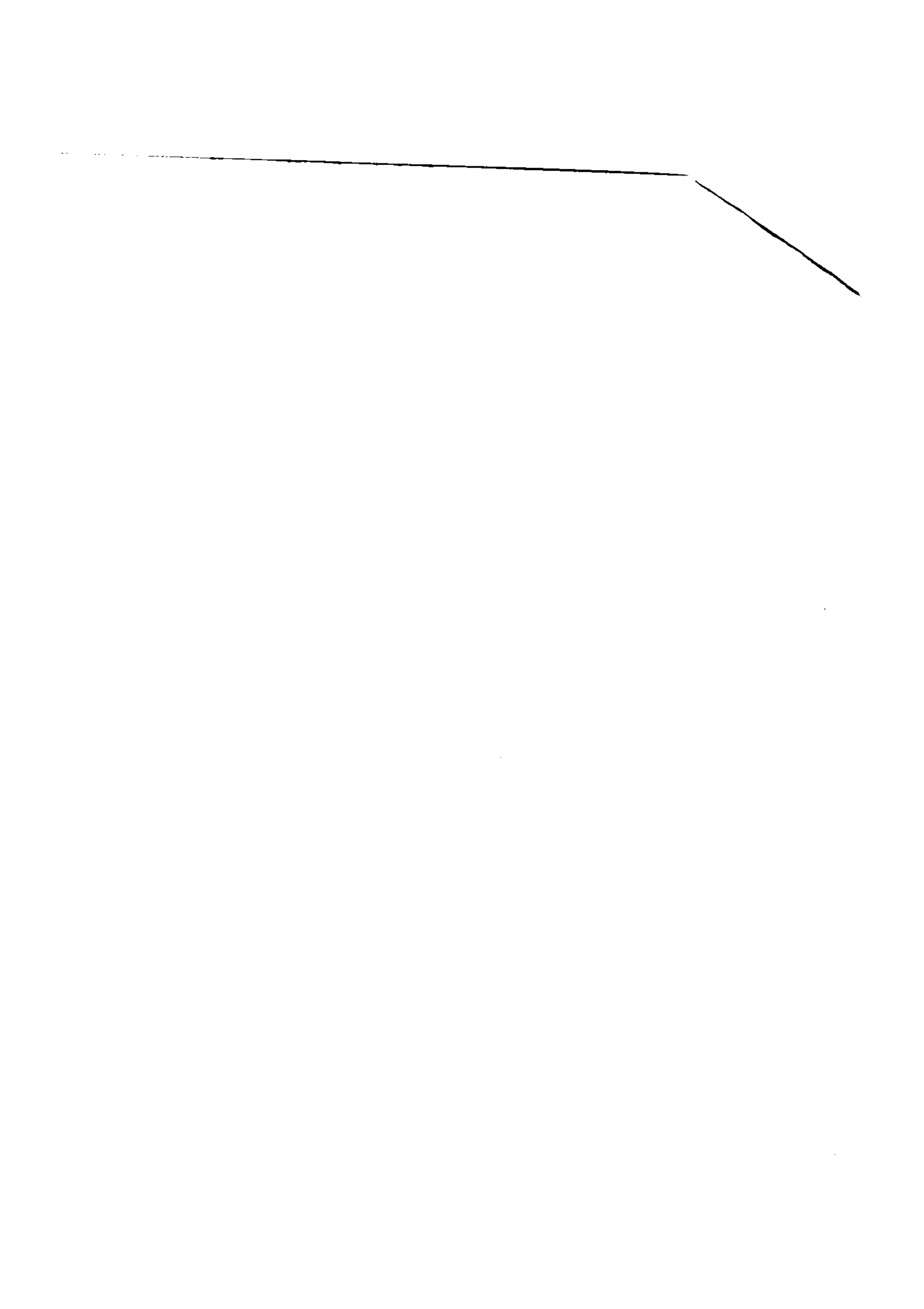
وهو كتابه المنزَل عليه ـ لا كتاب الأعمال ـ فإنَّه حين نبذه وراء ظهره: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ [الانشقاق: ١٤] ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا * وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: ١١ ـ ١٢].

وفي كتاب الحسين بن سعيد[2] عن أبي بصير ـ قال: ـ سمعت أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: «إنَّ المؤمِن يُعطى يومَ القيامة كتاباً منشوراً، فيه كتاب من الله العزيز الحكيم: «أدخِلوا فلاناً الجنَّة».

---

(١) ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ * إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ * وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ * فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ * لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ [الحاقة: ٣٠ ـ ٣٧].

(٢) الزهد: باب (١٧) الحشر والحساب...، ح٢٤٧، ٩٢. عنه البحار: ٧/ ٣٢٥، ح١٨.







الباب الثامن

الميزان والحساب

﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ
وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾

[الأنبياء: ٤٧]



الميزان والحساب

ميزان كلّ شيء[1] هو المعيار الذي يُعرف به قدرُ ذلك الشيء، ولا يكون إلاّ من جنسه وممّا يناسبه على اختلاف أجناس الموزونات، كذي لكفّتين والقبّان وما يجري مجراه للأجرام والأثقال، والأسطرلاب للمواقيت والارتفاعات، والفرجار للدوائر والقسيّ والشاقول للأعمدة والمسطر للخطوط، والعَروض للشعر، والمنطق للفلسفة، والحسّ والخيال لبعض المدرَكات، والعقل الكامل للكلّ، إلى غير ذلك.

فميزان يوم القيامة ما يوزن به قدْرُ كلّ إنسان وقيمتُه على حسب عقيدته وخُلقه وعمله، لتجزى كلّ نفس بما كسبت، وهو الشريعة الحقّة النبويّة. وبها وباقتفاء أحكامها، وترك ذلك أو القرب منها والبُعد عنها يُعرف مقدار الناس وقدْر حسناتهم وسيّئاتهم. فميزان كلّ أُمّة هو الشريعة التي أتى بها نبيُّها، وإن شئتَ قلت: هو نبيُّها ووصيُّ نبيِّها[2].

---

(١) راجع مفاتيح الغيب: الفاتحة الثامنة من المفتاح الثاني، ٩٢.
تفسير آية الكرسي لصدر المتألهين: ١٥١.

(٢) كتب المصنّف ـ قده ـ ما يلي، ثم شطب عليه وكتب ما في المتن بدلاً منه:
«فميزان يوم القيامة ـ أعني ما يوزَن به العلوم والأعمال فيُعرف قدرُها ـ هو نفس العقائد الحقّة والأعمال الصالحة التامّة ـ من وجه ـ وأهلهما الهادون إليهما ـ من وجه آخر ـ.
وعلى الأوّل قيل «الميزان هو كلمة: لا إله إلا الله»، فإنّها هي الفاصلة بين الإسلام =

كما رواه الصدوق ـ رحمه الله ـ[1] بإسناده عن هشام بن سالم، قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الأنبياء: ٤٧]، قال: «هم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام».

وفي رواية أخرى عنهم[2] عليهم السلام: «نحن الموازين القسط».

وروى محمَّد بن الحسن الصفَّار في بصائر الدرجات[3]: بإسناده عن مولانا الصادق عليه السلام أنَّه سُئل عن قول الله عزَّ وجلّ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الانعام: ١٥٣]؟ قال: «هو والله عليٌّ، هو والله الصراط والميزان».

* * *

= والكفر، والمائزة بين أهل الجنَّة والنار.
ولهذا ورد في الحديث *: «مَن قال: «لا إله إلا الله» دخل الجنَّة».
وعليه ـ أيضاً ـ ورد في الحديث **: «الصلوة ميزان، مَن وفى استوفى».
هذا في الأعمال وذاك في العلوم، وقس عليهما سائر العقائد والأعمال.
وعلى الثاني ورد في الحديث: «إنَّ الموازين القسط هم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام».
(*) عوالي اللئالي: ١/ ٣٤ و٤١. فقه الرضا عليه السلام: ٣٩٠. عنهما البحار: ٣/ ١٣، ح٢٨ ـ ٢٩. كنز العمال: ١/ ٦١، ح٢٠٨.
وجاء في التوحيد (باب ثواب الموحدين والعارفين: ٢٢، ح١٥): «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له فله الجنة».
وفي الجامع الصغير (٢/ ١٧٧): «من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة».
(**) الفقيه: باب فضل الصلوة، ١/ ٢٠٧، ح٦٢٢. معاني الأخبار: باب معنى المحاقلة...، ٢٨٣، ح١٢. البحار: ٧٦/ ٣٤٨. ٨٢/ ٢٣٥، ح٦٢.

(١) معاني الأخبار: باب معنى الموازين...، ٣١، ح١. اعتقادات الصدوق: باب الاعتقاد في الحساب والموازين. عنه البحار: ٧/ ٢٥١، ح٩.
الكافي: باب نتف من الآيات في الولاية: ١/ ٤١٩، ح٣٦.

(٢) جاء في بصائر الدرجات (الجزء السادس، باب ١٨، ح١٢، ٣١١): «نحن الميزان». عنه البحار: ٢٤/ ٣٩٧، ح١١٦.

(٣) بصائر الدرجات: الجزء العاشر، باب النوادر، ٥١٢، ح٢٥، مع فرق يسير. عنه البحار: ٣٥/ ٣٦٣، ح٢.

وذلك لما حقَّقنا فيما سبق من أنّ ارتفاع قدر العباد وقبول أعمالهم إنَّما هو بقدر محبَّتهم للأنبياء والأوصياء عليهم السلام، وطاعتهم إيَّاهم في أفعالهم وأقوالهم، واقتفائهم لآثارهم، واستنانهم بسنَّتهم، والاعتقاد فيهم بالنبوَّة والإمامة، وكونهم على الحقّ، مبعوثين من الله، منتجبين من لدنه، فالمقبول الراجح من الأعمال ما وافَق أعمالَهم، والمرضيّ من الأخلاق والأقوال ما طابَق أخلاقَهم وأقوالهم، والحقُّ من العقائد ما اقتبس منهم، والمردود منها ما خالف ذلك، وكلّما قرب منهم قرب من الحقّ، وكلّما بعُد عنهم بعُد عنه.

فميزان كلّ أمَّة وهو نبيُّ تلك الأمَّة ووصيُّ نبيِّها على هذا الوجه، وشريعتها على الوجه الأوّل.

ولمَّا كان كلّ أحد إنَّما يكلَّف في العلم والعمل بقدر وسعه وطاقته ـ على اختلاف طبقات الناس كما قيل: «إنّ الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق» ـ فميزان كلّ أحد على الوجه الأوّل هو ما كلِّف به إذا أتى به على وجهه.

فلكلّ أحد ميزانٌ يخصُّه بهذا الاعتبار، يعرف به قدر أعماله وعلومه بأن يقاس إليه أعماله وعقائده، ويوزن خيرها وشرُّها، كما يقاس الأفكار والأنظار إلى علم الميزان ليستبان صحيحها من فاسدها، فالموازين كثيرة، ولهذا وردت في الآية الشريفة بلفظ الجمع.

وهي إذا قيست إلى المكلَّفين بحسب اختلافهم في التكاليف على حسب تفاوت طبقات الناس في الوسع والطاقة والفهم والذكاء، فتعدُّدها وتكثُّرها بحسب تعدُّدهم في التكليف.

وإذا قيست إلى العلوم والأعمال بحسب أفرادها وأشخاصها ـ على فنونها وكثرتها ـ تكثَّرت بحسب تكثُّر الاعتقادات والأعمال بالإضافة إلى شخص واحد ـ أيضاً ـ.

وإليه الإشارة بقوله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ [الأعراف: ٨] ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢ ـ ١٠٣].

وما ورد[١] «أنّه يوزن به الصحف»، فالمراد بـ«الصحف» النفوس الإنسانيّة. وما ورد[٢] «أنّ له لساناً وكفّتين» فتمثيل للمعنى بالصورة ـ كما ورد في سائر نظائره ـ.

وفي الاحتجاج[٣] عن الصادق عليه السلام أنّه قيل له: «أوَ ليس توزن الأعمال»؟

---

(١) كتب المصنف ما يلي، ثم شطب عليه وكتب بدلاً منها في الهامش ما في المتن إلى آخر الفصل:

وأما ما روي عن ابن عبّاس «إنّ طول الميزان ما بين المشرق والمغرب، وكفة الميزان كأطباق الدنيا في طولها وعرضها، وأحد الكفّتين عن يمين العرش ـ وهي كفّة الحسنات ـ والأخرى عن يسار العرش ـ وهي كفّة السيّئات ـ في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة» فلا ينافي ما ذكرناه، لما عرفت أن صور الحقائق تختلف باختلاف النشآت والمواطن.

وهذا التحقيق على الوجه المذكور من خواصّنا ـ ولله الحمد.

قيل كل فعل يقتضي اطمئنان النفس، فهو مما يُثقل الميزان، وكل ما يقتضي تحيّرها واتّباعها للأهواء المختلفة، فهو ما يخفّفه.

وعن مولانا الباقر عليه السلام: «من كان ظاهره أرجح من باطنه خفّف ميزانه».

وعن النبي صلى الله عليه وآله: «ليأتي العظيم السمين يومَ القيامة، لا يوزن عند الله جناح بعوضة».

وفي خبر آخر: «يؤتى بالرجل ومعه سبعون ـ وفي رواية تسعة وتسعون ـ سجلاً، كل سجل» (الباقي غير مكتوب).

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (باب ٨، ١/ ٢٦٣) عن ابن عباس. وحكاه السيوطي في الدر المنثور ٣/ ٤١٨، الأعراف/ ٨) عن الحسن وابن عباس.

وفيه (٣/ ٤٢٠) عن سلمان: «يوضع الميزان وله كفتان».

وفيه (٣/ ٤٢٠) عن ابن عباس: «الميزان له لسانان وكفتان...».

راجع أيضاً مجمع البيان: الأعراف/ ٨، ٤/ ٣٩٩.

(٣) الاحتجاج: أجوبته عليه السلام عن سؤالات الزنديق: ٢/ ٢٤٧. عنه البحار: ١٠/ ١٨٧، ح٢. ٧/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩، ح٣.

قال: «لا، لأنَّ الأعمال ليست أجساماً، وإنَّما هي صفة ما عملوا، وإنَّما يحتاج إلى وزن الشيء مَن جهل عددَ الأشياء، ولا يعرف ثقلَها وخفَّتها، وإنَّ الله لا يخفى عليه شيء».

قيل: «فما معنى الميزان»؟

قال: «العدل».

قيل: «فما معناه في كتابه: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [المؤمنون: ١٠٢]؟

قال: «فمَن رجح عملُه».

وفي كتاب التوحيد[1] عن أمير المؤمنين عليه السلام في قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [القارعة: ٦]. . . ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [المؤمنون: ١٠٣]. قال: «الحسنات ثقل الميزان، والسيئات خفَّة الميزان».

* * *

تصوير الميزان

لمَّا كانت العقائد والأعمال قائمة بالنفس الإنسانية ـ وهي بعينها صحائف الأعمال ـ فالنفس بعينها هي الكفَّة من وجه، وهي المعيار أو الموزون من وجه آخر.

لأنَّا إذا جعلنا الميزان عبارةً عن العقائد والأعمال، فالنفس الحاملة لها بمنزلة الكفَّة ـ وعليه قيل: «إنَّ كفَّة ميزان كلّ أحد بقدر عمله».

وإن جعلناه عبارة عن الهادين إليهما، فالنفس بمنزلة المعيار أو الموزون،

(١) التوحيد: باب الرد على الثنوية: ٢٦٨، ح٥.
عنه البحار: ٧/ ٢٥٠، ح٩.

وعليه ورد في الحديث[1]: «أنّ الموزون هو الصحف».

وحينئذٍ تكون الكفَّة ما يحملها ويحيط بها ـ وهي النشأة الآخرة:

فإحدى الكفَّتين من وجه هي النفس الكاملة التامَّة ـ من نبيٍّ أو وصيّ نبيٍّ أو غيرهما، ممَّن له الحالة التي لا تسع قدرة النفس الموزونة به فوق تلك الحالة ـ ومن وجه آخر حامل تلك النفس والمحيط بها من عالم الغيب وأرض القدس.

والكفَّة الأخرى هي النفس التي يراد وزنُها من المكلَّفين ـ من وجه ـ وحاملها من تلك النشأة ـ من وجه آخر ـ.

والعمودُ ـ الذي به ترتبط إحداهما بالأُخرى ـ هو اتِّباعُ النفس الناقصة للكاملة واقتدائها بها واهتدائها بهداها ـ من وجه ـ والفيوضاتُ الواردة على المكلَّف من النشأة الباقية ـ من وجه آخر ـ.

واللسان: هو المِلك الذي ألهمهما الخير والصواب، والعلم والحكمة، والأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة.

وكيفيّة الوزن: أن يقابل كلّ واحد واحد من الأعمال والأخلاق والعلوم بكلٍّ واحدٍ واحدٍ من مقابله ـ أو المجموع بالمجموع ـ فيعرف خيرها من شرِّها، وعلى هذا فالموزون بالإصالة إنَّما هو الحسنات ـ دون السيِّئات ـ وإنَّما يعرف قدر السيّئات بالعرَض.

ولهذا ورد الثقل والخفّة في الآيات بالإضافة إلى الحسنات فقط ـ دون السيّئات ـ.

ولهذا أيضاً قسَّم الله أهلَ الحساب على قسمين: ثقيل الحسنات

(١) راجع مجمع البيان: ٣٩٩/٤، وتفسير الفخر الرازي، تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ [الأعراف: ٨]: ٢٥/١٤.

وخفيفها ـ ولم يذكر مَن تساوى حسناتُه سيئاتِه، لأنَّ الحسنات لا توزن بالسيِّئات على هذا التقدير ـ.

* * *

هذا كلُّه إذا نظرنا إلى ميزان يوم القيامة من جهة تعدُّده وتكثُّره ـ كما يستفاد من الآيات القرآنيَّة ـ وأمّا إذا نظرنا إليه من جهة وحدته، كما يظهر ممّا روي عن ابن عبّاس ـ قال: «طول عمود الميزان ما بين المشرق والمغرب، وكفَّة الميزان كأطباق الدنيا في طولها وعرضها، وإحدى الكفَّتين عن يمين العرشِ ـ وهي كفَّة الحسنات ـ والأخرى عن يسار العرش ـ وهي كفَّة السيِّئات ـ ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]».

وعن ابن سلام[١]: «إنَّ ميزان ربِّ العالمين ينصب للجنِّ والإنس، يستقبل به العرش، إحدى كفَّتي الميزان على الجنَّة، والأخرى على جهنَّم، ولو وُضعت السماوات والأرض في إحداهنَّ لوسعتهنَّ، وجبرئيل عليه السلام آخذٌ بعموده ينظر إلى لسانه».

فبيانه: أنَّ جملة الخلائق المسمَّاة بالعرش من وجه ـ كما ورد في كلام الصادق عليه السلام ـ هو بمنزلة ميزان عظيم، له كفَّتان وسيعتان وعمودٌ ولسانٌ، ولا يبعد أن يُتصوَّر يوم القيامة للخلائق بهذه الصورة الميزانيَّة، ويتراءى لهم كذلك ـ لما ثبت في محلِّه أنَّ صور الأشياء تتبدَّل بتبدُّل النشآت والمواطن[٢]، فلكلِّ شيء صورةٌ في نشأة غير صورته التي له في النشأة الأُخرى ـ.

فإحدى كفَّتيه عن يمين العرش ـ وهي كفَّة الحسنات ـ وفيها كلُّ ما يصعد من هذا العالم إلى عالم الغيب من الكلم الطيِّب والعمل الصالح، والأقوال الصادقة، والأخلاق الفاضلة ـ إلى غير ذلك من الحسنات والباقيات الصالحات ـ وبالجملة ما يتبع الأرواح الطيِّبة.

---

(١) أورده الفخر الرازي في تفسير سورة الأعراف/٨، ١٤/ ٢٥.
(٢) راجع الأسفار الأربعة: ٨/ ٣٦٩.

والكفَّة الأخرى عن يسار العرش، وهي كفَّة السيئات، وفيها كلُّ ما في هذا العالم من الأعمال الخبيثة الزائلة، والإدراكات الجزئيَّة المتغيِّرة ـ من الحيَل والأكاذيب والأوهام والخيالات الفاسدة، وبالجملة ما يلزمه الأرواح الخبيثة.

وعمودهُ عبارة عن ارتباط إحدى النشأتين بالأخرى بإفاضة الله الخيرات من هناك إلى هنا، وقبول القلوب المستعدَّة لها إيّاها وصيرورتها من أهل تلك النشأة بسببها.

وأمَّا «كون طوله ما بين المشرق والمغرب»: فلأنَّ النشأة الآخرة ليست في جهة ومكان من هذه النشأة، بل هي محيطة بها، إحاطة الروح بالجسم ـ كما ورد في الحديث[1]: «إنَّ الجنَّة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك».

فالعمودُ الرابط بين النشأتين، إنَّما يكون بين المشرق والمغرب، لعدم خروج شيء منها عن هذين الحدَّين.

أو نقول: إنَّ المراد بـ«المشرق» تلك النشأة الباقية، وبـ«المغرب» هذه النشأة الفانية ـ لطلوع أنوار الفيض من تلك النشأة وغروبها في هذه ـ.

وممَّا ذكر ظهر معنى قوله: كفَّة الميزان كأطباق الدنيا في طولها وعرضها.

وأمّا تسميتها يميناً وشمالاً: فلقوَّة إحداهما وضعف الأخرى.

وقوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤] أي من ابتداء الدنيا إلى انتهائها، ولا يبعد أن يتصوَّر تلك المدَّة ويتراءى يوم القيامة كلّها دفعةً واحدة.

---

(١) البخاري: كتاب الرقاق، باب (٢٩)، ٨/١٢٧. المسند: ١/٣٨٧ و٤١٣ و٤٤٢. أخبار إصبهان، ذكر علي بن الحسن بن سلم: ٢/٩.

وأمّا اللسان: فهو الملك الكبير المفيض للحياة على النشأتين ومُلهِمهما العلومَ والحِكَم ـ كجبرئيل عليه السلام ـ.

وكيفيّة الوزن على هذا أن يقاس ما للنفوس في إحدى الكفَّتين بما عليهم في الأخرى، فكلٌّ من غلبت عليه محبَّةُ النشأة الباقية ويكون أكثر إدراكاته وأعماله من أجناس تلك النشأة، فكفَّةُ حسناته تكون أرجح وأثقل، فيكفِّر الله بها سيّئاته ويبدِّلها حسنات، وكلّ من غلبت عليه شقوته وأخلد إلى الأرض واتَّبع هواه، ويكون أكثر إدراكاته وأعماله من متاع الحياة الدنيا، فكفَّةُ سيِّئاته تكون أرجح وأثقل، فإن كان مؤمناً ـ ولم يشفع له ولم تتداركه الرحمة ـ يعذَّب بقدر سيِّئاته، ثمَّ يخرج إلى الجنَّة، وإن كان كافراً فقد حبط أعماله الخير كلُّها، ولا يصعد إلى تلك النشأة منها شيء، فلا وزن لحسناته أصلاً.

وتنزيل الميزان إلى هذا المعنى أقرب إلى المشهور عند الجمهور من وقوع كلٌّ من كفَّتي الحسنات والسيئات في مقابلة الأخرى ووحدة الميزان، إلاّ أنَّ المعنى الأوّل أولى وأنسب، وإلى القرآن والحديث أقرب، وإن كان كلاهما صحيحاً حسناً.

فإن قلت: بِمَ يُعرف قدرُ الأعمال؟ وما معنى رجحانها وثقلها؟

فاعلم[1]: أنّ لكلِّ عملٍ من الأعمال البدنيَّة تأثيراً في النفس، فإن كان من باب الحسنات والطاعات ـ كالصلاة والصيام والحج والزكاة والجهاد وغيرها ـ فله تأثيرٌ في تنوير النفس وتخليصها من أسر الشهوات وتطهيرها من غواسق الماديَّات، وجذبها من الدنيا إلى الأخرى، ومن المنزل الأدنى إلى المحلِّ الأعلى، فلكلِّ عملٍ منها مقدارٌ معينٌ من التأثير في التنوير والتهذيب، بل لكلِّ جزءٍ من أجزاء العمل الواحد أثرٌ في ذلك ـ كما قال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧].

---

(١) مقتبس من الأسفار الأربعة: ٩/ ٣٠٣.

مثال ذلك: لو فرضنا سفينةً عظيمةً، بحيث لو أُلقي فيها مأة ألف مَنٍّ، فإنَّها تغوص في الماء قدر شبرٍ واحد، [و] لو لم يكن فيها إلاّ حبَّةً واحدة من الحنطة، فذلك القدر من الجسم الخفيف فيها يوجب غوصها في الماء بمقدار مالَه من الثقل ـ وإن بلغ في القلَّة إلى حيث لا يدركه الحسُّ ـ فإذا تضاعفت وتكثَّرت الحسنات فبقدر تكثُّرها وتضاعفها يزداد مقدار التأثير والتنوير.

وكذلك لكلِّ عمل من الأعمال السيِّئة ـ بل لكلِّ جزء من أجزاء العمل الواحد ـ كما عرفت ـ قدرٌ معيَّن من التأثير في إظلام جوهر النفس وتكثيفها وتكديرها، وتعليقها بالدنيا وشهواتها، وتقييدها بسلاسلها وأغلالها، فإذا تضاعف المعاصي والسيِّئات ازدادت الظلمةُ والتكثيفُ شدَّةً وقدراً.

وكلُّ ذلك محجوبٌ عن مشاهدة الخلَق في الدنيا، وعند قيام الساعة وارتفاع الحجب تنكشف لهم حقيقةُ الأمر في ذلك، ويصادف كلُّ أحد مقدارَ سعيه وعمله، ويرى رجحانَ إحدى كفَّتي ميزانه ومرتبة قوّة طاعته أو ظلمة كفرانه.

قال بعض العارفين[1]: «من لم يخلص بقوَّة اليقين ونور الإيمان والتوحيد عن قيد الطبيعة وأسر الدنيا فذاتُه مرهونة بعمله، فهو بحسب مزاولة الأعمال والأفعال وثمراتها ونتائجها وتجاذبها للنفس إلى شيء من الجانبين. بمنزلة ميزان ذي كفَّتين، إحدى كفَّتيه تميل إلى الجانب الأسفل ـ أعني الجحيم ـ بقدر ما فيها من متاع الدنيا الفانية والأخرى تميل إلى الجانب الأعلى ودار النعيم بقدر ما فيها من متاع الآخرة.

ففي يوم العرض الأكبر إذا وقع التعارض بين الكفَّتين والتجاذب إلى

---

(١) ورد هذا النص بلفظه في الأسفار الأربعة (٩/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥) غير منسوب إلى قائل، وبما أن المؤلف ـ قده ـ لا يعبر عن أستاذه بـ«بعض العارفين» فلعله من كلام ابن عربي، ولم أعثر عليه.

الجنبتين فالحكم لله العلي الكبير في إدخاله إحدى الدارين - دار النعيم ودار الجحيم - بترجيح إحدى كفّتيه».

ما يثقل الميزان أو يخفّه

روي عن النبي ﷺ أنّه قال[1]:

«ليأتي العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة».

وشرح ذلك - على ما يخطر بالبال - : أنّ المراد بالعِظم والسمن إمّا كثرة الأعمال الصالحة من غير علم وإخلاص وإمّا عظم القَدر والمنزلة عند الناس، وإمّا عظم الجثّة.

وعلى التقادير، فالسبب في عدم قدره عند الله أن الله - سبحانه - إنّما ينظر إلى القلوب والنيّات - دون الأجساد والصوَر - فلا قدر لأحد عنده إلاّ من أتاه ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٩]، وإنّما تنفع طاعات الجوارح إذا أثرت في القلب ونوّرته، وكانت مع إخلاص النيّة - وإلاّ فلا فائدة فيها -.

وذلك لأنَّ المقصود من خلق الناس اكتسابهم المعرفة بالله والإيمان وتعلُّمهم العلم والحكمة، وتهذيبهم النفوس - لا تسمينهم الأبدان، وتحسينهم الوجوه وتحصيلهم الجاه والمنزلة في قلوب أمثالهم وأشباههم -.

واكتساب المعرفة وآداب الجوارح في الطاعات مع الإخلاص، يذيب البدن ويضعفه، ألا ترى إلى أهل الآخرة والمتّقين كيف نحلت أبدانُهم، واصفرّت وجوهُهم، وغارت أعينهم - كما وصفهم أمير المؤمنين عليه السلام في

---

(١) البخاري: كتاب التفسير، سورة الكهف. الحديث الأخير، ٦/١١٧. مسلم: كتاب صفة القيامة، ٤/٢١٤٧، ح١٨. مصابيح السنة: ٤/٥٢٩، ح٤٢٩٥.
الكامل لابن عدي: ترجمة مغيرة بن عبد الرحمن بن عبد الله: ٦/٣٥٦.

حديث همام[1] - وإلى أهل الدنيا البعدين عن العلم والحكمة، كيف نضرت وجوهُهم وسمنت أبدانهم وفرحت أنفسهم؟ كما قال الله - عزّ وجلّ -: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ [المنافقون: ٤].

ولهذا صار مدار النجاة على الإيمان، الذي هو من فعل القلب - وإن عظمت الذنوب وكثرت السيّئات - ومدار الهلاك على الكفر والشرك - الذين من فعله أيضاً وإن كثرت طاعات الجوارح - كما قال الله - تعالى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] وقال - جلّ جلاله -: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

وعن النبيّ[2] ﷺ: «والذي بعثني بالحقّ بشيراً لا يعذّب الله بالنار موحّداً أبدا، وإنّ أهل التوحيد ليَشفَعون فيُشفَّعون».

وليُعلم أنّ فعل القلب إنّما ينفع ويُثقل الميزان إذا رسخ فيه ونوّره بحيث يسري إلى الجوارح والأعضاء، دون مجرّد الخطور بالبال ووسوسة النفس مع عدم العقد عليه.

قال بعض المحقّقين[3]: «كلّ فعل يقتضي اطمئنان النفس فهو ممّا يُثقل الميزان، وكلّ ما يقتضي تحيُّرها واتّباعها للأهواء المختلفة فهو ممّا يخفّفه».

وروي عن مولانا الباقر عليه السلام أنّه قال[4]: «من كان ظاهره أرجح من

---

(١) راجع نهج البلاغة: الخطبة ١٩٣.

(٢) التوحيد: باب ثواب الموحّدين، ٢٩، ح٣١. أمالي الصدوق: المجلس التاسع والأربعون، ح١٠، ٣٧٢. عنهما البحار: ٣/١، ح١. ٨/٣٥٨ - ٣٥٩، ح٢٣.

(٣) راجع مفاتيح الغيب: المفتاح التاسع عشر، المشهد الثالث عشر: ٦٥١ - ٦٥٢.

(٤) أمالي الصدوق: المجلس ٧٤، ح١١، ٥٨٠. تحف العقول: ما روي عن الباقر عليه السلام من قصار الحكم: ٢٩٤. البحار: ٧١/٣٦٥، ح٩. ٧٨/١٧٣، ح١٦.
وروي مثله عن أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً، رواه السيوطي في الدر المنثور، تفسير (الأعراف/٨) (٣/٤١٩) عن ابن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص.

باطنه خفّف[1] ميزانه».

ـ وهذا قريب من الحديث الأوّل، يعني من كان طاعاته الظاهرة أكثر من علمه وتقوى قلبه فقدر أعماله خفيفٌ عند الله ـ سبحانه ـ لعدم خلوّه من نفاق ورياء.

وعن مولانا الصادق عليه السلام أنّه قال[2]: «إذا كان يوم القيامة جمع الله الناسَ في صعيد واحد ووُضعت الموازين، فتوزن دماءُ الشهداء مع مداد العلماء فيرجّح مداد العلماء على دماء الشهداء».

وبيان ذلك أنَّ حصول التشبُّه بالأنبياء والأوصياء في تعلُّم العلم والحكمة وتعليمهما أكثر منه في الشهادة، لأنَّ المقصود بالذات من بعثة الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ إنَّما هو تعليم العلم والحكمة وتزكية النفوس، وأمَّا دفع الجاحدين والمعاندين فمقصودٌ بالعرض.

ووزن المداد مع الدماء مَجازٌ، لأنَّهما ليسا في كفَّتين متقابلتين، بل المداد إنَّما يكون في ميزان العالِم، والدم في ميزان الشهيد ـ ولو كان صاحبهما واحداً فإنَّما يكونان في ميزاني عمليه، لا ميزانه الواحد ـ ولكن لمَّا كان معيارهما واحداً، وإنَّما يظهر بذلك المعيار الواحد حكم كلّ منهما ورجحان أحدهما على الآخر، صحَّ أن يقال: «يوزن أحدهما مع الآخر».

ويقرب من هذا ما روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنَّه قال[3]: «يؤتى بالرجل ومعه

---

(١) في المصادر: خفّ ميزانه.

(٢) الفقيه: باب النوادر، ٤/٣٩٩، ح٥٨٥٣. أمالي الصدوق: المجلس ٣٢، ح١، ٢٣٣. عنه البحار: ٢/١٤، ح٢٦. ٧/٢٢٦، ح١٤٤.
وجاء ما يقرب منه في أمالي الطوسي: المجلس ١٨، ح٥٦، ٥٢١.

(٣) جاء ما يقرب منه في المستدرك للحاكم، كتاب الدعاء، ١/٥٢٩. الترمذي: كتاب الإيمان، باب (١٧) ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله: ٥/٢٤، ح٢٦٣٩. ابن ماجة: كتاب الزهد، باب (٣٥) ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة: ٢/١٤٣٧، ح٤٣٠٠. المسند: ٢/٢١٣. الدر المنثور: تفسير الآية [٨/٧]: ٣/٤٢٠ ـ ٤٢١. كنز =

سبعةٌ وسبعون ـ وفي رواية: تسعة وتسعون[1] ـ سجلاً، كلٌّ سجلٍ مثل مدِّ البصر، فيه خطاياه وذنوبه، فيوضع في كفَّة الميزان، ويخرج له قرطاسٌ مثل أنملة، فيه شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنَّ محمّداً رسول الله، فيوضع في الكفَّة الأخرى، فيرجِّح بذلك على ذنوبه كلِّها».

فإنَّ الظاهر: أنّ المراد بالكفَّة الأخرى ليس الكفَّة المقابلة لكفَّة الأعمال ـ كيف والعمل لا يوزن بالاعتقاد ـ بل المراد كفَّته الأخرى من ميزانه الآخر.

وإنَّما ترجّح الكفَّة بذلك على ذنوبه كلّها لأنَّه لمَّا رجّح ميزان اعتقاده الذي هو الأصل ـ لا سيَّما التوحيد ـ غفر الله له ذنوبَه.

نعم إذا اعتبرنا وحدة الميزان ووزن مجموع الحسنات مع مجموع السيِّئات، أمكن أن يتقابل هذه الكلمة مع الذنوب، فيصحّ جعلها في الكفَّة المقابلة للسيِّئات بهذا الاعتبار.

كلمة التوحيد في الميزان

قيل[2]: إنّ كلّ ذكر وعمل يدخل في الميزان إلاّ «لا إله إلاّ الله»، لأنّ كلّ عمل له مقابلٌ في عالم التضاد وليس للتوحيد مقابل إلاّ الشرك، ولا يجتمعان في ميزان واحد، إذ اليقين الدائم كما لا يجامع ضدَّه لا يتعاقبان على موضع واحد، فليست للكلمة ما يقابلها ويعادلها في الكفَّة الأخرى، ولا يرجِّح عليها شيء ـ كما يدلُّ عليه حديث صاحب السجلاّت[3] ـ.

= العمال: ١/ ٤٤، ح١٠٩.

(١) عدد السجلات في جميع المصادر المذكورة في التعليقة السابقة «تسعة وتسعون». وأما «سبعة وسبعون» فلم أعثر عليه فيما عندي من الجوامع الروائية.

(٢) الفتوحات المكيّة: الباب الرابع والستون: ١/ ٣١٥.

(٣) مضى في الفصل السابق.

أقول: هذا الكلام مبنيٌّ على أن يوضع كلّ واحدة من الحسنات في مقابلة نظيرتها من السيّئات في الوزن. وأمّا إذا وضع المجموع في مقابلة المجموع، أو وضعت حسنات الأمم في مقابلة حسنات الأنبياء والأوصياء ـ كما حقّقناه ـ فيمكن أن توضع هذه الكلمة في الميزان في مقابلة الذنوب التي ليست من نظيرها ـ كما دلّ عليه حديث صاحب السجلّات ـ.
أو يوضع توحيد آحاد الأمم في مقابلة توحيد نبيّه أو إمامه، فيعرف قدره ويحكم له أو عليه.

كيف لا؟ ولو لم توضع هذه الكلمة في الميزان، لما صحّ ما ورد في الحديث النبويّ[1]: «أنّها كلمةٌ خفيفة على اللسان ثقيلةٌ في الميزان».

وتمام الكلام في هذه المباحث يُطلب من كتابنا الموسوم بـ«ميزان القيامة»[2]. وأكثر هذه التحقيقات من خواصّ كتبنا لا تجدها في غيرها ـ ولله الحمد ـ.

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا

الحساب عبارةٌ عن جمع تفاريق المقادير والأعداد، وتعريف مبلّغها، وفي قدرة الله أن ينكشف في لحظة واحدة للخلائق حاصل حسناتهم وسيّئاتهم ـ وهو أسرع الحاسبين ـ.

---

(١) لم أعثر عليه. وقد حكاه الخواجة نصير الدين الطوسي ـ قده ـ في الفصل العاشر من رسالته «آغاز وأنجام» ـ بالفارسية ـ ولم يصرح بكونه من الحديث الشريف: «هرچند فرموده اند: كلمة خفيفة على اللسان ثقيلة في الميزان».

(٢) هذا الكتاب لم يطبع إلى الآن، وقد ذكره ـ قده ـ في فهرست كتبه (رقم٢٧) قائلاً: «ميزان القيامة، يذكر فيه تحقيق القول في كيفية ميزان يوم القيامة، والتوفيق بين الأخبار المتخالفة فيه بحسب الظاهر والجمع بين الأقوال المختلفة التي قيلت فيه، وهو من أبكاري التي لم يطمثهن أحد قبلي ـ ولله الحمد ـ يشتمل على ستة أبواب، ويقرب من ستمأة بيت، وقد صنف في سنة أربعين بعد الألف».

ويأبى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ إلاّ أن يعرّفهم حقيقة ذلك ليبيِّن فضله عند العفو، وعدله عند العقاب، فيتطاير الكتب ـ كما يتطاير الثلج ـ وتشخص الأبصار إليها: أيقع في اليمين أو في الشمال؟

ثمَّ الميزان: أيميل إلى جانب الحسنات أو السيّئات؟ ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ * فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ * فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾[القارعة: ٦ ـ ١١].

ولا ينجو من خطر الميزان والحساب إلاّ مَن حاسَب في الدنيا نفسَه، ووزن بميزان الشرع أعماله وأقوالَه وخطراته ولحظاته، كما ورد في الخبر[١]: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا». فإنَّ ذلك ممكنٌ ولا يتوقَّف على مجيء القيامة لوصول معيار ذلك كلّه إلينا من الأنبياء والأوصياء ـ عليهم السلام ـ كما عرفت.

أصناف الناس عند الحساب

قال بعض المحقّقين[٢]:

إنّ الناس يوم الحساب ثلاث فرق:

فطائفةٌ يدخلون الجنَّة بغير حساب وهم السابقون وأهل الأعراف الذين قال الله فيهم: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ [الانعام: ٥٢]، ومَن لم يقدم على سيِّئة من أصحاب اليمين، ومَن خلى كتابه عن السيّئات، أي الذين ﴿يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍۢ﴾[الفرقان: ٧٠].

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٩٠. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً: البحار: ٧٠/٧٣، ح٢٦، عن محاسبة النفس. راجع أيضاً ما مضى في ١١١١ عن الصادق عليه السلام.

(٢) راجع مفاتيح الغيب: المفتاح ١٩، المشهد ١٣، ٦٥٤.
الأسفار الأربعة: ٩/٣٠٥.

وفرقةٌ يدخلون النار بغير حساب، وهم الذين خلى كتابهم عن الحسنات، أي الذين ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [هود: ١٦] ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

وفرقةٌ يحاسَبون، وهم الذين ﴿خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة: ١٠٢]. ومن هؤلاء من حاسَب نفسه في الدنيا بمقتضى «حاسبوا أنفسَكم قبلَ أن تحاسَبوا عليها»[1] وهو الذي ﴿يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا﴾[الانشقاق: ٨]، ومنهم من كان غافلاً عن الحساب والكتاب، وهو الذي يناقَش في الحساب، و«من نوقش في الحساب فقد عذِّب».

ـ انتهى كلامه ـ.

والحساب اليسير هو العرض:

سُئل النبيّ[2] ﷺ: «ما الحسابُ اليسير»؟

قال ﷺ: «ينظر الرجل في كتابه فيجاوز[3] عنه».

ويقال: مثَل محاسبة الله ـ تعالى ـ مع المؤمنين يوم القيامة كمعاملة يوسف مع إخوته، حيث قال لهم: ﴿قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾[يوسف: ٩٢] كذلك يقول الله لعباده: «لا خوف عليكم اليوم».

وقال يوسف: ﴿هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٩]؟ كذلك يقول الله لعباده: «هل علمتم ما فعلتم، هل تذكّرون ما فعلتم حين خلفتم»؟

---

(١) مضى آنفاً.

(٢) المسند: ٤٨/٦. الطبري: تفسير الآية [٨/٨٤]: ٧٤/٣٠.
مستدرك الحاكم: ٥٧/١ و٢٥٥.

(٣) في المصادر: فيتجاوز. أو: ويتجاوز.

كيفية الحساب في الروايات

روى الحسين بن سعيد الأهوازي في كتابه[1] عن رجل، عن أبي جعفر عليه السلام : ـ قال :ـ

قلت له : «يا بن رسول الله ـ إنّ لي حاجة». قال : «تلقاني بمكّة».

فقلت : «يا بن رسول الله ـ إنّ لي حاجة». فقال : «تلقاني بمنى».

فقلت : «يا بن رسول الله ـ إنّ لي حاجة». فقال : «هات حاجتك».

فقلت : «يا بن رسول الله ـ إنّي أذنبتُ ذنباً بيني وبين الله، لم يطلع عليه أحدٌ، فعظم عليَّ، وأُجلّك أن أستقبلك به».

فقال : «إنَّه إذا كان يوم القيامة وحاسب الله عبدَه المؤمن، أوقفه على ذنوبه ذنباً ذنباً، ثمَّ غفرها له، لا يُطلع على ذلك ملكاً مقرَّباً، ولا نبيَّاً مرسلاً».

قال عمر بن إبراهيم[2] : وأخبرني غير واحد أنَّه قال : «ويستر عليه من ذنوبه ما يكره أن يوقفه عليها» ـ ثمَّ قال : «ويقول لسيِّئاته : «كوني حسنات».

ـ قال : ـ «وذلك قول الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان : ٧٠].

---

(١) الزهد : باب الحشر والحساب والموقف : ٩١. عنه البحار : ٢٥٩/٧. والمصنف ـ قده ـ أورد رواية أخرى عن كتاب الزهد في أول الفصل ثم شطب عليه، وحيث أنها مضت في (ص ١١٣٥ ـ ١١٣٦) لم نر في تكرارها فائدة.

(٢) هو من الرواة المذكورين في سند هذه الرواية في المصدر : «محمد بن عيسى، عن عمر بن إبراهيم بيّاع السابري، عن حجر بن زائدة، عن رجل، عن أبي جعفر عليه السلام . . .» وعلق عليه محقق الكتاب : «وعن بعض النسخ : عمرو بن إبراهيم، وعلى أي في سند الحديث تشويش، إذ الحسين بن سعيد لم تثبت روايته عن محمد بن عيسى، وعمر ـ أو عمرو ـ بن إبراهيم، الملقّب بـ«بيّاع السابري» لم يعرف».

وروي فيه[1] عن القاسم بن محمَّد[2] عن عليّ[3]، قال: سمعت أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: «إنّ الله ـ تبارك وتعالى ـ إذا أراد أن يحاسب المؤمن أعطاه كتابَه بيمينه فيما بينه وبينه، فيقول: «عبدي ـ فعلتَ كذا وكذا، وعملتَ كذا وكذا».

فيقول: «نعم يا ربِّ ـ قد فعلتُ ذلك».

فيقول: «قد غفرتُها لك، وأبدلتُها حسنات».

فيقول الناس: «سبحان الله ـ أما كان لهذا العبد سيئةٌ واحدة».

وهو قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾[الانشقاق: ٧ ـ ٩]».

قلت: «أيّ أهلٍ»؟

قال: «أهلُه في الدنيا هم أهلُه في الجنَّة إن كانوا مؤمنين».

* * *

قال: «إذا أراد الله بعبد شرّاً حاسَبه على رؤوس الناس، ومكَّنه وأعطاه كتابَه بشماله، وهو قول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ[4] * فَسَوْفَ

---

(١) الزهد: الباب السابق، ٩٢، ح٢٤٦. عنه البحار: ٧/ ٣٢٤، ح١٧.

(٢) يظهر أنّه القاسم بن محمد الجوهري، بقرينة رواية الحسين بن سعيد عنه، وهو راوي كتابه. قال النجاشي (٣١٥، رقم ٨٦٢): «كوفي سكن بغداد روى عن موسى بن جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ له كتاب، أخبرنا أبو عبد الله بن شاذان...، عن الحسين بن سعيد عن القاسم بن محمد بكتابه». والرجل ثقة على الأظهر. راجع معجم الرجال: ١٤/ ٤٧ ـ ٥٦، رقم٩٥٤٢.

(٣) الأظهر أنّه علي بن أبي حمزة البطائني، بقرينة كثرة رواية محمد بن القاسم الجوهري عنه، والمعروف أنّه واقفي. وقد روى محمد بن القاسم المذكور عن علي بن أبي حمزة الثمالي أيضاً، غير أن المعهود التصريح بالكنية عند الرواية عنه.
راجع معجم الرجال: ١١/ ٢٣١ ـ ٢٣٢، رقم ٧٨٣٤ و٧٨٣٥.

(٤) في النسخة: «بشماله». والصحيح ما أثبتناه.

﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا * وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا * إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق: ١٠ ـ ١٣]». قلت: «أي أهل»؟

قال: «أهله في الدنيا». قلت: «قوله: فـ﴿ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ [الانشقاق: ١٤]. قال: «ظنَّ أنه لن يرجع».

وفي الكتاب المذكور[١]: قال أبو عبد الله عليه السلام: «الدواوين يوم القيامة ثلاثة: ديوانٌ فيه النعيم، وديوانٌ فيه الحسنات، وديوانٌ فيه الذنوب، فيقابل بين ديوان النعيم وديوان الحسنات، فيستغرق عامّة الحسنات، ويبقى الذنوب.

من يتولى الحساب

حُكي[٢] أنّ أعرابياً جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: «من يتولّى حسابَ الخلق»؟

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «الله ـ تعالى».

فقال الأعرابيّ: «هو بنفسه»؟ فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «نعم».

فضحك الأعرابيُّ. فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله: «بِمَ ضحكتَ ـ يا أعرابيّ»؟

فقال: «إنَّ الكريم إذا قدر عفى، وإذا حاسَب سامَح في الحساب ولا يناقش فيه».

(١) الزهد: الباب السابق، ٩٤، ح٢٥١. عنه البحار: ٧/٢٧٣، ح٤٤. راجع أيضاً الكافي: ٢/٦٠٢، ح١٢.

(٢) أورده الغزالي في الإحياء (كتاب الخوف والرجاء، بيان دواء الرجاء...: ٤/٢١٩) عن أنس مع فروق في اللفظ، وقال العراقي في تخريجه (المغني: ذيل الإحياء من الطبعة القديمة، ٤/١٤٩): «لم أجد له أصلاً».
وقد حكاه أبو طالب المكي في قوت القلوب عن أنس أيضاً: شرح مقام الرجاء ووصف الراجين: ١/٢١٤. وهو مصدر نقل الغزالي ـ على ما يظهر ـ وأورده ابن أبي الدنيا في حسن الظن (موسوعة أطراف الحديث النبوي: ٢/١٤٧).

وقيل لأمير المؤمنين[1] عليه السلام: «كيف يحاسب الله الخلقَ»؟

قال: «كما رزقهم».

قيل: «فكيف يحاسبهم ولا يرونه»؟

قال: «كما رزقهم ولا يرونه».

وقال الشيخ الصدوق محمَّد بن عليّ بن بابويه - رحمه الله - في اعتقاداته[2]:

«اعتقادنا في الحساب والموازين: أنَّه حقٌّ، منه ما يتولاَّه الله - عزَّ وجلَّ - ومنه ما يتولاَّه حججه.

فحسابُ الأنبياء والأئمَّة عليهم السلام يتولاّه الله - عزَّ وجلَّ -.

ويتولّى كلُّ نبيٍّ حسابَ أوصيائه، ويتولّى الأوصياءُ حسابَ الأُمم، والله - تبارك وتعالى - هو الشهيد على الأنبياء والرسل، وهم الشهداء على الأوصياء، والأئمَّة الشهداء على الناس. وذلك قوله - عزَّ وجلَّ -: ﴿ لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ ﴾ [الحج: ٧٨]. وقوله - عزَّ وجلَّ -: ﴿ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴾ [النساء: ٤١].

وقال الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ ﴾ [هود: ١٧] - والشاهد أمير المؤمنين عليه السلام.

وقوله - عزَّ وجلَّ -: ﴿ إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ﴾ [الغاشية: ٢٥ - ٢٦]...

قال: «ومن الخلق من يدخل الجنَّة بغير حساب. وأمَّا السؤال، فهو واقع على جميع الخلق، يقول الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿ فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ

---

(١) نهج البلاغة: الحكم: ٣٠٠.

(٢) الاعتقادات: في الحساب والموازين.

﴿وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦] ـ يعني عن الدين، وأمّا الذنب فلا يسأل عنه إلاّ من يحاسَب قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩] ـ يعني من شيعة النبي والأئمَّة عليهم السلام دون غيرهم، كما ورد في التفسير ـ.

وكلّ محاسَب معذَّب ولو بطول الوقوف، ولا ينجو من النار ولا يدخل الجنَّة أحدٌ إلاّ بعمله، وإلاّ برحمة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ والله ـ تعالى ـ يخاطِب عبادَه من الأوَّلين والآخرين بمجمل حساب عملهم مخاطبةً واحدة، يسمع منها كلّ واحد قضيَّته دون غيرها، ويظنُّ أنَّه المخاطب دون غيره، لا يشغله ـ عزَّ وجلَّ ـ مخاطبةٌ عن مخاطبة، ويفرغ من حساب الأوَّلين والآخرين في مقدار ساعة من ساعات الدنيا.

ويُخرج الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لكلِّ إنسان كتاباً يلقاه منشوراً، ينطق عليه بجميع أعماله، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها، فيجعله الله محاسِب نفسِه والحاكم عليها بأن يقال له: ﴿ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤].

ويختم الله ـ تبارك وتعالى ـ على أفواههم، وتشهد أيديهم وأرجلهم وجميعُ جوارحهم بما كانوا يكسبون: ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢١ ـ ٢٢]».

وفي الأخبار العاميَّة: لمَّا أراد الله محاسبةَ الخلائق ينادي المنادي مِن قِبل الرحمان: «أينَ النبيُّ الهاشميُّ العربيُّ»؟

فيعرض رسول الله صلى الله عليه وآله، فيحمد الله ويثني عليه، فيعجب المجموع منه، ويسأل ربَّه أن لا يفضح أمَّته. فيقول الله ـ تعالى ـ: «أعرض أُمَّتك يا محمَّد».

فيعرضهم ويقوم كلُّ واحد منهم فوق قبره حتَّى يحاسبه الله ـ تعالى ـ فمن

حاسَب حساباً يسيراً لا يغضب عليه ويجعل سيّئاته داخلَ صحيفته وحسناته ظاهرَ صحيفته، ويوضع على رأسه تاجٌ من ذهب مكلّل بالدرّ والجواهر، ويلبسونه سبعين حلَّة، ويلبس ويحلّى بثلاثة أسورة: سوار من ذهب، وسوار من فضّة، وسوار من لؤلؤ.

فيرجع إلى إخوانه المؤمنين، فلا يعرفونه من جماله وكماله، ويكون بيمينه كتاب أعمال حسناته مع الخلد في الجنَّة.

فيقول لهم: «أتعرفوني؟ أنا فلان بن فلان، قد أكرمني الله ـ تعالى ـ وبرّأني من النار، وخلَّدني في دار الجنان»، فذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾[الانشقاق: ٧ ـ ٩].

ومنهم من أوتيَ كتابه بشماله، وكلّ حسنة عملها في باطن كتابه، وكلّ سيّئة عملها في ظاهره ـ لأنَّ الحسنات مع الكفر لا حساب لها، وذلك من صفات الكافرين ـ وحدقتاه مثل جبل حرّاء وأبي قبيس ـ وهما جبلان بمكَّة ـ وعلى رأسه تاج من النار، ويُلبس حلَّة من نحاس ذائب، ويقلّد على عنقه جبلٌ كبيرٌ يشتعل فيه النار، وتغلُّ يده إلى عنقه ويسودّ وجهه وتزرق عيناه، فيرجع إلى إخوانه، فإذا رأوه فزعوا منه وينفرّون منه فلا يعرفونه، حتّى يقول: «أنا فلان»، ثم يجرّونه على وجهه إلى النار».

فهؤلاء الكفَّار الذين يؤتى كتابهم بشمالهم، فلا يأخذونها بشمالهم، ولكن يأخذونها من وراء ظهورهم، على ما روي عن النبيّ ﷺ:

«إنّ الكفار إذا دعي للحساب باسمه فيقوم ملك من ملائكة العذاب، فيشقُّ صدرَه حتّى يُخرج يده اليسرى من وراء ظهره بين كتفيه، ثمَّ يعطيه كتابه».

* * *

الباب التاسع

السياق والصراط

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ ﴾

ـ إلى قوله عزَّ وجلَّ ـ:

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ ﴾

ـ الآية ـ [الزمر: ٧١ ـ ٧٣]

السائق والشهيد

سياق الملائكة عبارة عن تكميلهم النفوس الإنسانيّة شيئاً فشيئاً، من ابتداء حدوثها إلى أن تبلغ الكمال اللائق بحالها.

ومن يقرِّبها منهم إلى عالَم الرحمة والرضوان، فهم ملائكة الرحمة.

ومن يُبعِّد عن ذلك فهم ملائكة العذاب، كالزبانية والحواس.

ـ كذا قيل[1] ـ.

وعن مولانا أمير المؤمنين[2] عليه السلام: «و﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١] سائقٌ يسوقها إلى محشرها وشهيدٌ يشهد عليها بعملها»[3].

قال شارح كلامه[4] عليه السلام: «إنَّه اقتباس للآية: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١].

فالسائق الذي يسوقها إلى المحشر هو حكم القضاء الإلهي وأسباب الموت القريبة الحاكمة على النفس برجوعها إلى معادها، فإن كانت من أهل

---

(١) راجع الشواهد الربوبية: الإشراق الرابع من المشهد الرابع، ٣٢٣ ـ ٣٢٤.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٨٥. عنه البحار: ٧/ ١١٣، ح٤٧.

(٣) كتب في هامش النسخة: «وفي كتاب الحسين بن سعيد [الزهد: ٩٥، باب١٧، ح٢٥٤]، عن شعيب بن ميثم [في المصدر: يعقوب بن شعيب بن ميثم]، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «نار تخرج من قعر عدن، تضيء لها أعناق الإبل، تبصر من أرض الشام، تسوق الناس إلى المحشر» ـ منه».

(٤) ابن ميثم البحراني ـ قده ـ شرح نهج البلاغة: ٢/ ٢٧٧.

الشقاوة، فيا لها من سوقة متعبة، وجذبة مزعجة: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الزمر: ٧١] ـ الآيات ـ.

وإن كانت من أهل السعادة ساقَها سائقٌ رؤوفٌ سوقاً لطيفاً ﴿وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣] ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

ما هو الصراط

الصراط هو الطريق إلى معرفة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ قال الله ـ سبحانه ـ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥٢ ـ ٥٣].

وقد عرفت أن معرفة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ إنَّما تحصل بالعلم والعمل شيئاً فشيئاً، بحسب الاستكمالات العقليَّة، بمتابعة السنن النبويَّة والاهتداء بهداه ﷺ، فالصراط بهذا المعنى عبارةٌ عن العلوم الحقَّة والأعمال الصالحة، وبالجملة ما يشتمل عليه الشرع الأنور.

ولمَّا تلى النبيّ ﷺ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣] خطَّ خطّاً، وعن جنبيه خطوطاً، فالمستقيم هو صراط التوحيد الذي سلكه جميعُ الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم، والمعوجة هي طرق أهل الضلال(١).

---

(١) مستدرك الحاكم: كتاب التفسير، ٢/٢٣٩، أيضاً فيه، سورة الأنعام، الحديث الأخير، ١/٣١٨.

وأورده السيوطي عنه وعن غيره في الدر المنثور: الأنعام/ ١٥٣، ٣/ ٣٨٥.

ومن وجه آخر: الصراط عبارة عن العالِم العامل الهادي إلى الله - عزَّ وجلَّ - على بصيرة، وبالجملة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ، فإنَّ نفوسهم المقدَّسة طرقٌ إلى الله - سبحانه -.

ومن هنا قال مولانا الصادق[1] عليه السلام «الصراط المستقيم أمير المؤمنين عليه السلام».

وقال مولانا أمير المؤمنين[2] عليه السلام : «أنا الصراط الممدود بين الجنَّة والنار، وأنا الميزان».

فالصراط والميزان متَّحدان في المعنى - بِكِلي معنييهما - وإنَّما يختلفان بالاعتبار.

وأمَّا ما ورد من «أنَّ الصراط جسرٌ على متن جهنَّم يمرُّ عليه الخلائق»[3] - كما سنذكره - فلا ينافي ذلك، لما عرفت من أنَّ صوَر الحقائق تختلف بحسب اختلاف النشآت والمواطن.

فالصراط[4] في هذه الدار الدنيا هو صورة الهدى التي أنشأته لنفسك من

---

(١) معاني الأخبار: باب معنى الصراط، ح٢، ٣٢. ويقرب منه ما في العياشي: سورة النساء، ح٣٠٨، ١/ ٢٨٥. والكافي: كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، ح٢٤، ١/ ٤١٧. وح٩١، ١/ ٤٣٣. راجع البحار: ٩/ ١٩٧، ح٤٧، ٢٣/ ٢١١، ح١٨. ٢٤/ ١٢ و٢٣ و٣٣٧، ح٦ وح٤٨ وح٥٩.

(٢) لم أعثر على نص الرواية، وجاء في البحار (٢٦/ ٥، ح١) عنه عليه السلام : «أنا الصراط المستقيم».

(٣) روى ابن شهرآشوب (المناقب: باب ما تفرد من مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ، فصل في منزلته عند الميزان: ٢/ ١٥٢) عن ابن عباس: «إذا كان يوم القيامة أمر الله مالكاً إن يسعّر النيران... ويقول: يا ميكائيل - مدّ الصراط على متن جهنّم...». وورد مثله في تأويل الآيات الظاهرة: سورة الصافات، ح٤، ٢/ ٤٩٤. عنه البحار: ٧/ ٣٣١، ح١٢. و٢٧/ ١١٠، ح٨٢.

(٤) مفاتيح الغيب: ٦٤٦.

الأعمال القلبيّة، وهو هنا معنى كسائر المعاني الغائبة عن الحواسّ، لا يشاهَد له صورة حسيّة، لكن إذا انكشف الغطاء بالموت، يمدّ لك يوم القيامة جسراً محسوساً على متن جهنَّم، أوّله في الموقف وآخره على باب الجنَّة، يعرف من يشاهده أنَّه صنعتك وبناؤك في الدنيا.

وبالجملة: فالصراط والمارُّ عليه شيء واحد، فإنَّ المسافر إلى الله ـ أعني النفس ـ تسافر في ذاتها وتقطع المنازل والمقامات الواقعة في ذاتها بذاتها.

والدليل على هذا التحقيق من جهة النقل ما رواه الصدوق ـ رحمه الله ـ في كتاب معاني الأخبار[1] عن مولانا الصادق عليه السلام أنَّه سُئل عن الصراط، فقال: «هو الطريق إلى معرفة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وهما صراطان: صراطٌ في الدنيا، وصراطٌ في الآخرة.

فأمّا الصراط الذي في الدنيا: فهو الإمام المفترض الطاعة، من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مرَّ على الصراط الذي هو جسر جهنَّم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلَّت قدمُه عن الصراط في الآخرة فتردى في نار جهنَّم».

وبإسناده عن النبي[2] صلى الله عليه وآله، أنّه قال لعليّ عليه السلام: «يا علي ـ إذا كان يوم القيامة أقعد أنا وأنت وجبرئيل على الصراط، فلا يجوز على الصراط إلاّ من كانت معه براءة بولايتك».

وفي تفسير أبي محمَّد العسكري[3] عليه السلام عند قوله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ اَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦] قال: «الصراط المستقيم صراطان: صراطٌ في الدنيا وصراطٌ في الآخرة.

فأمّا الطريق المستقيم في الدنيا: فهو ما قصر عن الغلوّ وارتفع عن

---

(١) معاني الأخبار: باب معنى الصراط، ٣٢، ح١. عنه البحار: ٢٤/١١، ح٣.

(٢) نفس المصدر: ٣٥ ـ ٣٦، ح٦.

(٣) التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري: ٤٤.
معاني الأخبار: باب معنى الصراط، ٣٣. عنهما البحار: ٢٤/٩ ـ ١٠، ح١.

التقصير، واستقام فلم يعدل إلى شيء من الباطل.

والطريق الآخر: طريق المؤمنين إلى الجنّة، وهو مستقيمٌ لا يعدلون عن الجنَّة إلى النار، ولا إلى غير النار سوى الجنَّة».

والناس في ذلك متفاوتون، فمن استقام على هذا الصراط وتعوَّد سلوكَه مرَّ على صراط الآخرة مستوياً ودخل الجنَّة آمِناً.

وفي الحديث النبوي[١] ﷺ: «الصراط أدقُّ من الشعر، وأحدّ من السيف، وأظلم من الليل».

قيل في تفسيره[٢]: إنّ كمال الإنسان في سلوكه إلى الحقِّ منوطٌ باستكمال قوّتيه: أمّا العلميّة: فبحسب إصابة الحقِّ في الأنظار الدقيقة التي هي أدقُّ من الشَعر في المعالم الإلهية.

وأمّا العمليّة: فبحسب توسُّط القوَّة الشهويَّة والغضبيَّة والفكريَّة في الأعمال، لتحصيل ملكة العدالة، والتوسط الحقيقي بين الأطراف المتضادَّة بمنزلة الخلوِّ عنها، والخلوّ عن المتضادَّات منشأ الخلاص عن الجحيم والالتحاق بالملائكة، وهي أحدُّ من السيف.

فللصراط المستقيم في الدنيا وجهان: أحدهما: أدقُّ من الشَعر، والآخر: أحدُّ من السيف، وهما مظلمان لا يهتدي إليهما إلاّ من جعل الله له نوراً يمشي به في الناس.

---

(١) لم أعثر على نص الحديث، وجاء في تفسير القمي (قوله تعالى ﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر: ٢٣] ٢/ ٤٥٢): «ثم يوضع عليها الصراط، أدقّ من حد السيف...». عنه البحار: ٨/ ٢٩٣، ح٣٦، بهذا اللفظ. وحكاه أيضاً في البحار (٨/ ٦٥، ح٢) بلفظ: «ثم يوضع عليها الصراط أدقّ من الشعرة، وأحدّ من السيف...». فلعل سبب اختلاف النقلين اختلاف النسخ الموجودة عند التأليف.

(٢) راجع مفاتيح الغيب: المفتاح التاسع عشر، المشهد الحادي عشر: ٦٤٤ ـ ٦٤٥. الشواهد الربوبية: المشهد الرابع، الإشراق الثامن: ٢٩٠ ـ ٢٩٢.

ولهذا ورد في الخبر[1]: أنّ الصراط يظهر يوم القيامة للأبصار على قدر المارّين عليه، فيكون دقيقاً في حقٍّ بعضٍ، وجليلاً في حقٍّ آخرين، وأنّهم يعطون نورَهم على قدر أعمالهم: فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه، ومنهم من يعطى نوره أصغر من ذلك، ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يعطى نوره أصغر من ذلك، حتَّى يكون آخرهم رجلاً يعطى نوره على إبهام قدمِه، فيضيء مرَّة ويطفىء مرَّة، فإذا أضاء قدَّام قدمه مشى، وإذا طفى قام.

ويصدّق هذا الخبر قوله تعالى: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ﴾ [التحريم: ٨] والسعيُ مشيٌ، وما ثمّة طريقٌ إلاّ الصراط، وإنّما قال ﴿وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ﴾ لأنَّ المؤمن في الآخرة لا شمال له، كما أنَّ الكافر لا يمين له.

وبالجملة ـ النور، نور القوَّة النظريَّة، وبحسبه يمشي الإنسان طريقَ الحقِّ بقوّته العمليَّة، والانحراف عن الوجه الأول يوجب الهلاك: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَـٰكِبُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٤].

والوقوف على الوجه الثاني يوجب الشقَّ والقطع[2] وإليه أشير بقوله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود: ١١٣] وقوله: ﴿ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ﴾ [التوبة: ٣٨].

---

(١) يظهر أن المنقول مأخوذ من الأحاديث وليس نص خبر بعينه. وقد ورد ما يقرب منه في المستدرك للحاكم: كتاب الأهوال، ٤/ ٥٩٠. وحكاه المنذري في الترغيب والترهيب: كتاب البعث، فصل في الحشر، ٦/ ١٨٤، ح٥١٦٢، عن الحاكم والطبراني وابن أبي الدنيا.

(٢) كتب في هامش النسخة: «قيل: إنما يوجب الشقّ والقطع، لأنّ هذه العدالة ليست كمالاً حقيقياً، فإنّ الكمال الحقيقي ينحصر في نور العلم وقوّة الإيمان والمعرفة، بل هي أمر عدميٌّ وصفةٌ نفسانيّةٌ عدميّةٌ اعتداليّة من جنس أطرافها، والركون إليها والاعتماد عليها يوجب الإخلاد إلى الدنيا، لأنها من الدنيا أيضاً ـ وحبُّ الدنيا رأس كلّ خطيئة».

فالصراط المستقيم هو الوسط الحقُّ بين الأطراف، ولا عرض له، ولذلك ليس في قدرة البشر الاستقامة عليه إلاّ من شاء الله.

قال الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾ [النساء: ١٢٩].

وقال النبيّ ﷺ: «شيّبتني سورة هود»، لمكان: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢][1].

فلا جرم يرد أمثالُنا النارَ وروداً مّا ـ كما قال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١].

---

(١) ورد في هذا المضمون عدة أحاديث:
ففي الخصال (١/١٩٩، باب الأربعة، ح١٠) «شيّبتني هود والواقعة والمرسلات وعمَّ يتسائلون». ومثله في أمالي الصدوق: المجلس الحادي والأربعون، ح٤، ٣٠٤. عنهما البحار: ١٦/١٩٢، ح٢٨. ٩٢/١٩٨، ح١٠.
وأضيف في بعض الأحاديث: «وإذا الشمس كوّرت»: الترمذي: كتاب التفسير، باب (٥٧) سورة الواقعة، ٥/٤٠٢، ح٣٢٩٧. المستدرك للحاكم: كتاب التفسير، سورة هود، ٢/٣٤٣ وسورة الواقعة، ٢/٤٧٦. طبقات ابن سعد: ١/٤٣٥ ـ ٤٣٦. دلائل النبوة: باب ذكر اجتهاد رسول الله ﷺ في طاعة ربه: ١/٣٥٨. مصابيح السنة: كتاب الرقاق، باب البكاء والخوف: ٣/٤٥٧، ح٤١٢٤.
وروى الطبراني (المعجم الكبير: ١٧/٢٨٧، ح٧٩٠): «شيّبتني هود وأخواتها». ومثله في طبقات ابن سعد: ١/٤٣٥. وأضيف في ١/٤٣٦ منه: «قال أبو بكر: بأبي وأمي ـ وما أخواتها؟ قال: الواقعة والقارعة وسأل سائل وإذا الشمس كوّرت». وفيه (١/٤٣٥): قال عطاء: أخواتها اقتربت الساعة والمرسلات وإذا الشمس كوّرت».
وفي الدر المنثور (سورة هود: ٤/٣٩٦): «شيّبتني سورة هود وأخواتها، والواقعة والحاقة وعم يتسائلون وهل أتاك حديث الغاشية». وفيه (٤/٣٩٧): «أخواتها: الواقعة والقارعة والحاقة وإذ الشمس كورت وسأل سائل».
وفي شعب الإيمان (باب ١٩، ٢/٤٧٢، ح٢٤٣٩) عن أبي علي السري، قال: رأيت النبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله ـ روي عنك أنك قلت: شيبتني سورة هود؟ قال: نعم. فقلت: ما الذي شيّبك منه، قصص الأنبياء وهلاك الأمم؟ قال: لا، ولكن قوله: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢]».

وأيضاً: الصراط في النار وهو غائب فيها، وما ثمّة طريق إلى الجنّة إلاّ عليه، فلا بدّ من ورود النار. ولهذا لمّا سُئل بعضُ أئمّتنا عليهم السلام عن عموم الآية المذكورة، فقال[1]: «جزناها وهي خامدة».

***

روى الصدوق ـ رحمه الله ـ بإسناده عن مولانا الباقر عليه السلام ـ ورواه في الكافي أيضاً بأدنى تفاوت ـ[2] قال: لمّا نزلت هذه الآية ـ: ﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾[الفجر: ٢٣] ـ سُئل عن ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وآله؟ فقال:

«أخبرني الروحُ الأمين أنَّ الله لا إله غيره، إذا جمع الأولين والآخرين أتى بجهنَّم، تُقاد بألف زمام، أخذ بكلِّ زمام ألف ملك من الغلاظ الشداد، لها هدّةٌ وتغيّظ وزفير، وأنّها لتزفر الزفرة ـ فلولا أنَّ الله أخَّرهم إلى الحساب لأهلكت الجميع ـ. ثمَّ يخرج منها عنقٌ محيط بالخلائق ـ البرِّ منهم والفاجر ـ فما خلق اللهُ عبداً من عباده ـ ملكاً ولا نبيّاً ـ إلاّ ينادي: «يا ربِّ نفسي نفسي» وأنت تقول: «يا ربِّ أُمَّتي أُمَّتي».

ثمَّ يوضع عليها صراطٌ، أدقّ من حدّ السيف، عليه ثلاث قناطر:

أمّا واحدة: فعليها الأمانة والرحم[3].

وأمّا الأخرى: فعليها الصلاة.

---

(١) لم أعثر على الحديث. وقد أورده أستاذه صدر المتألهين ـ قدس سرهما ـ أيضاً في بعض كتبه، مثل تفسير سورة يس: ٦٨.

(٢) مع فروق يسيرة في أمالي الصدوق: ٢٤١، المجلس الثالث والثلاثون، ح٤.
الكافي: الروضة، ح٤٨٦، ٨/ ٣١٢. تفسير القمي: سورة الفجر، ٢/ ٤٥١. البحار: ٧/ ١٢٥، ح٧. ٨/ ٦٥، ح٢.

(٣) الكافي: الرحمة.

والثالثة: فعليها عدل ربِّ العالمين[1] لا إله غيره، فيكلَّفون الممرَّ عليه، فيحبسهم الرحم والأمانة، فإن نجوا منها حبستهم الصلاة، وإن نجوا منها كان المنتهى إلى ربِّ العالمين - عزَّ وجلَّ - وهو قوله - تبارك وتعالى -: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤].

والناس على الصراط، فمتعلّقٌ وقدم تزلُّ وقدم تستمسكُ، والملائكة حولهم ينادون: «يا حليم اغفر، واصفح، وعد بفضلك، وسلِّم سلِّم»، والناس يتهافتون فيها كالفراش، فإذا نجا ناجٍ برحمة الله - عزَّ وجلَّ - نظر إليها فقال: «الحمد لله الذي نجّاني منك بعد إياسٍ بمنِّه وفضله، إنَّ ربَّنا لغفورٌ شكور».

وبإسناده[2] عن مولانا الصادق عليه السلام قال: «الناس يمرُّون على الصراط طبقات، والصراط أدقُّ من الشَعر وأحدُّ من السيف، فمنهم من يمرُّ مثل البرق، ومنهم من يمرُّ مثلِ عدو الفرَس، ومنهم من يمرُّ حبوَاً، ومنهم من يمرُّ مشياً، ومنهم من يمرُّ متعلِّقاً، قد تأخذ النار منه شيئاً وتترك شيئاً».

وروي مثل ذلك عن النبيّ[3] صلى الله عليه وآله وروي أنَّ مرورهم على الصراط على قدر نورهم[4].

وفي الأخبار العاميَّة: «ومنهم من يجوزها لا يخشى شيئاً من أهوالها ولا ينال شيئاً من النيران، حتَّى إذا جاوزها، ثم يقول: «أين الصراط»؟ يقال لها: «قد جُزتَه من غير مشقَّة».

وفيها: يأتي قومٌ فتقف على الصراط فيقولون: «نخاف من النار»

---

(١) الكافي: فعليها رب العالمين.

(٢) أمالي الصدوق: ٢٤٢، المجلس الثالث والثلاثون، ح٥. الزهد: باب الحشر والحساب. . . ، ٩٢، ح٢٤٨، مع فرق يسير. عنهما البحار: ٨/ ٦٤، ح١.

(٣) المستدرك للحاكم: كتاب التفسير، سورة مريم، ٢/ ٣٧٦. وكتاب الأهوال: ٤/ ٥٩٠.

(٤) راجع ما مضى في الفصل السابق: إن الصراط يظهر يوم القيامة على قدر المارين عليه. . . وكذا الحديث المذكور في التعليقة السابقة.

ويتعاسرون بالمرور عليه، فيأتي جبرئيل عليه السلام فيقول: «ما منعكم أن تعبروا الصراط»؟ فيقولون: «نخاف من النار». فيقول جبرئيل: «إذا استقبلكم في الدنيا بحرٌ عميق، كيف كنتم تعبرون»؟ فيقولون: «بالسُفن». فيأتون بالمساجد التي يصلُّون فيها كهيئة السُفن، فيجلسون عليها ويعبرون الصراط، يقال لهم: «هذا مساجدكم التي صلّيتم فيها بالجماعة».

قيل[1] وروي أنّ الله خلق الصراط من رحمته أخرجها للمؤمنين فالصراط للموحّدين خاصّة، والكفّار لا جواز لهم عليه، لأنّ النار قد التقطت من الموقف جبابرتهم، وساير الكفّار قد اتّبعوا ما كانوا يعبدون من دون الله إلى النار. فيقسم النور بين الموحّدين على قدر ما جاءوا به من الدنيا.

والصراط يدقُّ ويتّسع على حسب منازل الموحِّدين، الدقَّة للمذنبين، والسعة للمتّقين، والأصل الواسع للأنبياء والأولياء، يصير لهم كالبساط سعة وبسطاً، ولهم السرعة والإبطاء، فأوّلهم كلمح البصر، وآخرهم كعمر الدنيا ـ سبعة آلاف سنة ـ تزلُّ قدم تحترق، ثمَّ يخرجها فتبرء من الرحمة، ثمَّ تزلُّ قدم والأخرى قد برأت ـ الحديث[2].

وفي بعض الأخبار[3]: «إنَّه يمرُّ الناس على جسر جهنَّم وعليه حسّك وكلاليب وخطاطيف، يخطف الناس يميناً وشمالاً، وعلى جنبتيه ملائكة يقولون: اللهم سلِّم سلِّم».

ـ الكُلاّب والكلوب والخطّاف والحسّك، كلّها متقارب المعنى، وهي المهماز أو حديد شبه المهماز فيها اعوجاج ـ.

قيل: وهذه الكلاليب والخطاطيف والحسّك هي صور أعمال بني آدم، وهي القيود والتعلّقات بالأمور الدنياويّة، تُمسكهم على الصراط، فلا ينتهضون

(١) الأسفار الأربعة: ٩/ ٢٨٦.

(٢) حكاه صدر المتألهين (الأسفار: ٩/ ٢٨٦ ـ ٢٨٨) بالتفصيل عن قوت القلوب.

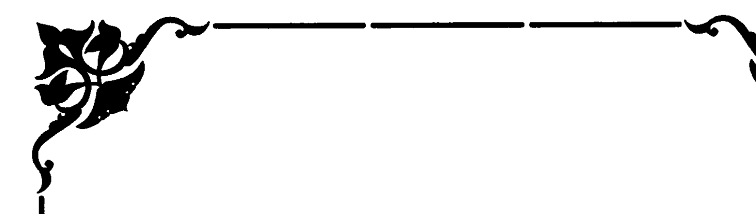
(٣) المستدرك للحاكم: كتاب الأهوال: ٤/ ٥٨٤. كنز العمال: ١٤/ ٣٨٧، ح٣٩٠٣٩.

إلى الجنَّة ولا يقعون في النار حتَّى تدركهم الشفاعة لمن أذن له الرحمن.

فمن تجاوز هيهنا تجاوز الله عنه، ومن أنظرَ معسِراً أنظرَه الله، ومن عفى عفى الله عنه، ومن استقصى حقَّه هيهنا من عباده استقصى الله حقَّه منه هناك، ومن شدَّد على هذه الأمَّة شدَّد الله عليه، «إنَّما هي أعمالكم ترد عليكم»[1]، فالتزموا مكارمَ الأخلاق، فإنّ الله غدا يعاملكم بما عامَلتم به عبادَه.

---

(١) مضى الحديث.



الباب العاشر

الشفاعة

﴿لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾

[مريم: ٨٧]

شفاعة رسول الله (ص)

روى عليُّ بن إبراهيم ـ رحمه الله ـ في تفسيره[1] بسند موثّق، عن مولانا الصادق عليه السلام أنّه سُئل عن شفاعة النبيّ صلى الله عليه وآله يوم القيامة؟ قال:

«يلجم الناس يوم القيامة العرقُ، فيقولون: «انطلقوا بنا إلى آدم يشفع لنا»، فيأتون آدمَ، فيقولون: «اشفع لنا عند ربّك».

فيقول: «إنَّ لي ذنباً وخطيئة، فعليكم بنوح».

فيأتون نوحاً، فيردّهم إلى من يليه، ويردّهم كل نبيّ إلى من يليه، حتّى ينتهون إلى عيسى، فيقول: «عليكم بمحمَّد رسول الله صلى الله عليه وآله».

فيعرضون أنفسهم عليه ويسألونه، فيقول: «انطلقوا». فينطلق بهم إلى باب الجنَّة، ويستقبل باب الرحمان ويخرُّ ساجداً، فيمكث ما شاء الله، فيقول [الله][2]: «ارفع رأسَك، واشفع تشفَّع، وسل تعط».

ـ ذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩].

وروى الصدوق[3] بإسناده عن مولانا الرضا عليه السلام ـ قال ـ: ـ قال

---

(١) تفسير القمي: ٢/ ٢٤، قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ﴾ [الإسراء: ٧٩]، وفيه فروق يسيرة. عنه البحار: ٨/ ٣٥، ح٧.

(٢) إضافة من المصدر.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ما جاء عن الرضا عليه السلام في الإخبار عن التوحيد: =

رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَن لم يؤمن بحوضي فلا أورده الله حوضي، ومَن لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله شفاعتي[1]». ثمَّ قال: «إنَّما شفاعتي لأهل الكبائر مِن أُمَّتي، فأمَّا المحسنون، فما عليهم مِن سبيل».

قيل للرضا[2] عليه السلام: «يا بن رسول الله، فما معنى قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]؟

قال: «لا يشفعون إلا لمن ارتضى[3] دينه».

وعن النبيّ[4] صلى الله عليه وآله: «شفاعتي لأهل الكبائر مِن أمَّتي ما خلا الشرك والظلم».

وعن مولانا الصادق[5] عليه السلام: «مَن أنكر ثلاثة أشياء فليس من شيعتنا: المعراج، والمساءَلة في القبر، والشفاعة».

وعن النبيّ[6] صلى الله عليه وآله: «خيّرتُ بين أن يدخل شطر أمَّتي الجنَّة وبين الشفاعة، فاخترتُ الشفاعة لأنَّها أعمُّ وأكفى».

وعنه[7] صلى الله عليه وآله: «إنَّ مِن أمَّتي من يدخل الجنَّة بشفاعته أكثر من مُضر».

= ١/١٣٦، ح٣٥. أمالي الصدوق: ٥٦، المجلس الثاني، ح٤. البحار: ٨/ ٣٤، ح٤.

(١) في العيون والأمالي: فلا أناله الله شفاعتي.

(٢) القائل حسين بن خالد، راوي الحديث.

(٣) في العيون والأمالي: ارتضى الله.

(٤) في الخصال (باب السبعة، ح٣٦، ٣٥٥) عن النبي صلى الله عليه وآله: «وأما شفاعتي ففي أصحاب الكبائر، ما خلا أهل الشرك والظلم».

(٥) أمالي الصدوق: ٣٧٠، المجلس التاسع والأربعون، ح٥.
البحار: ٦/ ٢٢٣، ح٢٣، ح١٣. ١٨/ ٣٤٠، ح٣٣.

(٦) جاء بلفظ «... نصف أمتي...» في ابن ماجة: كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة، ٢/ ١٤٤١، ح٤٣١١. والمسند: ٢/ ٧٥. كنز العمال: ١٤/ ٤٠٠، ح٣٩٠٦٤.

(٧) مجمع البيان: قوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾[المدثر: ٤٨] ١٠/ ٣٩٢. وأورده الغزالي في الإحياء (كتاب ذكر الموت، صفة الشفاعة، ٤/ ٧٦٣) وقال الزبيدي في شرحه (إتحاف السادة: ١٠/ ٤٩٥): «سياق المصنف رواه ابن أبي شيبة والحاكم والبيهقي وابن =

وعن مولانا الباقر[1] عليه السلام : «أمّا إنّه ليس من عبد يُذكر عنده أهل البيت فيرقُّ لذكرنا إلاّ مسحت الملائكة ظَهره وغُفر ذنوبه كلّها، إلاّ أن يجيء بذنب يُخرجه من الإيمان، وإنَّ الشفاعة لمقبولةٌ، وما تُقبل في ناصب، وإنّ المؤمن ليشفع لجاره وما لَه حسنةٌ، فيقول: «يا ربِّ جاري، كان يكفُّ عنّي الأذى»، فيشفَّع فيه، فيقول الله ـ تعالى ـ: «أنا ربُّك، وأنا أحقُّ مَن كافى عنك»، فيدخله الجنَّة وما له من حسنة. وإنَّ أدنى المؤمنين شفاعة ليشفع لثلاثين إنساناً، فعند ذلك يقول أهل النار: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٠٠ ـ ١٠١].

وفي بعض الأخبار[2]: أنَّه يقال للرجل: «قُم يا فلان ـ فاشفع»، فيقوم الرجلُ، فيشفع للقبيلة، ولأهل البيت، وللرجل والرجلين ـ على قدر عمَله.

وروى الحسين بن سعيد الأهوازي في كتابه[3] عن محمد بن أبي عمير، عن مولانا الصادق عليه السلام قال: «يؤتى بعبدٍ يوم القيامة ليست له حسنةٌ، فيقال له: «اذكر وتذكَّر ـ هل لك حسنة»؟

= عساكر عن الحسن مرسلاً...». وجاء مع فرق يسير في مستدرك الحاكم: كتاب الأهوال، ٤/٥٩٣. عنه وعن المسند في كنز العمال (١٢/١٥٨، ح٣٤٤٧١). وفي التمحيص (باب التمحيص بذهاب المال...: ٤٧، ح٦٨): «لا تستخفّوا بفقراء شيعة عليّ وعترته من بعده، فإن الرجل منهم ليشفع لمثل ربيعة ومضر». عنه البحار: ٨/٥٩، ح٨٠. وقد ورد ما يقرب منه عن الباقر عليه السلام، راجع تفسير القمي: ٢/٢٠٢ ـ ٢٠٣، قوله تعالى: ﴿لَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [طه: ١٠٩].

(١) الكافي: الروضة ٨/١٠١، ح٧٢. عنه وعن العياشي في البحار: ٨/٥٦ ـ ٥٧، ح٧٠.

(٢) حكاه الغزالي في الإحياء: كتاب ذكر الموت، صفة الشفاعة، ٤/٧٦٣. وجاء في مناقب ابن شهرآشوب (فصل في أنه [أمير المؤمنين عليه السلام] الساقي والشفيع، ٢/١٦٥) عن الباقر عليه السلام: «في قوله: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ [الجاثية: ٢٨] ـ الآية ـ: قال: ذلك النبي وعليّ، يقوم على كوم قد علا الخلائق، فيشفع، ثم يقول: «يا علي اشفع». فيشفع الرجل في القبيلة، ويشفع الرجل لأهل البيت، ويشفع الرجل للرجلين ـ على قدر عمله ـ فذلك المقام المحمود».

(٣) الزهد: باب الشفاعة ومن يخرج من النار، ٩٧، ح٢٦٣. عنه البحار: ٧/٢٩٠، ح٩.

قال: فيتذكّر فيقول: «يا ربِّ ـ مالي من حسنة، إلاّ أنَّ عبدك فلان المؤمن مرَّ بي، فطلب منِّي ماء يتوضَّأ به فيصلِّي به، فأعطيتُه.

قال[1]: فيُدعى ذلك المؤمن، فيذكر ذلك، فيقول: «نعم يا ربِّ، مررتُ به فطلبت منه ماء، فأعطاني، فتوضأت وصليت لك».

ـ قال: ـ فيقول الله ـ تبارك وتعالى ـ: «ادخلوا عبدي الجنَّة».

وفيه[2] عن حمران، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «إنَّ الكفَّار والمشركين يعيِّرون أهلَ التوحيد في النار، فيقولون: «ما نرى توحيدَكم أغنى عنكم شيئاً، وما أنتم ونحن إلاّ سواء».

ـ قال: ـ «فيأنف لهم الربُّ ـ عزَّ وجلَّ ـ فيقول للملائكة: «اشفعوا»، فيشفعون لمن شاء الله، ويقول للمؤمنين مثل ذلك، حتَّى إذا لم يبق أحدٌ تبلغه الشفاعة قال ـ تبارك وتعالى ـ: «أنا أرحم الراحمين، أُخرجوا برحمتي»، فيخرجون كما يخرج الفراش».

ـ قال: ثمَّ قال أبو جعفر عليه السلام: «ثمَّ مدَّت العمد، وأعمدت عليهم، وكان والله الخلود».

وفي الحديث المشهور[3]: «لا شفيع أنجح من التوبة».

وفي الكتاب المذكور[4] عن محمَّد بن أبي عمير، عن عبد الرحمن ابن الحجّاج قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «حديثٌ يرويه الناس»؟

---

(١) هذا المقطع ـ إلى قوله: وصليت لك ـ غير موجود في المصدر والبحار.

(٢) الزهد: الباب السابق، ٩٨، ح٢٦٤. عنه البحار: ٨/ ٣٦٢، ح٣٥. وأورده في البحار (٨/ ٢٧٩) عن العياشي أيضاً.

(٣) أمالي الصدوق: ٣٩٩، المجلس الثاني والخمسون، ح٩.
عنه البحار: ٦/ ١٩، ح٦. ٨/ ٥٨، ح٧٥. نهج البلاغة: الحكم ٣٧١.

(٤) الزهد: الباب السابق، ٩٧، ح٢٦٢. عنه البحار: ٧/ ٢٨٧، ح٣.

فقال: «إنَّه ليس كما يقولون» ـ ثمَّ قال: ـ «قال رسول الله ﷺ: «إنَّ آخر عبد يؤمَر به إلى النار، فإذا أُمر به إلى النار التفت، فيقول الجبَّار: «إعجلوه». فإذا أُتي به قال له: «لِمَ إلتفتَّ»؟

فيقول: «يا ربِّ ما كان ظنِّي بك هذا».

فيقول: «وما كان ظنُّك بي»؟

فيقول: «كان ظنِّي بك أن تغفر لي خطيئتي وتسكنني جنَّتك».

فيقول الجبَّار ـ جلَّ وعلا ـ: «يا ملائكتي ـ وعزَّتي وجلالي وعلوِّي وارتفاع مكاني، ما ظنَّ بي عبدي ساعة من خير قطّ، ولو ظنَّ بي ساعة من خير ما روَّعتُه بالنار. أجيزوا له كذبَه، وأدخلوه الجنَّة».

ثمَّ قال رسول الله ﷺ: «ليس من عبد ظنَّ بالله خيرا إلاّ كان عند ظنِّه به، ولا ظنَّ به سوء إلاّ كان عند ظنِّه به، وذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٣].

وفي الأخبار العاميَّة:

إنَّ الله ـ تعالى ـ يُحاسِب عبداً، فيرجح سيّئاتُه على حسناته، فيأمر الله ـ تعالى ـ به إلى النار، فإذا ذهب به يقول الله ـ تعالى ـ لجبرئيل: أدرك عبدي واسأله: «هل جلس مع العلماء في الدنيا فأغفر له بشفاعتهم»؟

فيسأله جبرئيلُ، فيقول: «لا».

فيقول جبرئيل: «يا ربِّ ـ إنَّك عالمٌ بحال عبدك».

فيقول له: «هل أحبَّ عالماً»؟

فيسأله، فيقول: «لا».

فيقول: «هل جلس على مائدة مع عالِم قط»؟

فيسأله، فيقول: «لا».

فيقول: «هل سكن مسكناً سكَن فيه عالِم»؟

فيسأله، فيقول: «لا».

فيقول: «هل يشبه اسمُه اسمَ عالم»؟

فإن وافَقه غفرتُ له. فيسأله، فيقول: «لا».

فيقول لجبرئيل: «سله، هل أحبَّ رجلاً يحبُّ العلماء»؟

فيسأله، فيقول: «نعم».

فيقول الله ـ تعالى ـ لجبرئيل: «خذ بيده وأدخله الجنَّة، فإنَّه كان يحبّ رجلاً في الدنيا، كان ذلك الرجل يحبّ العلماء».

وفي أخبارهم:

يؤتى بعبد يوم القيامة، فيرجح سيّئاتُه على حسناته، فيؤمَر به إلى النار. فتكلَّم شَعرةٌ من شعَرات عينه وتقول: «يا ربِّ ـ رسولك محمَّد ﷺ قال: «مَن بَكى مِن خشية الله، حرَّم الله تلك العين على النار»، وإنّي بكيت من خشيتك فانزعني عنها».

فيغفر الله ـ تعالى ـ له ويستخلصه من النار ببركة شَعرة واحدة.

وفي أخبارهم:

لمَّا جيء بجهنَّم مفتوحة الأبواب، وأخذت أهلَ المحشر النارُ من تحتهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم، يستغيث النبيُّ إلى جبرئيل.

فيقول: «لا تخف، وانفضَّ غبار رأسك». فينفضّ برأسه، فيصير ذلك سحاباً مثل سحاب المطر، فيقف على رؤوس المؤمنين.

ثمَّ يقول: «يا محمَّد انفضّ غبارَ لحيتك». فينفضّ، فيصير من غبار لحيته

ستراً بينهم وبين النار، ثمَّ يؤمر أن ينفضَّ غبار نفسه، فيصيّر الله من غبار نفسه بساطاً على أقدامهم، ويمنع منهم نار اللظى ببركته.

وسيأتي كيفيَّة شفاعته ﷺ لأهل جهنَّم مفصَّلاً ـ إن شاء الله ـ.

الذين يخرجون من النار

وروى الحسين بن سعيد في كتابه[1] عن أبي بصير ـ قال ـ: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «إنّ قوماً يحرقون في النار حتَّى إذا صاروا حمَماً أدركتهم الشفاعة». ـ قال:ـ «فيُنطلق بهم إلى نهر يخرج من رشح أهل الجنَّة، فيغتسلون فيه، فتنبت لحومُهم ودماؤهم، ويذهب عنهم قشفُ النار، ويدخلون الجنَّة، فيسمّون: «الجهنَّميُّون». فينادون بأجمعهم: «اللهمَّ اذهب عنَّا هذا الاسم». ـ قال:ـ «فيذهب عنهم». ـ ثمَّ قال:ـ «يا أبا بصير، إنَّ أعداء عليّ عليه السلام هم الخالدون في النار لا تدركهم الشفاعة».

وعن محمَّد بن مسلم[2] قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الجهنَّميِّين فقال:

«كان أبو جعفر عليه السلام يقول: «يخرجون منها، فينتهي بهم إلى عينٍ عند باب الجنَّة ـ تسمَّى عين الحيوان ـ فينضح عليهم من مائها، فينبتون كما ينبت الزرع، تنبت لحومُهم وجلودُهم وشعورُهم».

وعن ربعي بن الفضيل عن أبي جعفر عليه السلام قال[3]:

«آخر من يخرج من النار رجل يقال له: همام، ينادي فيها عمراً: يا حنَّان، يا منَّان».

---

(١) الزهد: الباب السابق، ٩٦، ح٢٦٠. عنه البحار: ٨/ ٣٦١، ح٣٣.
(٢) الزهد: الباب السابق: ٩٥، ح٢٥٦. عنه البحار: ٨/ ٣٦٠، ح٢٩. وما يقرب من الرواية في الزهد: ٩٦، ح٢٥٨، عن عمر بن أبان أيضاً. البحار: ٨/ ٣٦١، ح٣١.
(٣) الزهد: الباب السابق: ٩٦، ح٢٦١. عنه البحار: ٨/ ٣٦١، ح٣٤.

معنى الشفاعة

معنى الشفاعة ما قاله بعض العلماء أنّه يُجعل بعض مقرَّبي حضرة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وسيلة إليه في مغفرته ـ تعالى ـ لذنوب عبده وعفوه عن خطاياه أو ازدياده في درجاته.

وهذا إنَّما يتصوّر إذا كان العبد استحكم نسبته إلى ذلك الشفيع في الدنيا بشدّة المحبَّة له، أو كثرة المواظبة على الاقتداء به، أو كثرة الذكر له بالصلاة والتسليم عليه، أو تألُّمه بفقدانه وحزنه على ذلك أو نحو ذلك، فإنّ ذلك كلّه يصير سبباً لتنوير القلب والقرب من الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وهما بعينهما مغفرة للذنوب وزيادة في الدرجات، وإنَّما حصلا بوسيلة ذلك الشفيع، بل بوسيلة قربه من الله ـ عزَّ وجلَّ ـ.

وهذا معنى الإذن من الله، فما لم يكن هذه المناسبة لم يتحقَّق الإذن، فلا يحصل الشفاعة.

يدلُّك على ما ذكر أنّ جميع ما ورد في الأخبار عن استحقاق شفاعة النبيّ ﷺ معلّقٌ بما يتعلّق به: من صلاة عليه، أو زيارة لقبره، أو جواب المؤذّن والدعاء له عقيبه ـ وغير ذلك ممَّا يحكِّم علاقةَ المحبَّة والمناسبة معه.

وكذا شفاعة غيره من الأئمَّة المعصومين عليهم السلام والعلماء الصالحين ـ كما نبَّه عليه بعضُ الأخبار التي تلوناها عليك ـ.

ومن هذا القبيل توسُّل الأبوين بأولادهما ـ الذين لم يبلغوا الحدث ـ في دخول الجنَّة ـ كما وردت في الأخبار المتظافرة[1]، فإنَّ ذلك من جهة إصابتهما بهم وحزنهما عليهم واستحكامهما المناسبة لهم، وذلك ممَّا يؤثِّر في تنوير القلب بسبب الرغبة عن الدنيا والزهد فيها ـ فافهم ـ.

---

(١) راجع الكافي: كتاب الجنائز، باب المصيبة بالولد، ٣/٢١٨ ـ ٢٢٠. البحار: ٨٢/١١٤ ـ ١٢٤.

الباب الحادي عشر

الحوض

﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾

[الكوثر: ١]



تفسير الكوثر في المأثورات

قد مضى عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «مَن لم يؤمن بحوضي، فلا أورده الله حوضي».

وعن ابن عبّاس ـ رضي الله عنه ـ أنّه قال[1]: «لمّا نزلت: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١]، صعد رسولُ الله ﷺ المنبرَ، فقرأها على الناس، فلمّا نزل قالوا: «يا رسول الله ـ ما هذا الذي أعطاك الله؟».

«قال: نهرٌ في الجنّة أشدُّ بياضاً من اللبن، وأشدُّ استقامة من القدح، حافتاه قباب الدرّ والياقوت، ترد[2] طيرٌ خضرٌ لها أعناق كأعناق البخت».

قالوا: «يا رسول الله ـ ما أنعم هذا الطائر»؟

قال: «أفلا أخبركم بأنعم منه»؟

قالوا: «بلى يا رسول الله».

قال: «من أكل الطائر وشرب الماء وفاز برضوان الله».

---

(١) رواه الطبرسي في مجمع البيان، تفسير سورة الكوثر: ١٠/٥٤٩. عنه البحار: ٨/١٦. وأورده البحراني (تفسير البرهان: ٤/٥١٤) عن ابن الفارسي في الروضة. وجاء ما يقرب منه في المستدرك للحاكم: كتاب التفسير، سورة الكوثر، ٢/٥٣٧، وتفسير الطبري: سورة الكوثر، ٣٠/٢٠٩. والدر المنثور: ٨/٦٤٧ ـ ٦٤٨.

(٢) كتب فوق الخط: عليه ـ ظ.

وفي رواية[1]: «إنَّه نهرٌ وعدنيه ربِّي ـ عزَّ وجلَّ ـ في الجنَّة، عليه خيرٌ كثيرٌ، عليه حوض يرد عليه أُمَّتي يوم القيامة، وآنيته عدد النجوم».

وفي رواية[2]: «إنَّ حوضي ما بين عدن إلى عمَّان البلقاء، ماؤه أشدُّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، وأكوابُه عدد نجوم السماء، مَن شرب منه شربةً لم يظمأ بعدها أبداً، أوّل وروداً عليه فقراءُ المهاجرين».

وفي خبر آخر[3]: «عرضه ما بين إيلة وصنعاء، وأنَّ الوالي عليه يوم القيامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، يسقي منه أولياءه، ويذود عنه أعداءه».

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله[4]: «ليختلجنَّ قومٌ من أصحابي دوني ـ وأنا على الحوض ـ فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأُنادي: «يا ربِّ أصحابي أصحابي» فيقال لي: «إنَّك لا تدري ما أحدثوا بعدك». فأقول: «سحقاً سحقاً لمن بدَّل بعدي».

وفي بعض الروايات[5] «أنَّ الحوض تشخب فيه ميزابان من الجنَّة».

وقد يقال: إنَّ الحوض على باب الجنَّة خارج عنها، وماؤه الموعود من ماء الكوثر الذي هو النهر الجاري في وسط الجنَّة.

---

(١) أبو داود: كتاب السنة، باب الحوض، ٤/ ٢٣٧، ح٤٧٤٧. المسند: ٣/ ١٠٢.

(٢) الترمذي: كتاب القيامة، باب (١٥)، ٤/ ٦٢٩، ح٢٤٤٤. المسند: ٥/ ٢٧٥.

(٣) الاعتقادات للصدوق: باب الاعتقاد في الحوض، عنه البحار: ٨/ ٢٧.
وما يقرب منه في أمالي الطوسي: المجلس الثامن، ح٥٠، ٢٢٨.

(٤) الاعتقادات: الباب السابق. عنه البحار: ٨/ ٢٧، ح٣٠. والحديث مرويّ في كتب العامة بألفاظ مختلفة، راجع البخاري: كتاب الرقاق، باب في الحوض، ٨/ ١٤٨ ـ ١٥٢، وكتاب الفتن، الباب الأول، ٩/ ٥٨ ـ ٥٩. مسلم: كتاب الفضائل، باب (٩) إثبات حوض نبيّنا صلى الله عليه وآله وصفاته، ٤/ ١٧٩٢/ ١٨٠٢.

(٥) مسلم: الباب السابق، ح٣٦، ٤/ ١٧٩٨.

وفسّر ابن عبّاس[1] «الكوثر» بالخيرالكثير، فقيل له: «إنَّ ناساً يقولون: «إنَّه نهر في الجنَّة»؟ فقال: «هو من الخير الكثير».

وفسّر ـ أيضاً ـ بالنبوّة وبالقرآن وبخديجة ـ رضي الله عنها ـ فإنّ جميع أولاده عليه السلام منها ـ سوى إبراهيم ـ.

وسئل مولانا الصادق عليه السلام عن قول الرجل للرجل: «جزاك الله خيراً»، ما يعني به؟

فقال عليه السلام[2]: «إنَّ خيراً نهرٌ في الجنَّة مخرجه من الكوثر، والكوثر مخرجه من ساق العرش، عليه منازل الأوصياء وشيعتهم، على حافتي النهر جواري نابتات، كلَّما قُلعت واحدة نبتت أخرى، سمِّي بذلك النهر، وذلك قوله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن: ٧٠]. فإذا قال الرجل لصاحبه: «جزاك الله خيراً»، فإنَّما يعني بذلك تلك المنازل التي أعدّها الله ـ تعالى ـ لصفوته وخيرته من خلقه».

وفي رواية أخرى عنه عليه السلام[3]: «أنّ في الجنَّة نهراً حافتاه حورٌ نابتات، فإذا مرَّ المؤمن بإحداهنّ فأعجبته اقتلعها، فأنبت الله مكانها».

* * *

---

(١) في البخاري (كتاب التفسير، سورة الكوثر: ٦/ ٢١٩): «. . .حدثنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنّه قال في الكوثر: هو الخير الذي أعطاه الله إيّاه. قال أبو بشر: قلت لسعيد بن جبير: فإن الناس يزعمون أنه نهر في الجنّة؟ فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إيّاه».
ومثله في المستدرك للحاكم: كتاب التفسير، سورة الكوثر: ٢/ ٥٣٧. تفسير الطبري: سورة الكوثر: ٣٠/ ٢٠٨.

(٢) معاني الأخبار: باب معنى قول الرجل للرجل: «جزاك الله خيراً»: ١٨٢.

(٣) الكافي: ٨/ ٢٣١، ح٢٩٩.

مثال الكوثر في الدنيا

يخطر بالبال: أنَّ مثال الكوثر في الدنيا هو العلم والحكمة، ومثال أوانيه علماء الأُمَّة، ولهذا فسِّر بالخير الكثير، فإنَّ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يقول: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

ويؤيّد هذا ما رواه بعض علماء العامَّة عن مولانا الصادق عليه السلام في تأويل الآية[1]: «إنَّا أعطيناكَ نوراً في قلبك، دلَّك عليَّ وقطعك عمَّا سواي».

ـ قال: ـ «وكان هذا منه عليه السلام نوع إشارة كإشارات الصوفيَّة، لا أنَّه تفسير السورة».

أقول: ومن شرب كأسَ العلم من مشرب التحقيق علم أن مثل هذه الإشارة يرجع إلى التفسير عند التحقيق، ويتَّحدان بحسب المعنى، لِما عرفت مراراً أنَّ لكلِّ حقيقة في كلِّ موطن صورة ومثالاً على حدة، وإن اتَّحد المعنى.

فافهم ذلك موفَّقاً ـ ومن الله العون.

---

(١) جاءت هذه الرواية منسوبة إلى الصادق عليه السلام في حقائق التفسير للسلمي (رسائل السلمي: ١/٦٣). ولم أعثر على مصدر نقل المؤلف ـ قده ـ.

الباب الثاني عشر

الوسيلة واللواء

﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾

[الإسراء: ٥٧]

الوسيلة واللواء

روى الشيخ الصدوق[1] ـ رحمه الله ـ بإسناده عن أبي سعيد الخدري، ـ قال:ـ قال رسول الله ﷺ: «إذا سألتم الله ـ تعالى ـ شيئاً، فاسألوه لي الوسيلةَ».

فسألت النبيّ ﷺ عن الوسيلة؟

فقال: «هي درجتي في الجنَّة، وهي ألف مرقاة، ما بين المرقاة إلى المرقاة حضر الفرَس الجواد شهراً، وهي ما بين مرقاة جوهر إلى مرقاة زبرجد، ومرقاة ياقوت إلى مرقاة ذهب، ومرقاة ذهب إلى مرقاة فضَّة.

فيؤتى بها يومَ القيامة حتَّى تنصب مع درجة النبيِّين، فهي في درج النبيِّين كالقمر بين الكواكب، فلا يبقى يومئذٍ نبيٌّ ولا صدّيق ولا شهيد إلاّ قال: «طوبى لمن كانت هذه الدرجة درجته».

فيأتي النداء من عند الله ـ تعالى ـ يسمع النبيِّين وجميعُ الخلق: «هذه درجةُ محمَّد».

فأقبلُ ـ وأنا يومئذٍ متَّزرٌ بريطة[2] من نور، عليَّ تاجُ الملك،

---

(١) معاني الأخبار: باب معنى الوسيلة: ١١٦.
أمالي الصدوق: المجلس الرابع والعشرون، ح٤، ١٧٨. تفسير القمي: قوله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ۝٢٤﴾ [ق: ٢٤]، ٢/ ٣٣٢، وفيه فروق يسيرة.
بصائر الدرجات: الجزء الثامن، باب (١٧) في أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قسيم الجنة والنار، ٤١٦ ـ ٤١٨، ح١١. عنها البحار: ٧/ ٣٢٦ ـ ٣٢٨، ح٢.

(٢) الريطة: كل ثوب يشبه الملحفة.

وإكليل[1] الكرامة ـ وعليٌّ بن أبي طالب أمامي، وبيده لوائي ـ وهو لواء الحمد ـ مكتوبٌ عليه: «لا إله إلاّ الله، المفلحون هم الفائزون بالله»، وإذا مررنا بالنبيِّين قالوا: «هذان ملكان مقرَّبان لم نعرفهما ولم نرَهما»، وإذا مررنا بالملائكة قالوا: «هذان نبيَّان مرسلان».

حتَّى أعلو الدرجةَ ـ وعليٌّ يُتبِعني ـ حتَّى إذا صرتُ في أعلى درجة منها ـ وعليٌّ أسفل منِّي بدرجة ـ فلا يبقى يومئذٍ نبيٌّ ولا صدّيقٌ ولا شهيدٌ إلاّ قال: «طوبى لهذين العبدين، ما أكرمهما على الله».

فيأتي النداء من قِبل الله ـ تعالى ـ يسمع النبيِّين والصدِّيقين والشهداء والمؤمنين: «هذا حبيبي محمَّدٌ، وهذا وليّي عليٌّ، طوبى لمن أحبَّه، وويل لمن أبغضه وكذب عليه».

ـ ثمَّ قال رسول الله ﷺ ـ: «فلا يبقى يومئذٍ أحدٌ أحبَّك ـ يا عليّ ـ إلاّ استروح إلى هذا الكلام وابيضَّ وجهُه وفرح قلبُه، ولا يبقى أحدٌ ممَّن عاداك ونصب لك حرباً أو جحد لك حقّاً، إلاّ اسودَّ وجهُه واضطربت قدماه».

* * *

«فبينا أنا كذلك إذا ملكان قد أقبلا إليّ: أمَّا أحدهما فرضوان، خازن الجنَّة، وأمَّا الآخر فمالك خازن النار، فيدنو رضوانُ فيقول: «السلام عليك يا أحمد».

فأقول: «السلام عليك أيُّها الملك، من أنت؟ فما أحسن وجهُك وأطيب ريحك».

فيقول الملك: «أنا رضوان خازن الجنَّة، وهذه مفاتيح الجنَّة بعث بها إليك ربُّ العزَّة، فخذها يا أحمد».

---

(١) الإكليل: التاج.

فأقول: «قد قبلت ذلك من ربّي، فله الحمد على ما فضَّلني به، ادفعها إلى أخي عليّ بن أبي طالب».

ـ ثمَّ يرجع رضوان ـ فيدنو مالك فيقول: «السلام عليك يا أحمد».

فأقول: «السلام عليك أيُّها الملك، من أنت؟ فما أقبح وجهك وأنكر رؤيتك».

«فيقول: أنا مالك، خازن النار، وهذه مقاليد النار بعث بها إليك ربُّ العزَّة، فخذها يا أحمد».

فأقول: «قد قبلتُ ذلك من ربّي، فله الحمد على ما فضّلني به، ادفعها إلى أخي عليّ بن أبي طالب» ـ ثمّ يرجع مالِك ـ».

* * *

«فيقبل عليٌّ ومعه مفاتيح الجنَّة ومقاليد النار، حتّى يقف على عجُز جهنَّم، وقد تطاير شررها وعلا زفيرها واشتدّ حرُّها وعليٌّ آخذ بزمامها.

فتقول له جهنَّم: «جزني يا عليّ، قد أطفأ نورُك لهبي».

فيقول لها عليٌّ: «قرّي يا جهنَّم، خذي هذا عدوّي، واتركي هذا وليّي».

فلجهنّمُ يومئذٍ أشدّ مطاوعة لعليٍّ من غلام أحدكم لصاحبه، فإن شاء يذهبها يمنة وإن شاء يذهبها يسرة، ولجنَّةُ يومئذٍ أشد مطاوعة لعليّ فيما يأمرها به من جميع الخلائق».

وفي حديث آخر[1]: «. . . وإنَّ آدم وجميع خلق الله يستظلّون بظلِّ لوائي

(١) أمالي الصدوق: المجلس الثاني والخمسون، ح١٤، ٤٠٢.
عنه البحار: ٨/ ١ ـ ٢، ح١.
كشف الغمة: في قول النبي ﷺ أنت وارثي. . .: ١/ ٣٣٨. =

يوم القيامة، وطوله مسيرة ألف سنة، سنانه ياقوتة حمراء، قصبته فضَّة بيضاء، زجُّه زبرجدة خضراء، له ثلاث ذوائب من نور: ذؤابةٌ في المشرق، وذؤابةٌ في المغرب، وذؤابة في وسط الدنيا، مكتوب عليها ثلاثة أسطر:

الأوّل: «بسم الله الرحمن الرحيم».

والآخر: «الحمد لله ربّ العالمين».

والثالث: «لا إله إلاّ الله، محمَّد رسول الله»، طول كلّ سطر مسيرة ألف سنة، وعرضه مسيرة ألف سنة»[1].

وفي الكافي[2] عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ما يقرب من الحديث المذكور ـ بزيادة بسط ـ ولكن ليس فيه قصَّة الملكين إلى آخر الحديث، وفيه:

«إنَّ الرسل والأنبياء عليهم السلام قد وقفوا على المراقي، وأعلام الأزمنة وحجج الدهور عن أيماننا، قد تجلّلتهم حلل النور والكرامة، لا يرانا ملك مقرَّب ولا نبيٌّ مرسل إلاّ بهت بأنوارنا وعجب من ضيائنا وجلالتنا».

وفي حديث مولانا الباقر عليه السلام[3]:

«ثمَّ يدعى بنا، فيدفع إلينا حساب الناس، فنحن ـ والله ـ نُدخل أهلَ الجنَّةِ الجنَّةَ، وأهلَ النارِ النارَ، ثمَّ يُدعى بالنبيِّين، فيُقامون صفّين عند عرش الله حتَّى يُفرغ من حساب الناس، فإذا دخل أهلُ الجنَّةِ الجنةَ وأهلُ النارِ النارَ بعث ربُّ

= عنه البحار: ٣٨/ ٣٤١. وفي ٣٩/ ٢١٣ ـ ٢١٤ عن المناقب.
وأورده ابن بطريق في العمدة (الفصل التاسع والعشرون: ٢٢٩) عن أحمد بن حنبل.

(١) كتب في الهامش:
وفي حديث العامة في صفة اللواء ما يقرب من هذا، وفي آخره: «وعنده سبعون ألف لواء، تحت كل لواء سبعون ألف صفّ من الملائكة، في كل صفّ خمسمأة ألف ملك، يسبّحون الله ويقدّسونه» ـ منه.

(٢) الكافي: خطبة الوسيلة: ٨/ ٢٥.

(٣) الكافي: ٨/ ١٥٩، ح١٥٤. عنه البحار: ٧/ ٣٣٧، ح٢٤.

العزَّة عليّاً، فأنزلهم منازلهم من الجنَّة وزوَّجهم، فعليٌّ ـ والله ـ الذي يزوِّج أهلَ الجنَّة في الجنَّة، وما ذاك إلى أحد غيره ـ كرامة من الله وفضلاً فضَّله الله به ومنَّ به عليه ـ وهو ـ والله ـ يُدخل أهلَ النار النارَ، وهو الذي يغلق على أهل الجنَّة إذا دخلوا فيها أبوابَها، لأنَّ أبواب الجنّة إليه وأبواب النار إليه».

وروى العامَّة بإسنادهم عن عبد الله بن عمر[1] ـ قال :ـ قال رسول الله ﷺ لعليّ بن أبي طالب عليه السلام :

«إذا كان يوم القيامة يؤتى بك ـ يا عليّ ـ على نجيب من نور، على رأسك تاجٌ قد أضاء نورُه وكاد يخطف أبصارَ أهل الموقف، فيأتي النداءُ من عند الله ـ جلّ جلاله ـ: أين خليفة محمَّد رسول الله؟

فيقول عليٌّ: «ها أنا ذا».

ـ قال: ـ فينادي المنادي: «يا عليّ ـ أدخل من أحبَّك الجنّةَ، ومن عاداك النارَ، وأنت قسيمُ الجنَّة والنار».

* * *

(١) رواه الصدوق عن عبد الله بن عمر في الأمالي: ٤٤٢، المجلس السابع والخمسون، الحديث الأخير. عنه البحار: ٧/ ٢٣٢، ح٣. وجاء ما يقرب منه مع إضافة في صدر الحديث في الكافي (٨/ ١٥٩، ح١٥٤) عن جابر.



الباب الثالث عشر

محل الجنة والنار والأعراف

وأنها موجودة الآن

﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ * عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴾

[النجم: ١٣ ـ ١٥]

محل الجنة والنار[1]

اعلم أنَّه لا مكانَ للنشأة الأُخرى بالنسبة إلى الدنيا، ولا مكان له يزاحم فيها المتمكنات.

قيل[2]: «سُئل النبيّ ﷺ: إذا كانت الجنَّة عرضها السماوات والأرض، فأين النار»؟ قال: ـ «سبحان الله ـ إذا جاء النهار فأين الليل»؟

ولكن لكلّ من الجنَّة والنار والأعراف مظهرٌ كلّيٌ، هو مثالٌ له في الدنيا، ومظاهر جزئيَّة بالإضافة إلى أشخاص بأعيانهم من الأنبياء والأولياء عليهم السلام، بحسب شهودهم إيَّاها في تلك المواضع، هي صورها بحسب النشأة الدنياويَّة. فإنَّك قد عرفت أنَّ لكلٍّ حقيقة في كلّ موطن صورةً بحسب ذلك الموطن. فالمظهر الكلّي للجنَّة فوق سبع سماوات، كما دلَّت عليه الآية المذكورة.

فإنَّ سدرة المنتهى ـ كما ورد في الآثار[3] ـ في السماء السابعة، ويؤيِّده ما

---

(١) راجع ما كتبه المؤلف حول هذا البحث في عين اليقين: ٢٩٢ ـ ٢٩٨.

(٢) مجمع البيان: قوله تعالى: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٣]: ٢/٥٠٤.

ورواه الطبري (آل عمران/١٣٣، ٤/٦٠) والفخر الرازي (الآية المذكورة: ٩/٦) وذكرا أنه ﷺ قاله جواباً عن سؤال رسول هرقل.

(٣) راجع تفسير القمي: ٢/٣٤٤، سورة النجم، ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ١٤]. بصائر الدرجات: الجزء الرابع، باب (٥) في الأئمة عليهم السلام عندهم الصحيفة التي فيها أسماء أهل الجنة والنار، ح٦، ١٩٢. أمالي الصدوق: المجلس الثالث والتسعون، ٧٣٩، ح١. البحار: ٨/١٣٣، ح٤٠. ٩/٢٩٠، ح٢. ١٠/٣٩٤، ١٦/٣٢٧، ح٢٥. ١٧/١٤٧، =

في بعض الأخبار[1]: «إنَّ أرض الجنَّة الكرسي، وسقفها عرش الرحمان».

وقد مضى فيما سلف معنى العرش والكرسي، وأنَّهما من وجه عبارتان عن العلم، وقد تبيَّن في محلِّه أنَّ لذَّة العلم والمعرفة والأُنس بالله ـ عزَّ وجلَّ ـ لذَّة لا لذَّة فوقها، كما أشار إليه مولانا الصادق عليه السلام بقوله[2]: «لو يعلم الناس ما في فضل معرفة الله ـ تعالى ـ ما مدُّوا أعينَهم إلى ما متّع به الأعداء من زَهرة الحياة الدنيا، وكانت دنياهم أقلّ عندهم ممَّا يطؤنه بأرجلهم، ولنُعِّموا بمعرفة الله ـ تعالى ـ وتلذَّذوا بها تلذُّذ من لم يزل في روضات الجنان مع أولياء الله» ـ الحديث، وسنذكره بتمامه إن شاء الله ـ.

فتحدس من هذا مثال الجنَّة في الدنيا، وكذلك مثال النار لأنَّها في مقابلها.

روي في بصائر الدرجات[3] عن نصر بن قابوس[4]، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ * وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ * وَفَٰكِهَةٍ

= ح٤١. ١٨/ ٢٨٩ و٣٤٠.

(١) أورد المجلسي ـ قده ـ في البحار حديثاً مطولاً فيه مسائل ابن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله، جاء فيه (٦٠/ ٢٥٦): «... وسقفها [الجنّة] عرش الرحمان».
وفي كنز العمال (١٤/ ٤٥٣، ح٣٩٢٣٠): «... والفردوس أعلى الجنّة، وفوقه عرش الرحمان». راجع أيضاً: ١٤/ ٤٥٥، ح٣٩٢٣٨. وقال الفخر الرازي (التفسير: قوله تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، ٩/ ٦): «قال عليه السلام في صفة الفردوس: سقفها عرش الرحمان». عنه البحار: ٨/ ٨٤. وفي شرح المقاصد(المبحث الخامس من الفصل الثاني من المقصد السادس، ٥/ ١١١): «...وقوله عليه السلام: سقف الجنة عرش الرحمان، والنار تحت الأرضين».

(٢) الكافي: ٨/ ٢٤٧، ح٣٤٧. وسيذكر المؤلف الحديث بتمامه في الفصل الأول من الباب السابع عشر من هذا المقصد.

(٣) بصائر الدرجات: الجزء العاشر، باب (١٨) النوادر في الأئمة عليهم السلام وأعاجيبهم، ح٣، ٥٠٥. عنه البحار: ٢٤/ ١٠٤، ح١١.

(٤) نصر بن قابوس اللخمي، من أصحاب الصادق والكاظم عليهما السلام، ثقة على الأظهر. راجع تنقيح المقال: ٣/ ٢٦٩، رقم ١٢٤٥١. معجم الرجال: ١٩/ ١٤٠، رقم ١٣٠٢٤.

كَثِيرَةٍ * لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٠ ـ ٣٣]، قال: «يا نصر إنَّه ـ والله ـ ليس حيث يذهب الناس، إنَّما هو العالِم وما يخرج منه».

وقال مجاهد(١): قلت لابن عبّاس: «أين الجنّة»؟

فقال: «فوق سبع سماوات».

قلت: «فأين النار»؟

قال: «تحت أبحر مطبّقة».

قال بعض أهل العلم(٢):

إنّ هذه الأبحر المطبَّقة في كلام ابن عبَّاس هي ما يروى عن كعب الأحبار أنَّه قال: «خلق الله ـ تعالى ـ سبعة أبحر: بحر اسمه قنبس، ومن ورائه بحر اسمه الأصم، ومن ورائه بحر اسمه مطبّقة، ومن ورائه بحر اسمه مرماس، ومن ورائه بحر اسمه الساكن، ومن ورائه بحر اسمه الباكي، وهو آخر البحار محيط بالكلّ، وكل واحد من هذه البحار محيط بالذي تقدَّمه».

وعن بعض السلف(٣) في قوله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٥٤] ـ قال: ـ

«إنَّ جهنَّم هو البحر ـ وهو محيطٌ بهم ـ ينتثر فيه الكواكب، ثمَّ يستوقد، ويكون هو جهنَّم».

---

(١) لم أعثر على مصدره، والظنّ الغالب أنّ المؤلف يورده اعتماداً على حكاية صدر المتألهين في كتبه المختلفة، منها المبدء والمعاد: ٤٥٠.

(٢) حكاه صدر المتألهين في المبدء والمعاد: ٤٥٢ مع اختلاف في بعض الكلمات، ويظهر أن المؤلف منه اقتبس القسم الكبير من هذا الفصل. راجع أيضاً الأسفار: ٩/ ٣٢٦.

(٣) قال السيوطي (الدر المنثور: العنكبوت، ٦/ ٤٧٣): «وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس ـ رض ـ...: جهنم هو هذا البحر الأخضر، تنتثر الكواكب فيه، ويكون فيه الشمس والقمر، ثم تستوقد، ثم يكون هو جهنم».

وعن أمير المؤمنين عليه السلام[1] أنّه سَئل يهودياً: «أين موضع النار في كتابكم»؟ قال: «في البحر».

قال عليه السلام: «ما أراه إلاّ صادقاً، لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ [الطور: ٦]».

ويروى أيضاً في التفاسير[2]: «إنَّ البحر المسجور هو النار».

وعن النبيّ ﷺ[3]: «البحر هو جهنّم».

وعنه ﷺ[4]: «لا يركبنَّ رجلٌ بحراً إلاّ غازياً أو معتمراً، فإنَّ تحت البحر ناراً، وتحت النار بحراً».

وعن ضحّاك[5] في قوله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾ [نوح: ٢٥] قال: «هي حالة واحدة في الدنيا، يغرقون من جانب، ويحترقون من جانب».

وعن قتادة[6] في قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ١٠٩] ـ قال: ـ «والله ما تناهى أن وقع في النار».

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره: الطور/٦، ٢٧/ ١٢. وحكاه السيوطي (الدر المنثور: ٧/ ٦٣٠) عنه وعن ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة. كنز العمال: ٢/ ٥١٣، ح٤٦٢٧. راجع أيضاً عين اليقين: ٢٩٦.

(٢) حكى الطبري (التفسير: الصفحة السابقة) عن مجاهد وابن زيد: «والبحر المسجور، قال: الموقد».

(٣) المسند: ٤/ ٢٢٣. تفسير الطبري: سورة الكهف، قوله تعالى ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩]: ١٥/ ١٥٧.

(٤) أبو داود (كتاب الجهاد، باب٩، ٣/ ٦، ح٢٤٨٩): «لا يركب البحر إلاّ حاجّ أو معتمر أو غازٍ في سبيل الله، فإن...». ومثله في كنز العمال (٥/ ١٨، ح١١٨٦١) عن سنن البيهقي.

(٥) مجمع البيان: سورة نوح: ١٠/ ٣٦٤. وفيه: في حالة واحدة...

(٦) تفسير الطبري: التوبة/١٠٩، ١١/ ٢٥.

وعن سقراط الحكيم ـ معلّم أفلاطن الإلهي ـ إنّه قال[1]: وأمَّا الذين ارتكبوا الكبائر فإنَّهم يُلقون في طرطاوس[2] ولا يخرجون منه أبداً، وأمَّا الذين ندموا على ذنوبهم مدَّةَ عمرهم وقصرت آثامهم عن تلك الدرجة، فإنَّهم يُلقون في طرطاوس سنة كاملة يتقدون، ثمّ يُلقيهم الموج إلى موضع ينادون منه خصومهم، يسألونهم الإحضار على القصاص لينجوا من الشرور، فإن رضوا عنهم وإلاّ أُعيدوا إلى طرطاوس، ولم يزل ذلك دأبهم إلى أن يرضي عنهم خصومهم.

والذين كانت سيرتهم فاضلة يتخلَّصون من هذه المواضع من هذه الأرض ويستريحون من المحابس ويسكنون الأرض النقيَّة».

قال المترجم[3]: «طرطاوس شقٌّ كبيرٌ وأهوية تسيل إليها الأنهار، على أنَّه

---

(١) يظهر أن المنقول مقتبس من المبدء والمعاد (٤٥٣) أو من المؤلفات الأخرى لصدر المتألهين، فإنه ـ قده ـ أورد حكاية هذا القول في أكثر كتبه ـ مثل المظاهر الإلهية: ٧٥، والأسفار الأربعة: ٩/ ١٨٣ والشواهد الربوبية: ٢٨٠، وغيرها.
ولعل صدر المتألهين أيضاً حكاه عن «تحقيق ما للهند من مقولة» للبيروني، فقد جاء هذا النص فيه مع فروق يسيرة لفظية: باب ٦، ذكر المجامع ومواضع الجزاء من الجنة وجهنم، ص ٥١. والمصدر الأصلي لهذا النص محاضرة فيدون من محاضرات سقراط التي كتبها أفلاطون، (١١٤) الترجمة الفارسية: ١/ ٥٥٦.

(٢) كذا في النسخة وبعض نسخ تحقيق ما للهند، والصحيح «طرطارس» كما هو في محاضرة فيدون وبعض نسخ تحقيق ما للهند. قال الأستاذ المغفور له علي أكبر فيّاض في تعليقة له على هذه الكلمة (مقدمة المظاهر الإلهية: ٢) ما ترجمته: «أرى أنّ هذه الكلمة بالواو خطأ، وأنّ الصحيح بالراء: «طرطارس»، وأصلها «Tartaros» يوناني، وكان المراد منها عندهم ما يشبه جهنّم عندنا، وهي هوّة مظلمة تحت الجحيم «Hades» وبُعده من الجهنّم كما بين السماء والأرض، محبس العفاريت والشياطين ومحل التعذيب. وقد جاءت هذه الكلمة في أشعار هومر وهزيود الشاعرين اليونانيين، وتكلم عنه أفلاطون في رسائله على لسان سقراط».

(٣) هذا التوضيح موجود بلفظه في تحقيق ماللهند من مقولة، ويظهر أنه كلام البيروني، أو لعله أيضا أخذه من قول مترجم فيدون كما يظهر من ظاهر الكلام هنا.

يصفه بما يدلُّ على التهاب النيران فيه، وكأنَّه يعني به البحر أو قاموساً فيه دَردَور[1]».

مظاهر الجنة والنار[2]

وأمَّا المظاهر الجزئيَّة للجنَّة والنار وأمثلتها بالنسبة إلى المشاهدين لها، فذلك مثل ما روي عن النبيّ ﷺ في حديث مشهور[3]:

«إنَّ ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنَّة».

وفي رواية[4]: «ومنبري على حوضي».

وفي الكافي[5] بإسناده عن أبي بكر الحضرمي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين بيتي ومنبري روضةٌ من رياض الجنَّة، ومنبري على تُرْعة[6] من تُرع الجنَّة، وقوائم منبري ربّت في الجنَّة».

ـ قال: قلت ـ «هي روضةٌ اليوم»؟

قال: «نعم، لو كُشف الغطاء لرأيتم».

وعن مولانا الصادق[7] عليه السلام ـ في طريقي الخاصَّة والعامَّة ـ: «إنَّ في

---

(١) كتب على الهامش: دِردَور: معرّب گرداب.

(٢) هذا الفصل مقتبس ـ على ما يظهر ـ من المبدء والمعاد: ٤٥٠ ـ ٤٥٣.

(٣) معاني الأخبار: باب معنى الخبر الذي روي عن النبي ﷺ أنه قال: ما بين قبري...، ٢٦٧، ح١. المناقب لابن شهرآشوب: ٣/ ٣٦٥. عنه البحار: ٤٣/ ١٨٥، ح١٧. ١٠٠/ ١٩٢، ح٣.

(٤) المسند: ٣/ ٤.

(٥) الكافي: كتاب الحج، باب المنبر والروضة ومقام النبي ﷺ، ٤/ ٥٥٤، ح٣.

(٦) التُرعَة: الباب. والجمع: تُرَع وتُرَعات.

(٧) حكى القزويني في عجائب المخلوقات (المقالة الثانية، فوائد الجبال، الطبع الملحق بحياة الحيوان: ١١٠): «دخل رجل من همدان على جعفر الصادق رضي الله عنه، فقال له: «من أين أنت؟» قال: «من همدان». قال: «أتعرف جبلها أروند»؟ قال: نعم. قال: «إنّ فيها =

جبل أروند عيناً من عيون الجنَّة».

وعن النبيّ[1] ﷺ: ما من رمّان أو حبّة إلاّ وفيها قطرة من ماء الجنّة.

وعنه ﷺ[2]: الحمّى بريد الموت وسجن الله في أرضه، وفورها من جهنَّم.

وزاد في رواية عن الصادق عليه السلام[3]: «وهي حظُّ المؤمن من النار».

وعن النبي ﷺ[4] في حديث الكسوف أنّه قال: «ما من شيء توعَدونه إلاّ قد رأيتُه في صلاتي هذه، لقد جيء بالنار ـ وذلك حين رأيتُموني تأخَّرتُ، مخافة أن يصيبني من نفحها[5] ـ الحديث ـ إلى أن قال: ـ «ثمَّ جيء بالجنَّة وذلكم حين رأيتموني تقدَّمت، حتّى قمتُ في مقامي، ولقد مددتُ يدي وأنا أُريد أن أتناول من ثمرها لتنظروا إليه، ثمَّ بدا لي أن لا أفعل».

وحكي أنَّه لمّا رأى ﷺ جهنَّم ـ وهو في صلاة الكسوف ـ جعل يتَّقي حرَّها عن وجهه بيده وثوبه، ويتأخَّر عن مكانه، ويتضرَّع ويقول: «ألم تعدني يا ربِّ أنَّك لا تعذِّبهم وأنا فيهم، ألَم، ألَم» ـ حتَّى حجبت عنه ـ.

= عيناً من عيون الجنّة». عنه البحار مع إضافة: ٦٠/ ١٢٢، ح١٣.

(١) في مكارم الأخلاق (١٩٣، الفصل العاشر): «عن الصادق عليه السلام: ـ قال: ـ قال رسول الله ﷺ: ما من رمانة إلا وفيها حبّة من رمّان الجنة». وفي كنز العمال (١٢/ ٣٤٦، ح٣٥٣٢٤): «ما من رمانة من رمانكم إلا وهو يلقح بحبّة من رمّان الجنّة».

(٢) في ثواب الأعمال (ثواب الحمى، ٢٢٨، ح١): «الحمى رائد الموت، وسجن الله في أرضه، وفورها وحرُّها من جهنَّم، وهي حظّ كلّ مؤمن من النار». عنه البحار: ٨١/ ١٨٣، ح٣٤. كنز العمال: ٣/ ٣١٩، ح٦٧٤٣: «الحمى رائد الموت وسجن الله في الأرض». ح٦٧٤٠: «الحمى كير من جهنم وهو نصيب المؤمن من النار».

(٣) راجع التعليقة السابقة.

(٤) مسلم: كتاب الكسوف، باب ما عرض على النبيّ ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار: ٢/ ٦٢٣، ح١٠. المسند: ٣/ ٣١٨.

(٥) في المسند ومسلم: لفحها.

وروي[1] ـ أيضاً ـ أنّه ﷺ صلّى يوماً الصلاة، ثمَّ رقى المنبر، فأشار بيده قِبل قبلة المسجد فقال: «قد رأيت الآن مذ صلّيت لكم الصلاة، الجنَّةَ والنارَ متمثلين من قِبل هذا الجدار، فلم أر كاليوم في الخير والشرّ».

وعنه ﷺ في حديث المعراج أنَّه رأى في السماء الدنيا آدم أبا البشر عليه السلام، وكان في يمينه بابٌ يأتي من قِبله ريحٌ طيِّبة، وعن شماله ريحٌ منتنةٌ، فأخبره جبرئيل عليه السلام أنَّ أحدهما هو الجنَّة والآخر هو النار.

وفي هذا الحديث ـ أيضاً ـ: أنّه بلغ قبل انتهائه إلى بيت المقدّس وادياً وجد منها ريحاً باردة طيِّبة، وسمع صوتاً، فقال له جبرئيل عليه السلام: «هذا صوت الجنَّة».

وعن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام[2]: «أبغض البقاع إلى الله ـ تعالى ـ وادي برهوت[3]، فيه أرواح الكفَّار، وفيه بئر ماؤها أسود منتن تأوي إليها أرواح الكفَّار».

وذكر رجلٌ أنَّه بات في وادي برهوت، فسمع طول الليل: «يا دومة»،

---

(١) المسند: ٣/ ٢٥٩.

(٢) رواه الياقوت في معجم البلدان: برهوت، ١/ ٥٩٨. وفي الكافي (كتاب الجنائز، باب في أرواح الكفار: ٣/ ٢٤٦، ح٤) عن أمير المؤمنين عليه السلام: «شر ماء على وجه الأرض ماء برهوت، وهو الذي بحضرموت، ترده هام الكفار».
ومثله في المحاسن: كتاب الماء، باب ماء زمزم، ٢/ ٥٧٣، ح١٨.
وفي الكافي أيضاً (الباب المذكور، ح٥): «شر بئر في النار برهوت، الذي فيه أرواح الكفار».
البحار: ٦/ ٢٨٩، ح١٢. ٩٩/ ٢٤٤.

(٣) قال الياقوت (معجم البلدان: برهوت، ١/ ٥٩٨): «بَرَهُوت ـ بضم الهاء وسكون الواو وتاء فوقها نقطتان ـ واد باليمن يوضع فيه أرواح الكفار، وقيل: برهوت بئر بحضرموت، وقيل: هو اسم للبلد الذي فيه هذه البئر، ورواه ابن دريد: بُرْهُوت ـ بضم الباء وسكون الراء. وقيل: هو واد معروف...».

فذكر ذلك لرجل من أهل العلم، فقال: الملك الموكَّل بأرواح الكفَّار، اسمه: «دومة».

وحكى الأصمعي[1] عن رجل من حضرموت، أنَّه قال: نجد من ناحية بَرهوت رائحةً فظيعة منتنة جدّاً، فيأتينا بعد ذلك خبرُ موت عظيم من عظماء الكفَّار.

وعن مولانا الصادق عليه السلام قال[2]: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «شرّ اليهود يهود بئسان، وشرّ النصارى نصارى نجران، وخير ماء على وجه الأرض ماء زمزم، وشرُّ ماء على وجه الأرض ماء برهوت ـ وهو واد بحضرموت يرد عليه هام الكفَّار وصداهم[3]».

* * *

الأعراف

وأمَّا الأعراف، فمظهره في الدنيا أئمَّة الهدى ـ صلوات الله عليهم ـ كما رواه محمَّد بن الحسن الصفَّار رحمه الله في كتاب بصائر الدرجات[4] بإسناده

---

(١) حكاه الياقوت في معجم البلدان: ١/ ٥٩٨. والمؤلف يحكي جلّ هذه المنقولات عن المبدء والمعاد كما ذكرناه في أول الفصل.

(٢) الكافي: كتاب الجنائز، باب في أرواح الكفار: ٣/ ٢٤٦، ح٥. البحار: ٦/ ٢٨٩، ح١.

(٣) قال ابن الأثير (النهاية: هوم، ٥/ ٢٨٣): «الهامة: الرأس، واسم طائر، وهو المراد في الحديث [لا عدوى ولا هامة]. وذلك أنهم يتشاءمون بها، وهي من طير الليل. وقيل: هي البومة. وقيل: كانت العرب تزعم أنَّ روح القتيل الذي لا يُدرك بثأره تصير هامة، فتقول: أسقوني، فإذا أُدرك بثأره طارت. وقيل: كانوا يزعمون أن عظام الميِّت ـ وقيل روحه ـ تصير هامة فتطير، ويسمّونه الصدى، فنفاه الإسلام».

وقال المجلسي ـ قده ـ (البحار: ٦/ ٢٨٩): «وإنما عبِّر عنها بهما لأنّهم كانوا هكذا يعبِّرون عنها ـ وإن كان ذلك باطلاً».

(٤) بصائر الدرجات: الجزء العاشر، باب (١٦) في الأئمة أنهم الذين ذكرهم الله يعرفون أهل الجنة والنار، ٤٩٧، ح٧. عنه البحار: ٢٤/ ٢٥٢، ح١٣. وجاء ما يقرب منه في =

عن سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ: «أُشهدُ ـ أو قال: أُقسم ـ بالله، لسمعت رسولَ الله ﷺ وهو يقول لعليّ عليه السلام: «إنَّك والأصياء من بعدي ـ أو قال: من بعدك ـ أعرافٌ، لا يُعرف الله إلاّ بسبيل معرفتكم، وأعرافٌ لا يدخل الجنَّة إلاّ من عرفكم وعرفتموه، ولا يدخل النار إلاّ من أنكركم وأنكرتموه».

وبإسناده[1] عن الأصبغ بن نباته قال: «كنت عند أمير المؤمنين عليه السلام جالساً، فجاءه رجلٌ فقال له يا أمير المؤمنين: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَىٰهُمْ﴾ [الأعراف: ٤٦]؟

فقال له عليٌّ: «نحن الأعراف، نحن نعرف أنصارَنا بسيماهم، ونحن الأعراف الذين لا يُعرف الله إلا بسبيل معرفتنا، ونحن الأعراف نوقف يوم القيامة بين الجنَّة والنار، فلا يدخل الجنَّة إلاّ من عرفَنا وعرفناه، ولا يدخل النار إلاّ من أنكرَنا وأنكرناه، وذلك بأنَّ الله ـ تبارك وتعالى ـ لو شاء عرَّف الناسَ نفسَه، حتَّى يعرفوا حدَّه ويأتوه من بابه، ولكن جعلَنا أبوابَه وصراطَه وسبيلَه، وبابَه الذي يؤتى منه».

وبإسناده الصحيح[2] عن بريد العجليّ[3]، قال: سألتُ أبا جعفر عليه السلام عن قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَىٰهُمْ﴾ [الأعراف: ٤٦]، قال: «أُنزلت في هذه الأمَّة، والرجال هم الأئمَّة من آل محمَّد عليهم السلام».

قلت: «فمَن الأعراف»؟

= العياشي: سورة الأعراف، ح٤٤: ٢/١٨.

(١) بصائر الدرجات: الباب السابق: ٤٩٦، ح٦. وما يقرب منه في تفسير الفرات: ١٤٢، سورة الأعراف/ ٤٦، ح١٧٤.
وجاء ما يقرب منه عن الباقر عليه السلام أيضاً: العياشي: ٢/ ١٩، ح٤٨.

(٢) بصائر الدرجات: الصفحة السابقة، ح٥. عنه البحار: ٨/ ٣٣٥، ح٣.

(٣) قال النجاشي (١١٢، الرقم ٢٨٧): «بُرَيد بن معاوية العجلي، عربي، روى عن أبي عبد الله وأبي جعفر عليه السلام، ومات في حياة أبي عبد الله عليه السلام، وجه من وجوه أصحابنا، وفقيه أيضاً، له محلّ عند الأئمة».

قال: «صراطٌ بين الجنَّة والنار، فمن شفع له الأئمَّة منَّا من المؤمنين المذنبين نجا، ومن لم يشفعوا له هوى».

وفي رواية أُخرى عنه عليه السلام[1] قال: «نحن أُولئك الرجال، الأئمَّةُ منَّا يعرفون من يدخل النار ومن يدخل الجنَّة، كما يعرفون في قبائلكم الرجل منكم يعرف مَن فيها مِن صالح أو طالح».

روى في الكافي[2] بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام ـ قال:ـ استقبل رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم حارثةَ بن مالك بن النعمان الأنصاري[3]، فقال له: «كيف أنت ـ يا حارثة بن مالك»؟ فقال: «يا رسول الله ـ مؤمن حقّاً».

فقال له النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: «لكلِّ شيء حقيقة، فما حقيقة قولك»؟

قال: «عزفت[4] نفسي عن الدنيا، فأسهرت ليلي، وأظمأت هواجري، فكأنِّي أنظر إلى عرش ربِّي ـ وقد وُضع للحساب ـ وكأنِّي أنظر إلى أهل الجنَّة يتزاورون في الجنّة، وكأنِّي أسمع عواءَ أهل النار في النار». فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «عبدٌ نوَّر الله قلبَه، أبصرتَ فاثبت».

فقال[5] صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه كان قاعداً مع أصحابه في المسجد، فسمعوا هدَّة عظيمةً

---

(١) بصائر الدرجات: ٤٩٥، ح١.
وجاء ما يقرب منه في العياشي: ٢/ ١٨، ح٤٣. عنه البحار: ٨/ ٣٣٦، ح٨.

(٢) الكافي: كتاب الإيمان والكفر، باب حقيقة الإيمان واليقين، ٢/ ٥٤، ح٣. راجع أيضاً: معاني الأخبار، باب معنى الإسلام والإيمان: ١٨٧ ح٥.
كنز العمال: ١٣/ ٣٥١ ـ ٣٥٣، ح٣٦٩٨٨ ـ ٣٦٩٩١.

(٣) الرواية مروية عن طرق الفريقين كما أشرت إليه، ففي بعض المصادر «حارث بن مالك» وفي بعضها «حارثة» وفي معاني الأخبار «حارث بن النعمان الأنصاري» وأورد ابن حجر ما جاء فيه عن طرق العامة في الإصابة (الترجمة (١٤٧٨): ١/ ٢٨٩). هذا ـ وإن يمكن توفيقها بالتكلف غير أنه لا يمكن القول فيه جزماً.

(٤) عزفت نفسُه عن الشيء: زهدت فيه وملّته.

(٥) ورد صدر الحديث مع اختلاف يسير في اللفظ في مسلم: كتاب الجنة، باب (١٢) في شدة=

فارتاعوا، فقال ﷺ: «أتعرفون ما هذه الهدَّة»؟

قالوا: «الله ورسوله أعلم».

قال: «حجرٌ أُلقي من أعلى جهنَّم منذ سبعين سنة، الآن وصل إلى قعرها، فكان وصوله إلى قعرها وسقوطه فيها هذه الهدَّة».

فما فرغ من كلامه ﷺ إلاّ والصراخ في دار منافق من المنافقين قد مات، وكان عمره سبعين سنة، فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر»، فعلمت علماء الصحابة أنَّ هذا الحجر هو ذاك، وأنَّه منذ خلقه الله يهوي في جهنَّم، وبلغ عمره سبعين سنة، فلمَّا مات حصل في قعرها.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

فكان سماعُهم تلك الهدَّة التي أسمعهم الله ليعتبروا، فإنَّ المراد بجهنَّم المشار إليها هي الدنيا ومتاعُها، وبالحجر هو ذلك المنافق استعارةً.

ووجه المشابهة أنَّ ذلك المنافق لم ينتفع بوجوده مدَّة حياته، ولم يكسب نفسه خيراً، فأشبه الحجر في ذلك. وإرسال الله له: هو إفاضته له ما استعدَّ له من اتِّباع هواه فيها والانهماك في شهواتها والتيه عن سبيله، المشار إليه بقوله: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ [الرعد: ٢٧]. وشفيرها: هو أولها بالنسبة إليه، وذلك حين استعداده للانهماك فيها، وأوّل الأمور القائدة له في طريق الضلال من متاعها ولذَّاتها. و«هُويِّه فيها سبعين خريفاً» هو انهماكه فيها مدَّة عمره. وبلوغه قعرها هو وصوله بموته إلى غاية العذاب بسبب ما اكتسب فيها من ملكات السوء.

* * *

= حرّ نار جهنم، ٤/ ٢١٨٤ ـ ٢١٨٥، ح٣١. المسند: ٢/ ٣٧١.
وأما ذيل الحديث (فما فرغ من كلامه...) فلم أعثر عليه. وقد أورده ابن عربي في الفتوحات: الباب الحادي والستون، ١/ ٢٩٨. وحكاه المصنّف ـ قده ـ عنه في عين اليقين: ٢٩٥.

روي عن النبيّ ﷺ أنّه سُئل عن قوله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ [المدثر: ١٧]؟ فقال[١]: «إنّه جبل من نار يصعد[٢] فيه سبعين خريفاً، ثمَّ يهوي فيه كذلك أبداً».

وقال ـ أيضاً ـ[٣]: «يكلَّف أن يصعد عقبة في النار، كلّما وضع يده ذابت، فإذا رجعها عادت، وإذا وضع رِجله ذابت فإذا رفعها عادت، ويهوي فيه إلى أسفل سافلين».

وقال بعض أهل المعرفة: «إنَّ ذلك الصعود هو سقر الطبيعة من أعلى طبقتها إلى أسفلها» ـ يعني أنّها مثاله ومظهره في الدنيا ـ.

وقال عارف آخر[٤]:

«وللنار أمثلة جزئيّة هي طبيعة كلّ أحد وهواه في أولاه وأخراه، ولها أبواب ومشاعر ـ وهي سبعة ـ وهي عين أبواب الجنّة، فإنّها على شكل الباب الذي إذا فتح إلى موضع انسدّ به موضع آخر، فعين غلقه لمنزل، عين فتحه لمنزل آخر.

وهذه الأبواب مفتوحة على الفريقين ـ أهل النار والجنّة ـ إلاّ باب القلب، فإنّه مطبوعٌ على أهل النار أبداً: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، لأن صراط الله أدقُّ من الشَعر، فيحتاج من

---

(١) المسند: ٣/ ٧٥. الترمذي: كتاب صفة جهنم، باب٢، ٤/ ٧٠٣، ح٢٥٧٦. وكتاب التفسير، باب (٤٨) سورة المدثر، ٥/ ٤٢٩، ح٣٣٢٦. مستدرك الحاكم: كتاب التفسير، سورة المدثر، ٢/ ٥٠٧، وكتاب الأهوال: ٤/ ٥٩٦. مصابيح السنة: كتاب أحوال القيامة، باب صفة النار وأهلها، ٤/ ٩، ح٤٠٤٥. كنز العمال: ٢/ ١٢، ح٢٩٣٥. تفسير الطبري: سورة المدثر، ٢٩/ ٩٧.

(٢) كذا في الطبري، ولكن في غيره من المصادر المذكورة: يتصعد.

(٣) أورده الطبري (التفسير: سورة المدثر، ٢٩/ ٩٧) إلى قوله: «فإذا رفعها عادت».

(٤) ابن عربي في الفتوحات كما صرح به المؤلف ـ قده ـ في عين اليقين: ٢٩٧.

يسلكه إلى كمال التلطيف والتدقيق، وأنّى يتيسَّر للحمقاء الجاهلين ـ خصوصا مع الاغترار والاستبداد برأيهم من غير تسليم وانقياد.

فأبواب الجحيم سبعةٌ، وأبواب الجنَّة ثمانية، وهذا الباب الذي لا يفتح لهم، ولا يدخل عليه أحد منهم وهو في السور، فـ ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣]، وهي النار التي ﴿تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ [الهمزة: ٧]، وللنار على الأفئدة اطلاع لا دخول ـ لغلق ذلك الباب ـ فهو كالجنَّة حفَّت بالمكاره.

والسور حجابٌ مضروبٌ بين الفريقين يسمَّى الأعراف، بين الجنَّة والنار، وهو مقام من اعتدلت كفَّتا ميزانه، فهم ينظرون بعينٍ إلى النار وبعين أخرى إلى الجنّة، وما لهم رجحان بما يُدخلهم الله إحدى الدارين، فإذا دُعوا إلى السجود ـ وهو الذي يبقى في القيامة من التكليف ـ فيسجدون، فيرجح ميزان حسناتهم فيدخلون الجنَّة، ولو جاءت ذرَّة لإحدى الكفَّتين لرجحت بها، فيطمعون في كرم الله وعدله. وإنّه لا بدَّ لكلمة: «لا إله إلا الله»، من عناية بصاحبها، يقول الله ـ تعالى ـ فيهم: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٦ ـ ٤٧]» ـ انتهى كلامه.

وبصدِّق قولَه في أهل الأعراف ما روي عن مولانا الباقر عليه السلام فيهم[١] «إنهم قومٌ استوت حسناتهم وسيّئاتُهم، فقصرت بهم الأعمال، وإنَّهم لكما قال الله».

أقول: لا منافاة بين هذا الكلام وبين ما مرَّ أنَّ أهل الأعراف هم الأئمَّة الهداة عليهم السلام، لأنّ هؤلاء القوم يكونون مع الرجال الذين على الأعراف، وكلاهما أصحاب الأعراف.

---

(١) وجاء ما يقرب منه عن الصادق عليه السلام رواه العياشي: ٢/ ١٨، ح٤٦ من سورة الأعراف. عنه البحار: ٨/ ٣٣٧، ح١٠.

يدلّ على هذا ما رواه الشيخ الطبرسي عن مولانا الصادق عليه السلام[1] ـ قال: ـ «الأعراف كُثبانٌ بين الجنّة والنار، يوقف عليها كلّ نبيّ وكلّ خليفة نبيّ، مع المذنبين من أهل زمانه ـ كما يقف صاحب الجيش مع الضعفاء من جنده ـ وقد سبق المحسنون إلى الجنّة.

فيقول ذلك الخليفة للمذنبين الواقفين معه: أُنظروا إلى إخوانكم المحسنين قد سبقوا إلى الجنّة فيسلم عليهم المذنبون، وذلك قوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ﴾ [الأعراف: ٤٦] أن يُدخلهم الله إيّاها بشفاعة النبيّ والإمام، وينظر هؤلاء إلى النار، فيقولون: ﴿رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٧].

وينادي أصحاب الأعراف ـ وهم الأنبياء والخلفاء ـ رجالاً من أهل النار ورؤساء الكفار، يقولون لهم مقرعين: ما أغنى عنكم جمعكم واستكباركم، ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ﴾ [الأعراف: ٤٩] إشارة لهم إلى أهل الجنّة الذين كان الرؤساء يستضعفونهم ويحتقرونهم لفقرهم، ويستطيلون عليهم بدنياهم، ويقسمون أنّ الله لا يدخلهم الجنّة.

يقول أصحاب الأعراف لهؤلاء المستضعفين عن أمر الله لهم بذلك: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٤٩] أي لا خائفين ولا محزونين[2].

---

(١) مجمع البيان: ٤/ ٤٢٣.

(٢) جاء في المطبوعة القديمة بدلاً من هذا الفصل المطالب الآتية، ويعلم من التأمل في النسخة المخطوطة أن المؤلف كتبها، ثمّ أعرض عنها وكتب هذا الفصل بدلاً منها، وأسقط الورقة المكتوبة أولاً من الكتاب، وهي هذه:
لا منافات بين هذا الكلام وبين ما مرّ أنّ أهل الأعراف هم الأئمّة الهداة، لأنّ أحوال الكاملين ما داموا في هذه النشأة الدنياويّة تُشبه حالَ قوم في الآخرة استوت حسناتهم وسيّئاتهم، فإنّهم من جهة علمهم وعرفانهم ورقّة حجابهم البدني كادوا أن يكونوا في نعيم الجنّة، ومن جهة كثافة أجسادهم وبقاء حياتهم الدنيويّة منعوا من تمام الوصول وكمال =

. . . .

= الالتذاذ، فلهم حالةٌ متوسِّطة، ولكنَّهم بحسب جوهر ذاتهم ومرتبة نفوسهم العالية في مكان عالٍ مرتفع.

و«الأعراف» في اللغة جمع «عُرف»، بمعنى المكان العالي المرتفع، لأنَّه بسبب ارتفاعه يصير أعرف ممَّا انخفض منه، ومنه عُرف الفرس والديك.

ولهذا قال ابن عبَّاس (*): المراد منه أعلى ذلك السور المضروب بين الجنَّة والنار.

وقال ـ أيضاً ـ: «الأعراف شرف الصراط».

وقال الحسن والزجَّاج: «وعلى معرفة أهل الجنَّة وأهل النار رجالٌ يعرفون كلاًّ بسيماهم من أهل الجنَّة وأهل النار».

فقيل للحسن(**): «هم قوم استوت سيئاتهم وحسناتهم، فضرب على خدِّه (مجمع البيان: فخذه) ثمَّ قال: «هم قومٌ جعلهم الله على تعرف أهل الجنَّة وأهل النار يتميّزون البعض عن بعض ـ والله لا أدري لعلّ بعضهم معنا».

* * *

وكلُّ ما نُقل فيه عن المفسِّرين من الأقوال المختلفة يرجع إلى ما ذكر، مثل قولهم: «إنَّهم الأشراف وأهل الطاعة»، وقولهم: «إنَّهم الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أجلسهم الله على أعالي ذلك السور تمييزاً لهم عن سائر أهل المواقف [موقف ـ ظ] وليكونوا مطَّلعين على أهل الجنَّة وأهل النار ومقادير ثوابهم وعقابهم».

و«إنّهم الملائكة يعرفون أهل الدارين».

فإنَّ الكاملين إنَّما يكونون في درجة الملائكة، فلا يبعد إطلاق هذا اللفظ عليهم ـ ويؤيِّد ذلك أنَّ الله سبحانه قال: ﴿رجالٌ﴾ والرجال لا يكونون إلاّ من البشر ـ. ومثل قولهم: «إنَّهم الشهداء»، فإنّ المراد بهم الشهداء على الناس، كما قال الله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

أو أهل الشهود مع الله كما قال الله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الحديد: ١٩]، لا الشهيد في القتال، فإنَّه لا يلزم أن يكون عارفاً هذا العرفان.

وأمّا من قال: «إنَّهم أقوامٌ يكونون في الدرجة السافلة من أهل الثواب» فيمكن أن يكون المراد بالدرجة السافلة: الدنياويّة، فإنَّ الكاملين ما داموا في هذه الدنيا فهم بعد في الدرجة السافلة من حيث تعلُّقهم بالأبدان، وإن كانوا في الأمكنة العالية الرفيعة بحسب مقاماتهم، ومرتبتهم مطلعهم على الكلّ، شاهدين على كلّ أحد من الفريقين.

(*) قال السيوطي (الدر المنثور، سورة الأعراف، الآية ٤٦: ٣/ ٤٦٠): «وأخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والبيهقي في البعث والنشور عن ابن عبّاس، قال: الأعراف هو =

قال بعض المفسِّرين[1]: إنّ بين الجنَّة والنار كوى، فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدوٍّ له في الدنيا اطّلع من تلك الكوى، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٥٥]، فإذا اطّلعوا من الجنَّة إلى أعدائهم ـ وهم يعذَّبونَ في النار ـ ضحكوا، فذلك قوله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ [المطففين: ٣٤].

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم ـ رحمه الله ـ[2]: سُئل العالِم عليه السلام عن مؤمني الجِنّ: «أيدخلون الجنَّة»؟ فقال: «لا، ولكن لله حظائر بين الجنَّة والنار، يكون فيها مؤمنوا الجنّ وفسَّاق الشيعة».

وقال المفيد ـ رحمه الله[3] ـ: «قد جاء الحديث بأنّ الله ـ تعالى ـ يسكّن الأعرافَ طائفة من الخلق، لم يستحقّوا بأعمالهم الجنَّة على الثبات من غير عقاب، ولا استحقُّوا الخلودَ في النار، وهم المرجون لأمر الله، ولهم الشفاعة، ولا يزالون على الأعراف حتَّى يؤذن لهم في دخول الجنَّة بشفاعة النبيِّ وأمير المؤمنين والأئمَّة عليهم السلام.

وقيل ـ أيضاً ـ: إنَّه مسكن طوائف لم يكونوا في الأرض مكلَّفين فيستحقُّون بأعمالهم جنّة وناراً، فيسكّنهم الله ذلك المكان ويعوِّضهم على الآلام في الدنيا بنعيم يبلغون به منازل أهل الثواب المستحقِّين له بالأعمال».

= الشيء المشرف» وفيه (٣/ ٤٦١): «وأخرج ابن جرير عن ابن عباس: الأعراف سورٌ بين الجنة والنار».

(**) مجمع البيان: ٤/ ٤٢٣.

(١) في الدر المنثور (الصافّات/ ٥٥، ٧/ ٩٤): «وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة ـ رض ـ قال: ذُكر لنا أنّ كعب الأحبار قال: في الجنة كوى، فإذا أراد أحد من أهلها أن ينظر إلى عدوه في النار اطلع فازداد شكراً». وفي مجمع البيان (تفسير الآية المذكورة: ٨/ ٤٤٤) ما يقرب منه منسوباً إلى الكلبي.

(٢) تفسير القمي: ٢/ ٣٠٦، سورة الأحقاف/ ٣١.
عنه البحار: ٨/ ٣٣٥، ح١. ٦٣/ ٨١، و٩٥ و٢٩١، ح٣٦ وح٥١.

(٣) شرح عقائد الصدوق: ١٩٦.

وفي اعتقادات الصدوق[1]: «ما من أحد يدخل الجنَّة حتَّى يعرض عليه مكانه من النار ـ فيقال: هذا مكانك الذي لو عصيت الله لكنتُ فيه ـ وما من أحد يدخل النار حتّى يُعرض عليه مكانه من الجنّة ـ فيقال: «هذا مكانك الذي لو أطعتَ الله لكنتَ فيه». فيورث هؤلاء مكان هؤلاء ـ وذلك قول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ * ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠ ـ ١١].

* * *

روى الصدوق ـ طاب ثراه ـ[2] عن عبد السلام بن صالح الهروي أنَّه قال: قلت لعليّ بن موسى الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يا بن رسول الله ـ أخبرني عن الجنَّة والنار: أهما اليومَ مخلوقتان»؟

فقال: «نعم. وإنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ دخل الجنَّة ورأى النارَ لمَّا عرج به إلى السماء».

ـ قال: ـ فقلت له: «إنَّ أقواماً يقولون: إنّهما اليوم مقدّرتان غير مخلوقتين»؟

فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ما أولئك منَّا ولا نحن منهم، من أنكر خلقَ الجنَّة والنار فقد كذَّب النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وكذَّبنا، وليس من ولايتنا على شيء، وخُلِّد في نار جهنَّم، قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ * يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴾ [الرحمن: ٤٣ ـ ٤٤]».

وقال النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «لمّا عرج بي إلى السماء أخذ بيدي جبرئيل فأدخلني الجنَّة، فناولني من رُطبها، فأكلتها، فتحوَّلت ذلك نطفةً في صُلبي، فلمَّا هبطتُ

---

(١) الاعتقادات: باب الاعتقاد في الجنة والنار. عنه البحار: ٨/ ٢٠١.

(٢) التوحيد: باب ما جاء في الرؤية، ١١٨، ح٢١. عيون أخبار الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ: باب ما جاء عن الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ من الأخبار في التوحيد، ١/ ١١٦، ح٣. أمالي الصدوق: المجلس السبعون، ح٧، ٥٤٦. عنها البحار: ٨/ ١١٩، ح٦. و٨/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤، ح٨.

إلى الأرض واقَعتُ خديجةَ، فحملتْ بفاطمة حوراء إنسيّة[1]، فلمَّا اشتقت إلى رائحة الجنَّة شممت ابنتي فاطمة».

وعن النبيّ ﷺ: «الجنَّة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك».

أنَّ الدارين[2] إنَّما تنشآن بنفوس أهلها، وتعمران بأخلاقهم وأعمالهم، وقد مضى ما يدلُّ على ذلك من الآيات والأخبار في مباحث البرزخ ـ وتمام التحقيق في ذلك يُطلب من كتاب: «عين اليقين» ـ.

* * *

---

(1) النسخة: الإنسية. والصحيح ما أثبتناه.

(2) كتب المصنف هنا فصلاً كاملاً ثم شطب عليه ـ غير مقطع منه، وهو ما يلي:
قال في الفتوحات المكّية في معرفة جهنَّم (الباب الحادي والستون: ١/ ٢٩٧):
«اعلم ـ عصمنا الله وإيَّاك ـ أنَّ جهنَّم من أعظم المخلوقات، وهي سجن الله في الآخرة، وسمِّيت «جهنَّم» لبُعد قعرها ـ يقال: «بئر جهنام» إذا كانت بعيدة القعر ـ. وهي تحوي على حَرور وزَمهرير، ففيها البَرد على أقصى درجاته، والحَرور على أقصى درجاته، وبين أعلاها وقعرها خمس وسبعون إلى مئة من السنين. فاختلف الناس فيها: «هل خُلقت بعد، أو لم يخلق» ـ والخلاف مشهورٌ فيها ـ وكذلك اختلفوا في الجنَّة، وأمَّا عندنا وعند أصحابنا ـ أهل الكشف والتعريف ـ فهما مخلوقتان غير مخلوقتين.
أمَّا قولنا: «مخلوقتان»، فكرجل يبني داراً، فأقام حيطانها كلَّها الحاوية عليها خاصَّة، فقال: «هي دار»، فإذا دخلتَها لم ترَ إلاّ سوراً دائراً على فضاء وساحة، ثمَّ بعد ذلك ينشىء بيوتها على أغراض الساكنين فيها، من بيوت وغرف وسرادق ومهالك ومخازن، وما ينبغي أن يكون فيها، وفي دار حرورها هواء محرق لا جمر لها سوى بني آدم والأحجار المتَّخَذة آلهة، والجنُّ لهبها.
قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤]، وقال: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، وقال: ﴿فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ * وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ [الشعراء: ٩٤ ـ ٩٥]».
وتحدث فيها الآلات بحدوث أعمال الجنّ والإنس الذين يدخلونها».
أقول: محصَّل كلامه أنّ الدارين إنّما تنشآن. . .

منزلة الآخرة من الدنيا

ولمَّا كانت الآخرة داخل حجب السماوات والأرض، فما لم ينهدم بناء الظاهر لم ينكشف أحوال الباطن لأنَّ الغيب والشهادة لا يجتمعان.

ولهذا ورد في الحديث[1]: «لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض مَن يقول: الله الله».

ومنزلتها من هذا العالم، منزلة هذا العالم من الرحم، فلا تقوم إلاّ إذا ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١].

﴿وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٦].

وانتثرت الكواكب[2]،

وكُوّرت الشَمس[3]،

﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٨]،

﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ﴾ [النبأ: ٢٠]،

---

(١) في مسلم: كتاب الإيمان، باب (٦٦) ذهاب الإيمان، ح٢٣٤، ١/ ١٣١ ومستدرك الحاكم (كتاب الفتن والملاحم: ٤/ ٤٩٢): «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله». وفي حديث آخر فيه: «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض لا إله إلا الله». وفي مسلم (الباب المذكور): «لا تقوم الساعة على أحد يقول الله الله». وجاء بألفاظ أخر أيضاً، راجع المسند: ٣/ ١٦٢. حلية الأولياء: ٣/ ٣٠٥. كنز العمال: ١٤/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤، ح٣٨٥٧٢ ـ ٣٨٥٧٦. المستدرك: ٤/ ٤٩٥.

(٢) ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢].

(٣) ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١].

وعُطلت العشار[1]،

و﴿ بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ [العاديات: ٩ ـ ١٠].

﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ * قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ * إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ﴾ [يس: ٥١ ـ ٥٣].

إذ عدمت عند ذلك الآجال، وزالت السنون والساعات، ولا يبقى إلا الله الواحد القهّار، بلا وقت ولا زمان، ولا حيِّز ولا مكان، فلا قبل يومئذٍ ولا بَعد، ولا هنا ولا هنالك، ولا ستر ولا حجاب.

وتبدَّل الأرض غير الأرض[2]، فتمدّ مدّ الأديم، وتبسط فلا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً[3]، يجمع فيها الخلائق كلّها من أوّل الدنيا إلى آخرها.

* * *

طي الزمان والمكان في القيامة

قال بعض المحقِّقين[4]:

«أنّ أهل الحجاب والارتياب ذاهلون عن كون الأزمنة والحركات منطويةً يوم القيامة، منشورةً هيهنا، ولا يمكن لهم أن يعرفوا بهما جميعاً، والعجب أنَّهم كما لم يؤمنوا هيهنا بطيِّ السماوات وما فيها يوم القيامة ـ لاشتغال قلوبهم بأحوال الدنيا ـ فكذلك إذا بُعثوا إلى الآخرة أنكروا زمانَ مكثهم في الدنيا ونشر

(١) ﴿ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ﴾ [التكوير: ٤].

(٢) ﴿ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [إبراهيم: ٤٨]. ﴿ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ﴾ [الانشقاق: ٣].

(٣) ﴿ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ أَمۡتٗا ﴾ [طه: ١٠٧].

(٤) راجع عين اليقين: ٢٩٩.

الحركات ـ إذ تشغلهم أهوالُ القيامة عن ذلك. «كما قال ـ جلَّ ذكره ـ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ * وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٥ ـ ٥٦].

ـ ثمَّ قال ـ[1]:

«أنّ نسبة البعث إلى الله ـ تعالى ـ كنسبة الخلق: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨] ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩].

فكما أنّ الله من جهة الخلق أوجد جميع الخلائق ـ على كثرتها واختلاف أزمنتها وأمكنتها ـ بإيجاد واحدٍ إفاضة واحدة ـ وحدةً غير زمانيّة ـ وهي في أنفسها وبقياس بعضها إلى بعضٍ أمور متكثّرة متجدِّدة مختصَّة بأزمنتها وأوقاتها، وله ـ تعالى ـ أيضاً شأن واحد في شؤون كثيرة إذ ـ ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]، ولا يشغله شأنٌ عن شأنٍ ـ فكذلك من جهة البعث، يبعث الخلق كلَّها في ساعة واحدة على صعيد واحد، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ * فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٤].

فهذه الساعة ﴿كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧] من جهته، ومن جهة المخلوقات واختلاف قوابلها واستعداداتها [كان] ﴿مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]، وعليها يقاس حكم الحركات والأمكنة، فإنَّ لها هاتين الجهتين.

قال ـ تعالى انظرا إلى الزمان من جهة القرب والوحدة: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]، ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ [الحج: ٧] ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً﴾ [يونس: ٤٥].

---

(١) تفسير سورة الزلزال لصدر المتألهين: ٤١٣.

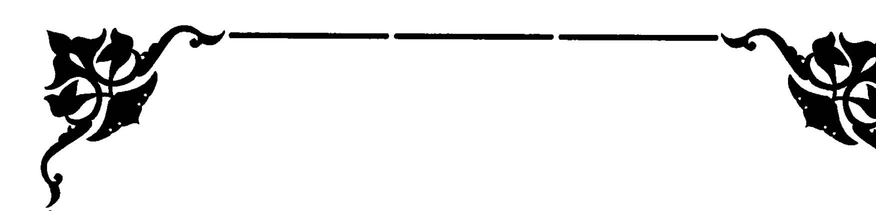
ومن جهة البُعد بالقياس إلى أهل الحجاب والظلمة: ﴿ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٦] ﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ [فصلت: ٥٠] ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٨ ـ ٤٩] ﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا﴾ [الجن: ٢٥].

وقال ـ عزَّ وجلَّ ـ نظرا إلى المكان من جهة القرب: ﴿ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [٣٤/ ٥١] ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩] ﴿ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٦] ﴿ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [٧٨/ ٤٠].

ومن جهة البُعد: ﴿ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [سبأ: ٥٢] ﴿ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [سبأ: ٥٣].

وقال نظرا إلى الوجهين: ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۞ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج: ٦ ـ ٧]، فالأول: بالقياس إلى المحبوسين في سجن المكان، المقيَّدين بقيد الزمان، والثاني بالقياس إلى المتخلصين عن رقّ الحدثان، الناظرين إلى حقائق الأشياء بعين العيان».

أقول: فأهل اليقين لا يمارون في الآخرة وقُربها، ويعلمون أنّها الحقُّ فيستعدّون للقائها ويرونها كأنّها واقعةٌ بهم أو قريبةٌ منهم، كما قال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ۞ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ [الشورى: ١٧ ـ ١٨].



الباب الرابع عشر

صفة الجنة وأهلها

﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾

[محمد: ١٥]

صفة الجنة وأهلها

إنَّ الكتاب المجيد والسنَّة المُطهَّرة قد أتيا بتفاصيل ما في الجنَّة والنار بصفاتها وأمثلتها على أبلغ وجه وأحسن بيان بما لا مزيد عليه.

وناهيك بما في سورتي «الواقعة» و«الرحمان» في بيان الجنان، وبما في بعض السُور القصار في صفة النار ـ فضلاً عمَّا في سائر السُور من الآيات، وما يشتمل عليه الروايات.

وهي من طرقنا وطرق العامَّة كثيرةٌ جدَّاً، ولنذكر عدَّة ممَّا يحتوي على أكثر مقاصدها:

فقد روى شيخنا الصدوق[1] ـ رحمه الله ـ بإسناده عن النبيّ ﷺ ـ قال: ـ «إنَّ الجنَّة[2] لبِنةٌ من ذهب ولبِنة من فضّة ولبِنةٌ من ياقوت، وملاطها المسك الأذفر، وشرفها الياقوت الأخضر والأصفر[3]...

وأبوابها مختلفة: باب الرحمة من ياقوتة حمراء[4]...، وأمَّا الصبر فبابٌ صغير [له][5] مصراع واحد من ياقوتة حمراء لا حلق له.

---

(١) أمالي الصدوق: المجلس ٣٨، ٢٨١، ح١ تلخيصاً واقتباساً. عنه البحار: ٨/ ١١٦، ح١.

(٢) المصدر: سور الجنة.

(٣) المصدر: الياقوت الأحمر والأخضر والأصفر.

(٤) أسقط المؤلف بعض فقرات الحديث تلخيصاً، ولعل ذلك صار سبب عدم ملائمة السياق.

(٥) إضافة من المصدر.

وأمَّا باب الشكر، فإنَّه من ياقوتة بيضاء لها مصراعان، مسيرة ما بينهما خمسمئة عام، له ضجيج وحنين، يقول: «اللهم جئني بأهلي» ـ. . . يُنطقه ذو الجلال والإكرام ـ.

وأمَّا باب البلاء. . . من ياقوتة صفراء [له] مصراع واحد ـ ما أقلَّ من يدخل فيه[1]. . .

فأمَّا الباب الأعظم، فيدخل منه العباد الصالحون ـ وهم أهل الزهد والورع، الراغبون إلى الله عزَّ وجلَّ، المستأنسون به ـ فإذا دخلوا الجنَّة يسيرون على نهرين في ماء صاف[2] في سفن الياقوت، مجاديفها[3] اللؤلؤ، فيها ملائكة من نور عليهم ثياب خضر شديد الخضرة. . . يسيرون على حافتي ذلك النهر. . . واسم ذلك النهر جنَّة المأوى. . .

وجنَّة عدن هي وسط الجنان. . . وسورها ياقوت أحمر، وحصباها اللؤلؤ. . .».

وبإسناده[4] عن أمير المؤمنين عليه السلام ـ قال: ـ «إنَّ للجنَّة ثمانية أبواب:

بابٌ يدخل منه النبيُّون والصدِّيقون، وبابٌ يدخل منه الشهداء والصالحون، وخمسة أبواب يدخل منها شيعتنا ومحبُّونا. فلا أزال واقفاً على الصراط أدعو وأقول: «ربِّ سلِّم شيعتي ومحبّي وأنصاري ومن تولاّني في دار الدنيا». فإذا النداء من بطنان العرش: «قد أجيبت دعوتك وشُفِّعتَ في شيعتك». ويشفع كلّ رجل من شيعتي ومن تولاّني ونصَرني وحارَبَ من حارَبَني ـ بفعل أو قول ـ في سبعين ألفاً من جيرانه وأقربائه.

---

(١) المصدر: منه.

(٢) المصدر: في مصاف.

(٣) كتب على الهامش: «المجداف ـ بالجيم والدال المهملة ـ: الجناح». وفي المصدر: مجاذيفها ـ بالذال. وهو ما يجذف ـ أي يدفع ـ به السفينة.

(٤) الخصال: باب الثمانية: ٢/ ٤٠٧، ح٦. عنه البحار: ٨/ ٣٩، ح١٩. ٨/ ١٢١، ح١٢.

وبابٌ يدخل منه سائر المسلمين، ممَّن يشهد أن لا إله إلا الله، ولم يكن في قلبه مثقال ذرَّة من بغضنا أهل البيت».

وعن مولانا الباقر عليه السلام[1]: «أحسِنوا الظنَّ بالله واعلموا أنَّ للجنَّة ثمانية أبواب، عرض كلِّ باب منها مسيرة أربعمئة سنة[2]».

الجنة والمتقين

وروى ثقة الإسلام محمَّد بن يعقوب ـ رحمه الله ـ في الكافي[3] بإسناده عن مولانا الباقر عليه السلام ـ قال: ـ إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله سُئل عن قول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥] فقال:

«يا علي ـ إنَّ الوفد لا يكونون إلاّ ركباناً، أُولَئكَ رجالٌ اتَّقوا الله فأحبَّهم الله ـ تعالى ـ واختصَّهم ورضيَ أعمالهم، فسمَّاهم: المتَّقين».

ثمَّ قال له: «يا علي ـ أما والذي فلقَ الحبَّةَ وبرَء النسمةَ، إنَّهم ليخرجون من قبورهم، وإنَّ الملائكة لتستقبلهم بنُوقٍ من نوق العزِّ، عليها رحال الذهب مكلّلة بالدرّ والياقوت، وجلائلها الاستبرق والسندس، وخَطمها جُدُل[4] الأرجوان، تطير بهم إلى المحشر، مع كل رجل منهم ألف ملك من قدّامه وعن يمينه وعن شماله، يزفُّونه زفّاً، حتَّى ينتهوا بهم إلى باب الجنَّة الأعظم.

---

(١) الخصال: باب الثمانية: ٤٠٨، ح٧. عنه البحار: ٨/ ١٣١، ح٣٢.

(٢) في الخصال: أربعين سنة.

(٣) الكافي: حديث الجنان والنوق، ٨/ ٩٥ ـ ١٠٠، ح٦٩. عنه البحار: ٨/ ١٥٧ ـ ١٦١، ح٩٨. وورد صدر الحديث في تفسير القمي: ٢/ ٥٢ ـ ٥٣. عنه البحار: ٧/ ١٧٢ ـ ١٧٣، ح٢.

(٤) الخطام: حبل يجعل في عنق البعير ويثنى في خطمه، أي مقدم أنفه.
جُدُل ـ جمع جديل ـ: الحبل المفتول. وفي المصدر: جذل ـ بالذال ـ وهو المقطوع.
الأرجوان: معرّب أرغوان.

وعلى باب الجنَّة شجرة، إنَّ الورقة منها يستظلُّ تحتها ألف رجل من الناس، وعن يمين الشجرة عين مطهّرة مزكيّة فيسقون منا شربة، فيطهِّر الله بها قلوبَهم من الحسد، ويسقط من أبشارهم الشَعر، وذلك قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١] من تلك العين المطهَّرة».

ـ قال: ـ «ثمَّ ينصرفون إلى عين أخرى عن يسار الشجرة، فيغتسلون فيها وهي «عين الحياة» فلا يموتون أبداً».

ـ قال: ـ «ثمَّ يوقف بهم قدَّام العرش وقد سلموا من الآفات والأسقام والحرِّ والبَرد أبداً».

ـ قال: ـ «فيقول الجبَّار ـ جلَّ ذكره ـ للملائكة الذين معهم: «احشروا أوليائي إلى الجنَّة ولا توقفوهم مع الخلائق، فقد سبق رضائي عنهم ووجبت رحمتي لهم، وكيف أُريد أن أوقفهم مع أصحاب الحسنات والسيِّئات».

ـ قال:ـ «فتسوقهم الملائكة إلى الجنَّة، فإذا انتهوا بهم إلى باب الجنَّة الأعظم ضرب الملائكةُ الحلقةَ ضربة تصرُّ صريراً يبلغ صوت صريرها كلَّ حوراء أعدّها الله ـ تعالى ـ لأوليائه في الجنان، فيتباشرون بهم إذا سمعوا صريرَ الحلقة، فيقول بعضهم لبعض: «قد جاءنا أولياء الله». فيفتح لهم الباب، فيدخلون الجنَّة، وتشرف عليهم أزواجهم من الحور العين والآدميّين، فيقلن: «مرحباً بكم، فما كان أشدّ شوقنا إليكم»، ويقول لهنَّ أولياء الله مثل ذلك.

* * *

ـ فقال عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ :ـ «أخبرنا عن قول الله ـ تعالى ـ: ﴿غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾ [٣٩/ ٢٠]، بما ذا بنيت ـ يا رسول الله»؟

فقال: «يا عليّ ـ تلك غرف بناها الله ـ تعالى ـ لأوليائه بالدرِّ والياقوت والزبرجد، سقوفها محبوكة بالفضَّة، لكلِّ غرفة منها ألف باب من ذهب، على كلِّ باب منها ملك موكَّل به، فيها فُرش مرفوعة بعضها فوق بعض من الحرير

والديباج بألوان مختلفة، وحشوها المسك والكافور والعنبر، وذلك قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٤].

إذا دخل المؤمن إلى منازله في الجنَّة ووضع على رأسه تاج الملك والكرامة، ألبس حلل الذهب والفضَّة والياقوت والدرّ منظوم[1] في الإكليل تحت التاج».

ـ قال:ـ «وأُلبس سبعين حلَّة حرير بألوان مختلفة، منسوجة بالذهب والفضَّة واللؤلؤ والياقوت الأحمر، فذلك قوله تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣].

فإذا جلس المؤمنُ على سريره اهتزَّ سريرُه فرحاً، فإذا استقرَّ لوليّ الله منازله في الجنان استأذن عليه الملك الموكَّل بجنانه ليهنِّأه بكرامة الله تعالى إيّاه.

فيقول له خدَّام المؤمن ـ من الوصفاء والوصائف ـ: «مكانك، فإنَّ وليَّ الله قد اتَّكى على أريكته، وزوجتُه الحوراء [تهيّأ له]، فاصبر لوليّ الله».

ـ قال:ـ «فتخرج عليه زوجتُه الحوراء من خيمة لها، تمشي مقبلة وحولها وصائفها، وعليها سبعون حلَّة منسوجة بالياقوت واللؤلؤ والزبرجد، هي من مسك وعنبر، وعلى رأسها تاج الكرامة، وعليها نعلان من ذهب مكلَّلتان بالياقوت واللؤلؤ، شراكهما ياقوت أحمر، فإذا دنت من وليّ الله فهمَّ أن يقوم إليها شوقاً، فتقول له: «يا وليّ الله ـ ليس هذا يوم تَعب ولا نصَب، فلا تقم، أنا لكَ وأنتَ لي».

ـ قال:ـ «فيعتنقان مقدار خمسمئة عام من أعوام الدنيا ـ لا يملُّها ولا تملُّه».

---

(١) إضافة في المصدر.

ـ قال: ـ «فإذا فتَر ـ بعضَ الفتور من غير ملالة ـ نظر إلى عنقها، فإذا عليها قلائد من قصب من ياقوت أحمر، وسطها لوح صفحته درَّة مكتوب فيها: «أنت ـ يا وليّ الله ـ حبيبي، وأنا الحوراء حبيبتك، إليك تناهت نفسي وإليَّ تناهت نفسك».

ثمَّ يبعث الله إليه ألف ملك يهنّئونه بالجنَّة، ويزوِّجونه بالحوراء».

ـ قال: ـ «فينتهون إلى أوَّل باب من جنانه، فيقولون للملك الموكِّل بأبواب جنانه: «استأذن لنا على وليِّ الله، فإنَّ الله بعثَنا إليه نهنّئه».

فيقول لهم الملك: «حتَّى أقول للحاجب فيُعلمه بمكانكم».

ـ قال: ـ فيدخل الملك إلى الحاجب ـ وبينه وبين الحاجب ثلاث جنان، حتَّى ينتهي إلى أوّل باب ـ فيقول للحاجب: «إنَّ على باب العرصة ألف ملك، أرسلهم ربُّ العالمين ليهنّؤوا وليَّ الله، وقد سألوني أن آذن لهم عليه».

«فيقول الحاجب: «إنّه ليعظم عليَّ أن أستأذن لأحدٍ على وليِّ الله، وهو مع زوجته الحوراء».

ـ قال: ـ «وبين الحاجب وبين وليّ الله جنَّتان».

ـ قال: ـ «فيدخل الحاجب إلى القيِّم، فيقول له: «إنَّ على باب العرصة ألف ملك أرسلهم ربُّ العزَّة يهنّئون وليَّ الله، فاستأذن لهم».

فيتقدَّم القيِّم إلى الخدَّام، فيقول لهم: «إنَّ رسل الجبَّار على باب العرصة وهم ألف ملك، أرسلهم [ربُّ العزَّة][1] يهنّئون وليَّ الله، فاعلِموه بمكانهم».

ـ قال: ـ «فيُعلمونه، فيؤذن للملائكة، فيدخلون على وليّ الله ـ وهو في الغرفة، ولها ألف باب وعلى كلّ باب من أبوابها ملك موكّل به ـ فإذا أذن للملائكة بالدخول على وليّ الله فتح كلُّ ملك بابَه الموكِّل به».

---

(١) في النسخة: تهنىء له. (التصحيح من المصدر).

ـ قال: ـ «فيُدخل القيِّم كلَّ ملك من باب من أبواب الغرفة، فيبلِّغونه رسالةَ الجبَّار ـ جلَّ وعزَّ ـ وذلك قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ من أبواب الغرفة ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾ [الرعد: ٢٣ ـ ٢٤] ـ إلى آخر الآية ـ».

ـ قال: ـ «وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠]، يعني بذلك وليَّ الله وما هو فيه من الكرامة والنعيم والملك العظيم الكبير، إنّ الملائكة من رسل الله ـ تعالى ـ يستأذنون عليه، فلا يدخلون عليه إلاّ بإذنه ـ فذلك الملك العظيم الكبير ـ».

* * *

ـ قال: ـ «والأنهار تجري من تحت مساكنهم، وذلك قول الله ـ تعالى ـ: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الكهف: ٣١]، والثمار دانيةٌ منهم، وهو قوله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان: ١٤] من قربها منهم، يتناول المؤمن من النوع الذي يشتهيه من الثمار بفيه ـ وهو متّكىء ـ وأنَّ الأنواع من الفاكهة ليَقلن لوليِّ الله: «يا وليَّ الله ـ كُلني قبل أن تأكل هذا قبلي»».

ـ قال: ـ «وليس من مؤمن في الجنَّة إلاّ وله جنان كثيرة معروشات وغير معروشات، وأنهار من خمر، وأنهار من ماء، وأنهار من لبن، وأنهار من عسل، فإذا دعا وليُّ الله بغذائه أتي بما تشتهي نفسُه عند طلبه الغذاء من غير أن يسمِّي شهوتَه».

ـ قال: ـ «ثمَّ يتخلّى مع إخوانه، ويزور بعضُهم بعضاً، ويتنعَّمون في جنَّاتهم في ظلٍّ ممدود، في مثل ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وأطيب من ذلك، لكلّ مؤمن سبعون زوجةٌ حوراء، وأربع نسوة من الآدميين، والمؤمن

ساعة مع[1] الحوراء وساعة مع الآدميَّة، وساعة يخلو بنفسه على الأرائك متَّكأ ينظر بعضهم إلى بعض.

وإنَّ المؤمن ليغشاه شعاع نور ـ وهو على أريكته ـ ويقول لخدَّامه: «ما هذا الشعاع اللامع؟ لعلَّ الجبَّار لحظني».

فيقول له خدَّامه: «قدُّوس قدُّوس، جلَّ جلال الله ـ بل هذه حوراء من نسائك، ممَّن لم تدخل بها بعدُ، أشرفت عليك من خيمتها شوقاً إليك، وقد تعرَّضت لك وأحبّت لقاءك، فلمّا أن رأتك متَّكأ على سريرتك تبسَّمت نحوك شوقاً إليك، فالشعاع الذي رأيت والنور الذي غشيك هو من بياض ثَغرها وصفائه ونسائه ورقَّته».

ـ قال:ـ «فيقول وليُّ الله: «ائذنوا لها فتنزل إليَّ».

فيبتدر عليها ألف وصيف وألف وصيفة، يبشّرونها بذلك.

فتنزل إليه من خيمتها ـ وعليها سبعون حلَّةٌ منسوجة بالذهب والفضَّة، مكلَّلة بالدرِّ والياقوت والزبرجد، صبغهنَّ المسك والعنبر بألوان مختلفة، كاعبٌ مقطوعةٌ خميصةٌ كفلاءُ سوقاء، يُرى مخّ ساقها من وراء سبعين حلَّة، طولها سبعون ذراعاً، وعرض ما بين منكبيها عشرة أذرع.

فإذا دنت من وليّ الله، أقبلت الخدَّام بصحائف الذهب والفضَّة، فيها الدرُّ والياقوت والزبرجد، فينثرونه عليها.

ثمَّ يعانقها وتعانقه، لا يملُّ ولا تملُّ».

* * *

(١) النسخة: من (التصحيح من المصدر).

قال الراوي: ثمَّ قال أبو جعفر عليه السلام:

«أمّا الجنان المذكور في الكتاب، فإنّهنَّ: جنَّة عدن، وجنَّة الفردوس، وجنَّة نعيم، وجنَّة المأوى».

ـ قال: ـ «وإنَّ لله تعالى جناناً محفوفة بهذه الجنان، وإنَّ المؤمن ليكون له من الجنان ما أحبَّ واشتهى، يتنعَّم فيهنَّ كيف يشاء. وإذا أراد المؤمن شيئاً إنَّما دعواه به إذا أراد أن يقول: «سبحانك اللهم»، فإذا قالها تبادرت إليه الخدَّام بما اشتهى من غير أن يكون طلبه منهم، أو أمر به، وذلك قول الله ـ تعالى ـ: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ ـ يعني الخدَّام، قال: ـ ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠]، يعني بذلك عند ما يقضون من لذَّاتهم ـ من الجماع والطعام والشراب ـ يحمدون الله ـ تعالى ـ عند فراغهم.

وأمَّا قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات: ٤١] ـ قال: ـ يعلمه الخدّام، فيأتون به أولياء الله قبل أن يسألوهم إيَّاه.

وأمَّا قوله: ﴿فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾ [الصافات: ٤٢] ـ قال: ـ فإنَّهم لا يشتهون شيئاً في الجنَّة إلاّ أُكرموا به».

روى الصدوق ـ رحمه الله ـ[1] بإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام ـ أنَّه قال ـ: «طوبى شجرة في الجنَّة أصلها في دار رسول الله صلى الله عليه وآله، فليس من مؤمن إلاّ وفي داره غصن من أغصانها لا ينوي في قلبه شيئاً إلاّ أتاه ذلك الغصن به، ولو أنَّ راكباً مُجِدّاً سار في ظلِّها مئةَ عام لم يخرج منها، ولو أنَّ غراباً طار من أصلها ما بلغ أعلاها حتَّى يبياضَّ هرماً».

---

(١) أمالي الصدوق: المجلس التاسع والثلاثون، ح٧، ٢٩٠. الخصال: أبواب الإثني عشر، ح٥٦، ٢/ ٤٨٣. الكافي: كتاب الإيمان والكفر، باب المؤمن وعلاماته وصفاته، ح٣٠، ٢/ ٢٣٩. العياشي: الرعد/ ٢٩، ح٥٠، ٢/ ٢١٣. عنها البحار: ٨/ ١١٧ ح٢ و١٣١ ح٣٣. ٦٧/ ٢٨٩ ح١١. ٦٩/ ٣٦٤ ح١. ٧٠/ ٢٨٣ ح٢.

قال بعض المحقِّقين[1]:

«وتأويل ذلك من جهة العلم: أنَّ المعارف الإلهيَّة ـ سيَّما ما يتعلَّق بأحوال الآخرة وما لا تستقلّ بإدراكه العقول على طريقة الفكر البحثي ـ إنَّما يُقتبس من مشكاة نبوَّة خاتم الأنبياء ـ عليه وعليهم السلام ـ ونور ولايته المندمج في رسالته، المنتشر أضواؤه من ولاية أفضل أوصيائه عليّ عليه السلام في نفوس القابلين للهدى والإيمان، المستعدِّين للعلم والعرفان، فإنَّ آثار العلوم الإلهيَّة والمعارف الحقيقية إنَّما نشأت في قلوب عرفاء هذه الأمَّة المرحومة من بدر ولايته ونجم هدايته.

كما أفصح عنه قول النبيّ صلى الله عليه وآله[2]: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها».

ونسبة ذاته المقدَّسة بالنسبة إلى سائر الأولياء والعلماء بالولادة المعنويَّة كنسبة آدم أبي البشر إلى سائر الناس بالولادة الصوريَّة، ولذلك ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنَّه قال:

«يا عليُّ أنا وأنت أبوا هذه الأمَّة».

وروى العامَّة بإسنادهم عن كعب، قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن أشجار الجنَّة؟ فقال:

---

(١) الأسفار الأربعة: ٩/ ٣٧٩. راجع أيضاً مفاتيح الغيب: ٦٧٩.

(٢) المستدرك للحاكم: ٣/ ١٢٦. كنز العمال: ١١/ ٦١٤، ح٣٢٩٧٨. و١٣/ ١٤٨، ح٣٢٤٦٣. تاريخ جرجان: ٢٤. تاريخ بغداد: ٢/ ٣٧٧، ترجمة محمد بن عبد الصمد الدقاق. و٧/ ١٧٢، ترجمة جعفر بن محمد أبو محمد الفقيه. و١١/ ٤٨ و٤٩ و٥٠، ترجمة عبد السلام بن صالح أبو الصلت الهروي.
المناقب للخوارزمي، الفصل السابع: ٤٠.
فرائد السمطين: السمط الأول، الباب الثامن عشر: ١/ ٩٨.
راجع تخريجات الحديث في الغدير: ٦/ ٦١ ـ ٨١. وملحقات الإحقاق: ٥/ ٤٦٩ ـ ٥٠١.

«لا ييبس أغصانُها ولا يتساقط أوراقُها ولا يفنى أرطابُها، وإن أكبر أشجار الجنَّة طوبى، أصلها من درٍّ ووسطها من رحمة، وأغصانها من زبرجد، وأوراقها من سندس، وعليها سبعون ألف غصن، أقصى أغصانها ملتحق بساق العرش، وأدنى أغصانها في السماء الدنيا، ليس في الجنَّة غرفة ولا قبَّة ولا حجرة إلاّ وفيها غصن فيظلُّ عليه، وفيها من الثمار ما تشتهي الأنفس.

نظيرها في الدنيا الشمس ـ أصلها في السماء ويصل ضوؤها في كلٍّ درجة وإلى كلِّ مكان».

وبإسنادهم عن عليّ عليه السلام: «إنَّ أشجار الجنَّة تكون فضَّة، وأوراقها بعضها فضَّة، وبعضها ذهباً ـ إن كان أصل الشجرة من ذهب تكون أغصانها من فضَّة، وإن كان أصلها من فضَّة تكون أغصانها من ذهب ـ وأشجار الدنيا أصلها في الأرض وفرعها في السماء، لأنَّها دار التكليف، وليس كذلك أشجار الجنَّة، فإنَّ أصلها في الهواء وأغصانها في الأرض، كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٢٣] ـ أي ثمرها قريبة ـ. وتراب أرضها مسكٌ وعنبرٌ وكافورٌ، أنهارها ماء ولبن وعسل وخمر، وإذا هبَّت الريحُ يضرب الورق بعضه بعضاً، فيسمع منه صوتٌ ما سمع مثله في الحُسن».

وبإسنادهم عنه عليه السلام قال[1]: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنَّ في الجنَّة شجرة تخرج من أعلاها حلل، ومن أسفلها خيل ذوات أجنحة مسرَّجة ملجَّمة بالدرِّ والياقوت، لا تروث ولا تبول، فيركب عليها أولياء الله، فتطير بهم في

(١) أخرج الخطيب البغدادي ما يقرب منه في تاريخ بغداد: الترجمة ٢٥٦٠: ١٣٦/٥. راجع أيضاً اللآلىء المصنوعة، كتاب البعث: ٢/ ٤٥٤.
وورد أيضاً في أمالي الصدوق: المجلس الثامن والأربعون، ح١٤، ٣٦٦. عنها البحار: ١١٨/٨، ح٤.
الزهد للأهوازي، باب أحاديث الجنة والنار، ١٠١، ح٢٧٤.

الجنَّة، فيقول الذين أسفل منهم: «يا ربِّ وما بلغ [بـ] عبادك هؤلاء بهذه الكرامة»؟

فقال لهم: «إنَّكم كنتم تنامون وهم يصلُّون، وكانوا يصومون وأنتم تفطرون، وكانوا يجاهدون وكنتم تجبنون، وهم ينفقون أموالَهم وأنتم تبخلون».

وروى العامَّة بإسنادهم عن همام بن أبي علي[1]، قال: قلت لكعب الحبر: «ما تقول في هذه الشيعة ـ شيعة علي بن أبي طالب»؟

فقال: «يا همام ـ إنِّي أجدُ صفتَهم في كتاب الله المنزَل، إنَّهم حزب الله وأنصار دينه وشيعة وليِّه، وهم خاصَّة الله من عباده ونجباؤه من خلقه، اصطفاهم لدينه وخلقهم لجنّته، مسكنهم الجنّة: الفردوس الأعلى، في خيام الدرّ وغرف اللؤلؤ، وهم المقرَّبون الأبرار، يشربون من الرحيق المختوم، وتلك عين يقال لها: «تسنيم»، لا يشرب منها غيرهم، فإنَّ تسنيماً عين وهبها الله لفاطمة بنت محمَّد زوجة علي بن أبي طالب، يخرج من تحت قائمة العرش قبَّتها، على برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك، ثمَّ تسنم فيشرب منها شيعتها وأحبَّاؤها.

وإنَّ لقبَّتها الأربع قوائم من لؤلؤة بيضاء، تخرج من تحتها عينٌ تسيل في سبل أهل الجنَّة، يقال لها: «السلسبيل»، وقائمة من درَّة صفراء تخرج من تحتها عين يقال لها: «طهور»، وهي التي قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في كتابه: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١].

وقائمة من زمرّدة خضراء تخرج من تحتها عينان نضّاختان من خمر

---

(١) لم أعثر على ترجمته. وجاء الحديث في بشارة المصطفى: ٦٠. عنه البحار: ١٢٨/٦٨، ح٥٩. تأويل الآيات الظاهرة: المطففين/ ٢٧، ٧٧٨/٢ ـ ٧٧٩، ح١١، مع اختلاف يسير.

وعسل، فكلّ عين منها تسيل إلى أسفل الجنان إلاّ التسنيم، فإنّها تسنم إلى علّيين، فيشرب منها خاصّة أهل الجنّة ـ وهم شيعة عليّ وأحبّاؤه ـ تلك قول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في كتابه: ﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ * خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ * وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [المطففين: ٢٦ ـ ٢٧] فهنيئاً لهم ـ.

ـ ثمَّ قال كعب: ـ «والله لا يحبُّهم إلاّ مَن أخذ الله منه الميثاق».

وعن مولانا الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ (١) قال: «تسنيم أشرف شراب أهل الجنَّة، يشربه محمَّد وآل محمَّد صِرفا، ويُمزج لأصحاب اليمين وسائر أهل الجنَّة».

وفي الأخبار العاميَّة:

«إنَّ من وراء الصراط صحاري فيها أشجار طيِّبة، تحت كلّ شجرة عينان ماؤهما انفجرت من الجنَّة، إحداهما عن اليمين والأخرى عن الشمال، والمؤمنون يجوزون من الصراط وقد قاموا من القبور وقاموا في الحساب، ووقفوا في الشمس، وجاءوا يشربون من إحدى العينين، فإذا بلغ الماء صدورَهم كلّ ما كان من غلّ وخيانة وحسد يزول عنها، فإذا بلغ الماء بطونهم كل ما كان فيها من قذر ودم وبول يزول عنها، فيطهّر ظاهرهم وباطنهم، ثمَّ يجيؤون إلى حوض آخر فيغسلون فيها رؤوسهم ونفوسهم فتصير وجوههم كالقمر ليلة البدر، وتلين نفوسهم كالحرير، وتطيب أجسادهم كالمسك، فينتهون إلى باب الجنَّة، فإذا حلقة من ياقوتة حمراء، فيضربونها بصحيفته، فتخرج الحور فتعانق زوجَها، فتقول له: «أنت حبيبي وأنا راضية عنك لا أسخطك أبداً».

ويدخل الجنَّة، وفي الجنَّة كان له سبعون سريراً، على كلّ سرير سبعون فراشاً، على كلّ فراش سبعون زوجة، عليها حلّة يُرى مخّ ساقها من الحلل،

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة: الصفحة السابقة. عنه وعن كتاب المحتضر: البحار: ٨/ ١٥٠، ح٨٥. و٢٤/٣، ح٨. ٢٤/ ٢٦٦، ح٢٩. و٢٦/ ٣١٨، ح٨٨.

ولو أنّ شعرة من شعرات نساء أهل الجنّة سقطت إلى الأرض لأضاءت أهلَ الأرض».

وبإسنادهم عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «خلق الله ـ تعالى ـ وجوه الحور من أربعة ألوان: أبيض وأخضر وأصفر وأحمر، وخلق بدنَها من زعفران والمسك والعنبر والكافور، وشعرها من القرنفل، ومن أصابع رجليها إلى ركبتيها من العنبر، ومن عُنقها إلى رأسها من الكافور، ولو بزقت بزقة في الدنيا لصارت مسكاً، مكتوباً في صدرها اسم زوجها واسم من أسماء الله ـ تعالى ـ ما بين منكبيها فرسخ في فرسخ، في كلٍّ من يديها عشرة أسورة من ذهب، وفي أصابعها عشرة خواتيم، وفي رِجلها عشرة خلخال من الجواهر واللؤلؤ».

وبإسنادهم عن النبيّ ﷺ[1]: «الجنّة بيضاء يتلألأ، لا ينام أهلها، ولا شمس ولا ليل فيها ولا نوم، لأنَّ النوم أخُ الموت.

ودار الجنَّة سبعة حوائط محيط بالجنان كلّها: الأوّل فضَّة، والثاني ذهب وفضَّة، والثالث ذهب، والرابع لؤلؤ، والخامس درٌّ، والسادس زبرجد، والسابع نور يتلألأ، ما بين حائطين مسيرة خمسمئة عام، وأمَّا أهل الجنَّة فجرد مُرد مكحلون، وللرجل شوارب خضراء وهو أملح ما يكون أمرد ـ لا يكون للنساء ذلك ليتميّز الرجال من النساء».

وفي رواية ابن عبَّاس عنه ﷺ: «إنَّ أهل الجنَّة شباب ليس لهم شَعر إلا في الرأس والحاجبين وأشفار العينين ـ يعني ليس لهم شَعر العانة ولا شعر الإبط ـ على طول آدم ـ ستّون ذراعاً ـ وعلى عُمْر عيسى ـ ثلاث وثلاثين سنة ـ بِيض الألوان، خُضر الثياب، يضع أحدهم مائدة بين يديه، فيقبل الطائر فيقول: «يا وليّ الله ـ إنّي قد شربت من ماء السلسبيل، ورعيت من رياض تحت

---

(١) لم أعثر عليه، وأما حديث «النوم أخو الموت» مضى في: ١٠٥٨.

العرش، وأكلت من ثمار كذا، طعم أحد الجانبين مطبوخ، وطعم الجانب الآخر مشويٌّ». فيأكل منها ما شاء الله. وعليه سبعون حلَّة، ليس فيها حلَّة إلاّ على لون آخر.

وفي خبر آخر: «يتلوَّن كلّ حلَّة في كلِّ ساعة سبعين لوناً، فيَرى وجهه في وجهها - يعني في وجه زوجته - وفي صدرها وساقها، وترى وجهَها في وجهه وصدرها في صدره وساقها في ساقه.

لا ينزفون ولا يمخطون[1] وما كان فوق ذلك من الأذى فهو أبعد».

وفي خبر آخر عن النبيّ ﷺ[2]: «إنَّ أهل الجنَّة لا يتغوَّطون ولا يبولون، طعامهم جُشاء[3] ورشح كالمسك، يلهمون الحمد والتسبيح كما يلهمون النفس».

وعنه ﷺ[4]: «والذي أنزل الكتاب على محمَّد، إنَّ أهل الجنَّة ليزدادون جمالاً وحُسناً كما يزدادون في الدنيا قباحة وهرماً».

وعن زيد بن أرقم قال[5]: جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبيّ ﷺ، فقال: «يا أبا القاسم تزعم أنَّ أهل الجنَّة يأكلون ويشربون»؟

فقال: «نعم - والذي نفسي بيده - إنَّ أحدهم ليعطى قوَّة مئة رجل في

---

(١) كتب في الهامش: «أي لا يخرج شيء من أبدانهم. وفي بعض النسخ: لا يبزقون - بالباء والقاف - منه».

(٢) جاء مع فرق يسير وإضافة في مسلم: ٤/ ٢١٨٠ - ٢١٨١، كتاب صفة الجنة، ح١٨ - ٢٠. المسند: ٣/ ٣٤٩ و٣٥٤ و٣٨٤. الدارمي: ٢/ ٣٣٥، كتاب الرقائق، باب في أهل الجنة ونعيمها.
كنز العمال: ١٤/ ٤٦٩ و٤٨١ و٤٨٦، ح٣٩٢٩٤ و٣٩٣٤٨ و٣٩٣٦٧.

(٣) الجُشاء: ريح يخرج من الفم مع الصوت عند الشبع.

(٤) روضة الواعظين: ٥٨١. الدر المنثور: ١/ ٩٤، البقرة/ ٢٥.

(٥) مع فرق يسير في المسند: ٤/ ٣٦٧. كنز العمال: ١٤/ ٤٨٤، ح٣٩٣٥٩. الدر المنثور: ١/ ١٠٠.

الأكل والشرب والجماع».

قال: «فإنَّ الذي يأكل له حاجة، والجنَّة طيِّبة ليس فيها أذى»؟

قال: «حاجة أحدهم عرق كريح المسك».

وفي خبر آخر: «وتجامعه كما تجامع أهل الدنيا من الرجل وأهله حقباً ـ والحقب ثمانون سنة ـ لا يملّها ولا تملّه تلك الفراش».

وفي رواية[1]: «كلّما أصابها وجدها عذراء».

وروي[2] أنَّ أدنى أهل الجنَّة منزلة مَن له ثمانون ألف خادم، واثنتان وتسعون درجة[3]، وتنصب له قبَّة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية وصنعا.

وفي كتاب الحسين بن سعيد الأهوازي[4]، عن أبي بصير، عن أحدهما عليه السلام ـ قال:ـ «إذا كان يوم الجمعة وأهل الجنّة في الجنّة وأهل النار في النار، عرف أهل الجنَّة يومَ الجمعة لما يرون من تضاعف اللذة والسرور، وعرف أهل النار يوم الجمعة، وذلك أنَّه تبطش بهم الزبانية».

وفيه[5] عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إذا كان يوم القيامة

---

(١) في الدر المنثور (البقرة/ ٢٥، ١/ ١٠١): «أخرج البزاز والطبراني في الصغير وأبو الشيخ في العظمة عن أبي سعيد الخدري ـ قال:ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن أهل الجنّة إذا جامعوا نساءهم عادوا أبكاراً. أخرج عبد بن حميد وأحمد في زوائد الزهد وابن المنذر عن عبد الله بن عمر وقال: إنّ المؤمن كلما أراد زوجتَه وجدها بكراً». راجع أيضاً كنز العمال: ١٤/ ٤٧٠، ح٣٩٢٩٦.

(٢) الترمذي: ٤/ ٦٩٥، كتاب صفة الجنة، باب (٢٣) ما جاء ما لأدنى أهل الجنة من الكرامة، ح٢٥٦٢. المسند: ٣/ ٧٦. كنز العمال: ١٤/ ٤٧٦، ح٣٩٣٢٧. الدر المنثور، قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥]، ١/ ٩٨.

(٣) في المصادر التي ذكرنا: اثنتان وسبعون زوجة.

(٤) الزهد: باب أحاديث الجنة والنار، ٩٩، ح٢٦٨. عنه البحار: ٨/ ١٩٨، ح١٩٣.

(٥) نفس المصدر: ٩٩. وقد سقط من النسخة المطبوعة من المصدر «أبو بصير». =

نادت الجنّة ربَّها، فقالت: يا ربِّ أنت العدل قد ملأت النار من أهلها كما وعدتها ولم تملأني كما وعدتني».

فيخلق الله خلقاً لم يروا الدنيا فيملأ بهم الجنَّة ـ طوبى لهم ـ.

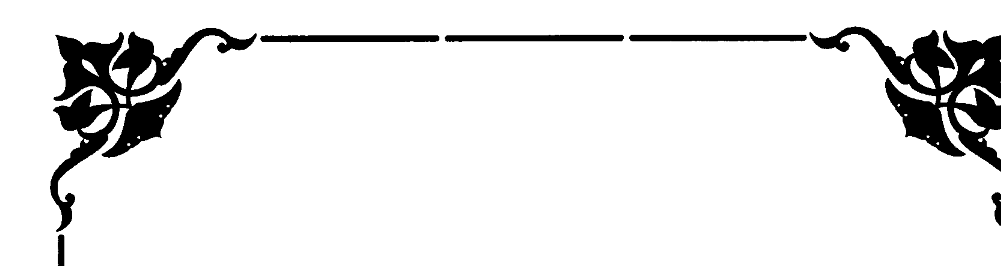
وفي حديث آخر[1]: «لم يروا هموم الدنيا ولا غمومها».

* * *

= البحار: الصفحة السابقة.

(١) نفس المصدر: ١٠٣. تفسير القمي: ٢/ ٣٣٤، سورة ق.





الباب الخامس عشر

صفة النار وأهلها

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾

[التحريم: ٦]

صفة النار وأهلها

روى الصدوق ـ رحمه الله ـ[1] بإسناده عن مولانا الصادق عليه السلام قال: «بينا رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم قاعد إذ أتاه جبرئيل عليه السلام وهو كئيبٌ حزينٌ متغيِّر اللون، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا جبرئيل ـ ما لي أراك كئيباً حزيناً»؟

فقال: يا محمَّد ـ فكيف لا أكون كذلك، وإنَّما وضعت منافيخ جهنَّم اليوم».

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «وما منافيخ جهنَّم ـ يا جبرئيل».

فقال: «إنَّ الله تعالى أمر بالنار فأوقد عليها ألف عام حتَّى احمرَّت، ثمَّ أمر بها فأُوقد عليها ألف عام حتَّى ابيضَّت، ثمَّ أمر بها فأُوقد عليها ألف عام حتَّى اسودَّت وهي سوداءٌ مظلمة، فلو أنَّ حلقة من السلسلة ـ التي طولها سبعون ذراعاً ـ وضعت على الدنيا، لذابت الدنيا من حرِّها، ولو أنَّ قطرة من الزقُّوم والضريع قطِّرت في شراب أهل الدنيا، مات أهل الدنيا من نتنها». ـ قال: ـ «فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله، وبكى جبرئيل عليه السلام، فبعث الله إليهما ملكاً فقال: «إنَّ ربَّكما يقرؤكما السلام ويقول: «إنِّي قد أمنتُكما من أن تذنبا ذنباً أُعذِّبكما عليه».

---

(١) لم أعثر على رواية الصدوق، ولكن روى ما يقرب منه القمي في تفسيره: ٢/ ٨١، سورة الحج/ ٢٢. عنه البحار: ٨/ ٢٨٠، ح١.

وبإسناده[1] عن مولانا الباقر عليه السلام قال: لمَّا نزلت هذه الآية: ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر: ٢٣] سُئل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فقال:

«أخبَرني الروح الأمين أنَّ الله لا إله غيره إذا جمع الأوَّلين والآخرين أتى بجهنَّم تُقاد بألف زمام، أخذ بكلِّ زمام ألف ملك من الغلاظ الشداد، لها هدَّةٌ وتغيُّظ وزفير، وإنَّها لتزفر الزفرة، فلولا أنَّ الله أخَّرهم إلى الحساب لأهلكت الجميع.

ثمَّ يخرج منها عنقٌ محيطٌ بالخلائق ـ البِرِّ منهم والفاجر ـ فما خلَق الله عبداً من عباده ـ ملكٌ ولا نبيٌّ ـ إلاّ ينادي: «يا ربِّ، نفسي نفسي»، وأنت تقول: «يا ربِّ أمَّتي أُمَّتي» ـ الحديث وقد مضى تمامه ـ.

وعنه عليه السلام[2] قال: «إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمَّا أُسري به لم يمرّ بخَلق من خلق الله إلاّ رأى ما يحبّ من البُشر واللطف والسرور، حتَّى مرَّ بخَلق من خلق الله، فلم يلتفت إليه ولم يقل شيئاً، فوجده قاطباً عابساً، فقال: «يا جبرئيل ـ ما مررت بخلق من خلق الله إلاّ رأيت البُشر واللطف والسرور منه إلاّ هذا، فمَن هذا»؟

قال: «هذا مالك، خازن النار [وهكذا خلقَه ربُّه».

قال: فإنِّي أحبُّ أن تطلب إليه أن يُرِيني النار][3]»؟

فقال له جبرئيل: «إنَّ هذا محمَّد رسول الله، قد سألني أن أطلب إليك أن تريه النار».

---

(١) أمالي الصدوق: المجلس ٣٣، ح٤، ٢٤١. وفي تفسير القمي: ٢/ ٤٥١، مع فروق يسيرة. البحار: ٧/ ١٢٥، ح١. ٨/ ٦٥، ح٢. و٢٩٣، ح٣٦.

(٢) أمالي الصدوق: المجلس السابع والثمانون، ح٦، ٦٩٦ ـ ٦٩٧. عنه البحار: ٨/ ٢٨٤، ح٩. وجاء ما يقرب منه في كتاب الزهد عن الصادق عليه السلام كما سيشير إليه المؤلف. وقد مضى أيضاً ضمن أحاديث المعراج.

(٣) الإضافة بين المعقوفتين من المصدر ولم تكن في النسخ.

ـ قال: ـ «فأخرج عُنقا منها، فرآها، فما افترَّ ضاحكاً حتَّى قبضه الله عزَّ وجلَّ».

وروى هذا الحديث الحسين بن سعيد الأهوازي في كتابه بأدنى تفاوت[1].

وروي فيه[2] عن زيد بن عليّ، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنَّ ناركم هذه لجزء من سبعين جزءاً من نار جهنَّم، ولقد أُطفئت سبعين مرَّة بالماء، ولولا ذلك لما استطاع آدميٌّ أن يطفئها[3] إذا التهبت، وإنّه لتؤتى بها يومَ القيامة حتَّى توضَع على النار، [فتصرخ صرخة][4] ما يبقى ملك مقرَّب ولا نبيٌّ مرسَل إلاّ جثا بركبتيه فزعاً من صرخها[5]».

وعن ابن بكير، عن أبي عبد الله عليه السلام[6] قال: «إنَّ في جهنَّم لوادياً للمتكبِّرين يقال له: سَقَر، شكى إلى الله تعالى شدَّة حرِّه، وسأله أن يأذن له أن يتنفّس؟ فأذن له، فتنفَّسَ، فأحرق جهنَّم».

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله[7]: «لو كان في هذا المسجد مئة ألف أو يزيدون، ثمَّ

---

(1) الزهد: باب أحاديث الجنة والنار، ٩٩، ح٢٧١، عن الصادق عليه السلام. عنه البحار: ٨/ ٢٨٤، ح٩.

(2) الزهد: الباب المذكور، ١٠١، ح٢٧٥. عنه البحار: ٨/ ٢٨٨، ح٢١. وجاء ما يقرب منه في مستدرك الحاكم: كتاب الأهوال: ٤/ ٥٩٣.

(3) نسخة في المصدر: أن يطيقها.

(4) إضافة من المصدر.

(5) المصدر: صرختها.

(6) الكافي: كتاب الإيمان والكفر، باب الكبر، ٢/ ٣١٠، ح١٠. تفسير القمي: الزمر/ ٦٠، ٢/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤. المحاسن: ١٢٣، ح١٣٨.
عنها البحار: ٨/ ٢٩٤، ح٣٨. ٧٣/ ١٨٩. ٧٣/ ٢٣٢، ح٢٨.

(7) حلية الأولياء: ترجمة سعيد بن جبير: ٤/ ٣٠٧. رواه المنذري عن أبي يعلي: الترغيب والترهيب، كتاب صفة الجنة والنار، فصل في شدة حرها: ٦/ ٢٣٩. وقال الزبيدي (إتحاف السادة: ١٠/ ٥١٤): رواه البزاز وأبو يعلي والبيهقي في البعث.

تنفَّس رجل من أهل النار فأصابهم نفَسَه لاحتلاق المسجد ومن فيه».

وعنه عليه السلام[1]: إنّ في النار لحيّات مثل أعناق البُخت، يلسعن أحدهم اللسعة فيجد حُموّتها أربعين خريفاً، وإنّ فيها لعقارب كالبغال المؤكفة، يلسعن أحدُهم فيجد حُموّتها أربعين خريفاً».

وفي الأخبار العاميَّة: «إنَّ الله ـ تعالى ـ أرسل جبرئيل إلى مالك بأن يأخذ من نار جهنَّم فيأتي بها إلى آدم، حتَّى يطبخ بها طعاماً.

قال مالك: «يا جبرئيل ـ كم ترد من النار»؟

قال: «أُريد مقدار نملة من النار».

قال مالك: «لو أعطيتك مقدار نملة لذاب منها سبع سماوات وسبع أرضين من حرِّها».

قال جبرئيل: «مقدار نصف نملة».

قال مالك: «لو أعطيتك نصف نملة منها لا ينزل من السماء قطرة، ولم تنبت من الأرض نبات».

ثمَّ نادى جبرئيل: «إلهي ـ كم آخذ من النار»؟

قال الله ـ تعالى ـ: «خذ مقدار ذرَّة منها».

فأخذ مقدار ذرَّة وغسلها في سبعين نهراً سبعين مرَّة، ثمَّ جاء بها إلى آدم فوضعها على جبل شاخص من الجبال، فذاب ذلك الجبل ورجع النار إلى مكانه، وبقي دخانها في الأحجار والحديد إلى يومنا هذا، فهذه النار من دخان تلك الذرَّة، فاعتبروها يا مؤمنون».

---

(١) ما يقرب منه في مستدرك الحاكم: كتاب الأهوال: ٤/٥٩٣. المسند: ٤/١٩١. كنز العمال: ١٤/٥٢٦، ح٣٩٥٠٣.

روى الصدوق ـ رحمه الله[1] ـ بإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام ـ قال: ـ

«إنَّ للنار سبعة أبواب: بابٌ يدخل منه فرعون وهامان وقارون، وبابٌ يدخل منه المشركون والكفَّار ممن لا يؤمن بالله طرفة عين، وبابٌ يدخل منه بنو أُميَّة ـ هو لهم خاصَّة لا يزاحمهم فيه أحد أبداً ـ وهو باب لظى، وهو باب سقر، وهو باب الهاوية يهوي بهم سبعين خريفاً، فكلَّما هوى بهم سبعين خريفاً فارَ بهم فورةً قذف بهم في أعلاها سبعين خريفاً، ثمَّ هوى بهم كذلك سبعين خريفاً، فلا يزالون هكذا أبداً خالدين مخلَّدين، وبابٌ يدخل منه مبغضونا ومحاربونا وخاذلونا، وإنَّه لأعظم الأبواب وأشدّها حرَّاً».

وعن مولانا الباقر عليه السلام[2]: «إنَّ أهل النار يتعاوون كما يتعاوى الكلاب والذئاب مما يلقون من أليم العذاب، ما ظنُّك بقوم لا يُقضى عليهم فيموتوا، ولا يخفَّف عنهم من عذابها، عطاش فيها جياع، كليلة أبصارهم، صمٌّ بكمٌ عميٌ، مسودّة وجوهُهم، خاسئين فيها نادمين، مغضوبٌ عليهم فلا يُرحمون، ومن العذاب لا يخفّف عنهم، وفي النار يسجرون، ومن الحميم يشربون، ومن الزقُّوم يأكلون، وبكلاليب النار يحطمون، وبالمقامع يُضربون، والملائكة الغلاظ الشداد لا يرحمون، فهم في النار يُسحبون على وجوههم، ومع الشياطين يُقرَنون، وفي الأنكال والأغلال يصفَّدون، إن دعَوا لم يُستجب لهم، وإن سألوا حاجةً لم يُقض لهم، هذه حال من دخل النار».

وفي الأخبار العاميَّة[3]: «إنَّ أهل النار يدعون مالكاً فلا يرد لهم جواباً أربعين عاماً، ثمَّ يردُّ عليهم ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧] ـ يعني دائمون أبداً ـ. ثمَّ يدعون ربَّهم: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٧]

---

(١) الخصال: باب السبعة: ح٥١، ٢/ ٣٦١. عنه البحار: ٨/ ٢٨٥، ح١١.

(٢) أمالي الصدوق: المجلس الثاني والثمانون، ح١٤، ٦٥١. عنه البحار: ٨/ ٢٨١، ح٣.

(٣) مع فروق يسيرة في المستدرك للحاكم: كتاب الأهوال، ٥٩٨/٤. وفي الدر المنثور (المؤمنون/١٠٨) حكى عن ابن أبي شيبة وهناد، وعبد بن حميد، وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد، وابن المنذر وابن أبي حاتم، والطبراني والحاكم والبيهقي في البعث.

فلا يجيبهم مقدار ما كانت الدنيا مرّتين، ثمَّ يردُّ عليهم: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]».

قال: «فوالله ما تيسّر القوم بكلمة[1]، وما كان بعد ذلك إلاّ الزفير والشهيق في النار».

ـ تشبه أصواتهم بأصوات الحمير، أوّله زفير وآخره شهيق ـ.

* * *

ويقال إنَّ أهل النار يجزعون ألف سنة، ثمَّ يقولون: كنّا في الدنيا إذا صبرنا كان لنا فرَج فيصبرون ألف سنة ولا يخفّف عنهم. فيقولون: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ﴾ [إبراهيم: ٢١]، فيدعون الله ـ تعالى ـ ألف سنة الغيث ـ لِما بهم من العطش وشدَّة العذاب لكي يزول عنهم بعض الحرارة والعطش ـ فإذا تضرَّعوا ألف سنة يقول الله ـ تعالى ـ لجبرئيل: «أيّ شيء يطلبون»؟

فيقول جبرئيل: «يا ربِّ ـ أنت أعلم بهم، يسألون الغيث»، فيظهر لهم سحابةٌ حمراء، فظنُّوا أنّهم يُمطرون، ويُرسل عليهم عقارب كأمثال البغال، فيلدغ واحد منهم فلا يذهب عنهم الوجع ألف سنة.

ثمَّ يسألون الله ـ تعالى ـ ألف سنة أن يرزقهم الغيثَ، فيظهر لهم سحابة سوداء، فيقولون: «هذه سحابة المطر»، فيرسل عليهم حيَّات كأمثال الإبل، كلَّما لسَع لسعةً لا يذهب عنهم الوجع ألف سنة، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابٗا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفۡسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨]، يعني بما كانوا يكفرون [و] يعصون الله ـ تعالى ـ[2].

---

(١) المستدرك: ما ينبس القوم بكلمة.

(٢) كتب المصنف ما يلي ثم شطب عليه:
وقال منصور بن عمَّار: بلغني أنَّ لمالك النار أيدٍ بعدد أهل النار، ومع كلّ يد رجل يقومه =

روى العامَّة بإسنادهم عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك، قال:

جاء جبرئيل إلى النبيّ ﷺ ـ في ساعةٍ ما كان يأتيه فيها ـ متغيّر اللون، فقال النبيّ ﷺ: «مالي أراك متغيّر اللون».

فقال: «يا محمَّد؛ جئتك في الساعة التي أمر الله ـ تعالى ـ بمنافخ النار أن ينفخ فيها، ولا ينبغي لمن يعلم أنَّ جهنَّم حقٌّ، وأنَّ عذاب الله أكبر. أن يقرَّ عينه حتَّى يأمنها».

فقال النبيّ ﷺ: «صِف لي النار ـ يا جبرئيل»؟

فقال: «نعم يا محمَّد ـ صلى الله عليك ـ إنَّ الله تعالى لمَّا خلق جهنَّم أوقد عليها ألف سنة فاحمرَّت، ثمَّ أوقد عليها ألف سنة فابيضَّت. ثمَّ أوقد عليها ألف سنة فاسودَّت، فهي سوداء مظلمة، لا يضيء لهبُها ولا حمرتها[1].

والذي بعثك بالحقِّ [نبيّاً][2]، لو أنَّ مثل خَرم إبرة وقع منها لأحرق أهل الدنيا عن آخرهم، والذي بعثك بالحق نبيَّاً، لو أنَّ ثوباً من ثياب أهل النار علِّق

= ويقعده ويغلُّه ويسلسله، فإذا نظر إلى النار فيأكل النار بعضها بعضاً من خوف المالك.
وحروف البسملة تسعة عشر، وعدد الزبانية كذلك، فمن قال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ـ صدقاً من قلبه ـ خلّصه الله ـ تعالى ـ يوم القيامة من الزبانية ببركته.
ويسمّون بذلك لأنّهم يعملون بأرجلهم كما يعملون بأيديهم، فيأخذ أحد منهم عشرة آلاف من الكفَّار بِيد واحدة، وعشرة آلاف بإحدى رجليه، وعشرة آلاف بيد أخرى وبالرجل الآخر، فيعذِّب أربعين آلاف كافراً بمرَّة واحدة بما فيه من قوَّة وشدَّة.
أحدهم مالك، خازن النار، وثمانية عشر مثله، وهم رؤساء الملائكة تحت كلّ منهم من الخزنة ما لا يحصى عددهم، أعينهم كالبرق الخاطف، أسنانهم كصياصي قرون البقر، يخرج لهب النار من أفواههم، ما بين كتفي كلّ واحد مسيرة سنة واحدة، لم يُبق الله في قلوبهم من الرأفة والرحمة مقدار ذرَّة، يهوي أحدهم في بحار الدنيا مقدار أربعين سنة، فلا تضرَّه النار ـ لأنَّ النور أشدُّ من حرِّ النار ـ نعوذ بالله من شرِّ النار.

(١) يحتمل القراءة: جمرتها.

(٢) أضفناها ليلائم السياق مع ما يأتي.

بين السماء والأرض لمَاتوا عن آخرهم لِما يجدون من نتنها، والذي بعثك بالحقِّ نبيّاً لو أنَّ زِرا[1] من السلسلة التي ذكرها الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في كتابه وضع على جبل لذاب حتَّى يبلغ الأرضين السابعة، والذي بعثك بالحقِّ، لو أنّ رجلاً بالمغرب يعذَّب لاحترق الذي بالمشرق من شدَّة عذابها، حرُّها شديدٌ، وقعرها بعيدٌ، وحليها حديد، وشرابها الحميم والصديد، وثيابها مقطَّعات النيران: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤] من الرجال والنساء».

فقال النبيّ ﷺ: «أهي كأبوابنا هذه»؟

فقال: «لا، ولكنَّها مفتوحة بعضها أسفل من بعض، من باب إلي باب مسيرة سبعين سنة، كلّ باب منها أشدّ حراً من الذي يليه سبعين ضعفاً، يُساق أعداءُ الله إليها، فإذا انتهوا إلى أبوابها، استقبلتهم الزبانية بالأغلال والسلاسل، فتسلك السلسلة في فيه وتخرج من دبره، وتغلُّ يده اليُسرى إلى عنقه، وتدخل يده اليمنى في فؤاده وتنزع من بين كتفيه ويشدُّ بالسلاسل، ويقرن كلّ آدميّ مع شيطان في سلسلة ويُسحب على وجهه، فتضربه الملائكة بمقامع من حديد، ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠].

* * *

فقال النبيّ ﷺ: «مَن سكَّان هذه الأبواب»؟

قال: «فأمّا الباب الأسفل ففيه المنافقون، ومن كفر من أصحاب المائدة، وآل فرعون، واسمها الهاوية.

والباب الثاني ففيه المشركون واسمه الجحيم.

والباب الثالث ففيه الصابئون، واسمه سقر.

والباب الرابع ففيه إبليس ومن تبعه والمجوس، واسمه لظى.

---

(١) كما يقرء في النسخة، وهو من الثوب ما يوضع فيه العروة. وفي نسخة ع: «ذِرّا» ويحتمله القراءة أيضاً، ولعل الصحيح: ذَرّا.

والباب الخامس ففيه اليهود واسمه الحُطمة.

والباب السادس ففيه النصارى واسمه السعير ـ ثم أمسك جبرئيل عليه السلام ».

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «ألا تخبرني مَن سكّان الباب السابع»؟

قال: «يا محمَّد ـ لا تسألني عنه».

فقال: «بلى يا جبرئيل ـ أخبرني عن الباب السابع».

فقال: «فيه أهل الكبائر من أُمَّتك، الذين ماتوا ولم يتوبوا».

فخرَّ النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم مغشيّاً عليه. فوضع جبرئيل عليه السلام رأسه في حجره حتَّى أفاق، فلمَّا أفاق، قال: «يا جبرئيل ـ عظمت مصيبتي واشتدَّ حزني، أوَ يدخل من أمَّتي النار»؟

قال: «نعم ـ أهل الكبائر من أمَّتك».

ثمَّ بكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبكى جبرئيل، ودخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منزله واحتجب عن الناس، فكان لا يخرج إلاّ إلى الصلاة، يصلِّي ويدخل، ولا يكلِّم أحداً، ويأخذ في الصلاة ويبكي ويتضرَّع إلى الله ـ تعالى ـ.

فلمّا كان من اليوم الثالث أقبل أبو بكر حتَّى وقف بالباب، فقال: «السلام عليكم يا أهل بيت الرحمة ـ هل إلى رسول الله من سبيل»؟ فلم يُجبه أحدٌ. وتنحَّى باكياً.

فأقبل عمر فصنع مثل ذلك، فلم يجبه أحدٌ فتنحَّى وهو يبكي.

وأقبل سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ فوقف بالباب، فقال: «السلام عليكم يا أهل بيت الرحمة ـ هل إلى مولاي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من سبيل»؟ فلم يجبه أحدٌ، فأقبل مرَّة يبكي ويقع مرَّة ويقوم أُخرى حتَّى أتى بيتَ فاطمة عليها السلام، فوقف بالباب، ثمَّ قال: «السلام عليكم يا أهل بيت

المصطفى ـ صلى الله عليهم ـ» ـ وكان عليٌّ عليه السلام غائباً ـ فقال سلمان: «يا بنت رسول الله ـ إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله احتجب عن الناس، فليس يخرج إلاّ إلى الصلاة، ولا يكلّم أحداً ولا يأذن لأحد أن يدخل عليه».

فاشتملت فاطمةُ بعباءة قطرانيّة، وأقبلت حتّى وقفت على باب رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمَّ سلّمت وقالت: «يا رسول الله ـ أنا فاطمة»، ورسول الله صلى الله عليه وآله ساجدٌ يبكي، فرفع رأسه فقال: «ما بال قرّة عيني فاطمة حُجبت عنّي، افتحوا لها الباب»، ففتح الباب. فلمّا نظرت إلى النبي صلى الله عليه وآله بكت بكاء شديداً لما رأت من حاله مصفرّاً، متغيّراً لونه، مذاب لحم وجهه من البكاء والحزن.

فقالت: «يا رسول الله ـ ما الذي نزل عليك»؟

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «جاءني جبرئيل عليه السلام ووصف لي أبوابَ جهنّم وأخبرني بأن في أعلى بابها أهل الكبائر من أُمّتي، فذلك الذي أبكاني وأحزنني».

***

قالت: «يا رسول الله ـ أوَ لم تسأله كيف يدخلونها»؟

قال: «تسوقهم الملائكةُ إلى النار، ولا تسودّ وجوههم ولا تزرق عيونهم ولا يُختم على أفواههم، ولا يُقرنون مع الشياطين، ولا يُوضع عليهم السلاسل والأغلال».

قالت: «يا رسول الله ـ كيف تقودهم الملائكةُ»؟

قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «أمّا الرجال، فباللحى، وأمّا النساء فبالذوائب والنواصي. فكم من ذي شيبة من أُمّتي قد قُبض على شيبته يُقاد إلى النار، وهو ينادي: «واشيبتاه، واضعفاه»، وكم من شابٍّ من أُمّتي يُقبض على لحيته يُقاد إلى النار، وهو ينادي: «واشباباه، واحُسن صورتاه»، وكم من امرأة من أُمّتي تُقبض على ناصيتها تُقاد إلى النار، وهي تنادي: «وافضيحتاه، واهتك ستراه».

حتّى ينتهي بهم إلى مالك، فإذا نظر إليهم مالك قال للملائكة: «ما هؤلاء»؟ فما ورد عليَّ من الأشقياء أعجب من هؤلاء، لم تسودّ وجوهُهم، ولم توضع السلاسل والأغلال في أعناقهم»؟!

فيقول الملائكة: «هكذا أُمرنا أن نأتيك بهم على هذه الحال».

فيقول لهم: «يا معشر الأشقياء ـ من أنتم»؟

ـ وفي رواية أخرى أنَّهم لمَّا قادتهم الملائكة فتنادون: «وامحمَّداه»، فلمَّا رأوا مالكاً نسوا اسم محمَّد من هيبته، فيقول لهم: «من أنتم»؟

فيقولون: «نحن ممَّن أُنزل علينا القرآن، ونحن ممَّن نصوم شهر رمضان». فيقول مالك: «ما نزل القرآن إلاّ على محمَّد ﷺ».

فإذا سمعوا اسمَ محمَّد ﷺ صاحوا، فقالوا: «نحن من أُمَّة محمَّد».

فيقول لهم مالك: «ما كان لكم في القرآن زاجرٌ عن معاصي الله».

فإذا وقف بهم على شفير جهنَّم ونظروا إلى النار وإلى الزبانية، فقالوا: «يا مالك ائذن لنا نبكي على أنفسنا، فيبكون الدموع حتَّى لم يبق لهم الدموع، فيبكون دماً».

فيقول مالك: «ما أحسن هذا لو كان في الدنيا، فلو كان هذا البكاء في الدنيا من خشية الله ـ تعالى ـ ما مسَّكم النار اليوم».

فيقول مالك للزبانية: «ألقوهم في النار».

فنادوا بأجمعهم: «لا إله إلا الله»، فترجع عنهم النار.

فيقول مالك: «يا نارُ ـ خذيهم».

فتقول النار: «وكيف آخذهم وهم يقولون: لا إله إلاّ الله».

فيقول مالك: «نعم. بذلك أمر ربُّ العرش»، فتأخذهم، فمنهم من

تأخذه إلى قدميه، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه إلى حقويه، ومنهم من تأخذه إلى حلقه.

ـ قال:ـ «فإذا أهوت النار إلى وجهه قال مالك: «لا تحرقي وجوهَهم، فطال ما سجدوا للرحمان في الدنيا، ولا تحرقي قلوبهم فطال ما عطشوا في شهر رمضان». فيبقون ما شاء الله فيها فينادون: «يا أرحم الراحمين، يا حنَّان، يا منَّان».

* * *

فإذا أنفذ الله ـ تعالى ـ حكمَه قال: «يا جبرئيل ـ ما فعل العاصون من أمَّة محمّد ﷺ؟

فيقول: «إلهي ـ أنت أعلم بهم».

فيقول: «انطلق فانظر ما حالهم»؟

فينطلق جبرئيل إلى المالك ـ وهو على سرير من نار في وسط جهنَّم ـ فإذا نظر مالك إلى جبرئيل عليه السلام قام تعظيماً له، فيقول: «يا جبرئيل ـ ما أدخلك هذا الموضع»؟

فيقول: «ما فعلتْ العصابةُ العاصية من أمَّة محمَّد ﷺ»؟

فيقول مالك: «ما أسوء حالُهم وأضيق مكانُهم، قد أحرقت النار أجسامَهم وأكلت لحومَهم، وبقيت وجوهُهم وقلوبُهم يتلألأ فيها الإيمان».

فيقول جبرئيل: «ارفع الطبق عنهم حتَّى أنظر إليهم».

ـ قال:ـ يأمر مالك الخزَنَة فيرفعون الطبَق، فإذا نظروا إلى جبرئيل وإلى حُسن خَلقه، علموا أنَّه ليس من ملائكة العذاب، فيقولون: «من هذا العبد الذي لم نر شيئاً قطّ أحسن وجهاً منه»؟

فيقول مالك: «هذا جبرئيل الكريم على الله ـ تعالى ـ الذي كان يأتي

محمَّداً ﷺ بالوحي».

فإذا سمعوا بذكر محمَّد ﷺ صاحوا بأجمعهم، وقالوا: «يا جبرئيل ـ اقرء محمَّداً منَّا السلام، وأخبره أنَّ معاصينا فرَّقت بيننا وبينك، وأخبره بسوء حالنا».

***

فينطلق جبرئيل حتَّى يقوم بين يدي الله ـ تعالى ـ فيقول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: «كيف رأيت أمَّة محمَّد ﷺ»؟

فيقول: «يا ربِّ ـ ما أشدَّ حالُهم وأضيق مكانُهم».

فيقول: «هل سألوك شيئاً»؟

فيقول: «نعم يا ربِّ ـ سألوني أن أقرء على نبيِّهم السلام، وأخبره بسوء حالهم».

فيقول الله ـ جلَّ جلاله ـ: «انطلق وأبلغه».

فيدخل جبرئيل على النبيّ ﷺ ـ وهو في خيمة من درَّة بيضاء، لها أربعة ألف باب، ولها مصراعان من ذهب ـ فيقول: «يا محمَّد ؛ جئتك من عند العصابة العصاة من أمَّتك يعذَّبون بالنار، وهم يقرؤونك السلام ويقولون: «ما أسوء حالُنا وأضيق مكانُنا».

فيأتي النبيُّ ﷺ عند العرش، فيخرُّ ساجداً، ويثني على الله ثناء لم يُثنه أحد مثله، فيقول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: «ارفع رأسَك، واسأل تعطَ، واشفع تشفَّع».

فيقول: «يا ربِّ، الأشقياءُ من أُمَّتي، قد أنفذت فيهم حكمَك».

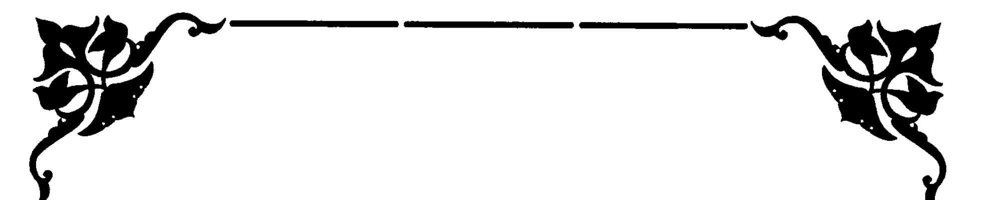
فيقول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: «قد شفَّعتك فيهم، فأت النارَ وأخرج منها من قال: «لا إله إلاّ الله». فينطلق النبيّ ﷺ، فإذا نظر مالك إلى محمَّد ﷺ قام تعظيماً له، فيقول: «يا مالك ـ ما حال أُمَّتي الأشقياء»؟

فيقول مالك: «ما أسوء حالُهم وأضيق مكانهم».

فيقول النبيّ ﷺ: «افتح الباب، وارفع الطبق، فإذا نظروا أهلُ النار إلى محمّد ﷺ صاحوا بأجمعهم، فيقولون: «قد أحرقت النارُ جلودَنا، وأحرقت أكبَادنا». ويخرجهم جميعاً، وقد صاروا فحماً قد أكلتهم النار، فينطلق بهم إلى نهر بباب الجنَّة يسمَّى الحيوان، فيغتسلون فيه، فيخرجون منه شباباً جرداً مرداً مكحَّلين، وجوههم مثل القمر مكتوبٌ على جباههم: «جهنَّميُّون عُتقاء الرحمان من النار».

فيدخلون الجنَّة، فإذا رأى أهلُ النار أنَّ المسلمين قد أُخرجوا منها، قالوا: «يا ليتنا كنَّا مسلمين، وكنَّا نخرج من النار»، وهو قوله تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢].

أقول: إن صحَّ هذا الحديث فلعلَّ التوفيق بينه وبين ما يأتي من الأخبار من أنَّه «لا يُعذَّب أهل التوحيد بالنار»: أن تُحمل «الأُمَّة» في هذا الحديث على ما عدا الشيعة من فرق الإسلام، ويخصَّ ما يأتي بالشيعة، كما يستفاد من بعضها.



الباب السادس عشر

مذنبي أهل التوحيد والناقصين

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾

[الزمر: ٥٣]



غفران الذنوب

روى الصدوق ـ رحمه الله[1] ـ بإسناده عن ابن عبَّاس، قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي بعثني بالحقّ بشيراً ـ لا يعذِّب اللهُ بالنار موحّداً أبداً، وإنَّ أهل التوحيد ليَشفعون فيُشفّعون».

ـ ثمَّ قال ﷺ: «إذا كان يوم القيامة أمَر الله ـ تعالى ـ بقوم لسيّئات أعمالهم في دار الدنيا إلى النار، فيقولون: «يا ربِّ ـ كيف تُدخلنا النارَ وقد كنَّا نوحِّدك في دار الدنيا؟ وكيف تُحرق بالنار ألسنتنا وقد نطقت بتوحيدك في دار الدنيا؟ وكيف تُحرق قلوبَنا وقد عقدت على أن لا إله إلاّ أنت؟ أم كيف تُحرق وجوهَنا وقد عفَّرناها لك في التراب؟ أم كيف تحرق أيدينا وقد رفعناها بالدعاء إليك»؟

فيقول الله ـ تعالى ـ: «عبادي ـ ساءت أعمالُكم في دار الدنيا، فجزاؤكم نار جهنَّم».

فيقولون: «يا ربَّنا ـ عفوك أعظم من خطيئتنا»؟

فيقول: «بل عفوي».

فيقولون: «رحمتك أوسع أم ذنوبنا»؟

---

(١) التوحيد: باب ثواب الموحّدين، ٢٩، ح٣١. أمالي الصدوق: المجلس التاسع والأربعون، ح١٠، ٣٧٢. عنهما البحار: ٣/١، ح١.

فيقول عزّ وجل: «بل رحمتي».

فيقولون: «إقرارنا بتوحيدك أعظم أم ذنوبنا»؟

فيقول ـ عزّ وجلّ ـ: «بل إقراركم بتوحيدي أعظم».

فيقولون: «ربّنا فليَسعنا عفوك ورحمتك التي وسعت كلّ شيء»؟

فيقول الله ـ تعالى ـ: «ملائكتي ـ وعزّتي وجلالي ـ ما خلقتُ خلقاً أحبّ إليّ من المقرّين لي بتوحيدي، وأن لا إله غيري، وحقّ عليّ أن لا أُصلّي بالنار أهل توحيدي، أدخلوا عبادي الجنّة».

وبإسناده[1] عن إبراهيم بن العبّاس[2]، قال: كنا في مجلس الرضا عليه السلام فتذاكروا الكبائر، وقول المعتزلة فيها «إنّها لا تُغفر»، فقال الرضا عليه السلام: قال أبو عبد الله عليه السلام: «قد نزل القرآن بخلاف قول المعتزلة، قال الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد: ٦] ـ الحديث ـ

وبإسناده[3] عن الصادق عليه السلام، عن آبائه، عن رسول الله، عن جبرئيل ـ صلوات الله عليهم ـ قال:

قال الله ـ جلّ جلاله ـ: «من أذنب ذنباً ـ صغيراً أو كبيراً ـ وهو لا يعلم أن لي أن أُعذّبه أو أعفو عنه: لا غفرت له ذلك الذنب أبداً، ومن أذنب ذنباً ـ صغيراً كان أو كبيراً ـ وهو يعلم أنّ أعذّبه وأن أعفو عنه عفوت عنه».

---

(١) التوحيد: باب الأمر والنهي والوعد والوعيد، ح٤، ٤٠٦.

(٢) لعله إبراهيم بن العباس الصولي، الذي مدح الرضا عليه السلام مع دعبل الخزاعي، راجع تنقيح المقال: ٢١/١، رقم ١٣٣.

(٣) أمالي الصدوق: المجلس الثامن والأربعون، ح٢، ٣٦٢. عنه البحار: ٣٤٨/٧٣، ح٣٦. وجاء القسم الثاني من الحديث في ثواب الأعمال: ثواب من أذنب ذنباً فعلم أن لله أن يعذبه...، ٢١٣. عنه البحار: ٦/٦، ح٩.

وفي كتاب الحسين بن سعيد[1]: قال عليّ عليه السلام: «لأحدثنّكم بحديث يحقٌّ على كلٍّ مؤمن أن يعيَه»، فحدَّثَنا به غدوة ونسيناه عشيَّة.

ـ قال:ـ فرجعنا إليه فقلنا له: «الحديث الذي حدَّثتنا به غدوة نسيناه. وقلتَ: «هو حقٌّ على كلّ مؤمن أن يعيَه»، فأعده علينا»؟

فقال: «إنَّه ما من مسلم يذنب ذنباً فيعفو الله عنه في الدنيا إلاّ كان أجلّ وأكرم من أن يعود عليه بعقوبة الآخرة ـ وقد أحلَّه في الدنيا» ـ وتلا هذه الآية: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

وعن أبي عبيدة الحذاء[2]، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: «جعلت فداك ـ أُدع الله لي، فإنَّ لي ذنوباً كثيرة»؟

فقال: «مه، يا أبا عبيدة ـ لا يكون الشيطان عوناً لك على نفسك، إنَّ عفوَ الله لا يُشبهه شيء».

تمحيص الذنوب

وفي كتاب التمحيص[3] عن عبد الله سنان، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «الحمَّى رائد الموت، وهي سجن الله في أرضه، وهي حظُّ المؤمن من النار».

وفيه[4] عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «ما من شيعتنا أحدٌ يقارف أمراً

---

(١) الزهد: باب الشفاعة ومن يخرج من النار، ٩٨، ح٢٦٦. عنه البحار: ٦/ ٥، ح٧.

(٢) الزهد: الباب السابق، ٩٩، ح٢٦٧. عنه البحار: ٦/ ٥، ح٦.

(٣) التمحيص: باب التمحيص بالعلل والأمراض، ٤٣، ح٤٩. وفي الكافي: كتاب الجنائز، باب علل الموت. . .، ٣/ ١١١، ح٣، والضمائر الثلاثة فيه «هو». وقد مضى ما يقرب منه عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٤) التمحيص: باب تعجيل التمحيص عن المؤمن، ٣٨، ح٣٤. الخصال: حديث الأربعمئة، ٢/ ٦٣٥، مع فرق يسير. عنه البحار: ٦/ ١٥٧، ح١٤. ١٠/ ١١٤، ٦٧/ ٢٣٠، ح٤٣. =

نهيناه عنه فيموت حتَّى يبتلى ببليَّة تمحّص بها ذنوبه، إمَّا في مال أو ولد، وإمّا في نفسه، حتَّى يلقى الله محبّنا وما له من ذنب، وإنَّه ليبقى عليه شيء من ذنوبه فيشدَّد عليه عند موته فتمحّص ذنوبه».

وعن منصور بن معاوية[1] عن أبي عبد الله عليه السلام ـ قال:ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله ـ تعالى ـ: «ما من عبد أريد أن أُدخله الجنَّة إلاّ ابتليته في جسده، فإن كان ذلك كفَّارة لذنوبه، وإلاّ سلطت عليه سلطاناً فإن كان ذلك كفّارة لذنوبه، وإلاّ ضيّقتُ عليه في رزقه، فإن كان ذلك كفَّارة لذنوبه، وإلاّ شددت عليه عند الموت، حتَّى يأتيني ولا ذنب له، ثمَّ أُدخله الجنَّة».

وعن عمر السابري[2] قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «إنِّي لأرى من أصحابنا مَن يرتكب الذنوبَ الموبقة».

فقال لي: «يا عمر ـ لا تشنع على أولياء الله، إنَّ وليَّنا ليرتكب ذنوباً يستحقُّ بها من الله العذاب، فيبتليه في بدنه بالسقم حتَّى تمحّص عنه الذنوب، فإن عافاه في بدنه ابتلاه في ماله، فإن عافاه في ماله ابتلاه في ولده، فإن عافاه في ولده ابتلاه في أهله، فإن عافاه في أهله ابتلاه بجار سوء يؤذيه، فإن عافاه من بوائق الدهر شدّد عليه خروجَ نفسه، حتَّى يلقاه الله حين يلقاه وهو عنه راضٍ، قد أوجب له الجنَّة».

= ٧٣/ ٣٥٠، ح٤٧.

(١) تمحيص: الباب السابق، ٣٨، ح٣٦. عنه البحار: ٦/ ١٧٢، ح٤٩. جامع الأخبار: ٣١١، ح٨٦٢. عنهما البحار: ٦٧/ ٢٣٦. وجاء ما يقرب منه أيضاً في الكافي: كتاب الإيمان والكفر، باب تعجيل عقوبة الذنب، ٢/ ٤٤٦، ح١٠.

(٢) تمحيص: الباب السابق، ٣٩، ح٣٨. عنه البحار: ٦٨/ ٢٠٠، ح٦. والراوي في المصدر: عمر صاحب السابري. ويظهر أنه عمر بن سالم، قال النجاشي: «عمر بن سالم صاحب السابري ـ كوفي ـ وأخوه ثقتان رويا عن أبي عبد الله عليه السلام . . .». وقال الشيخ في أصحاب الصادق عليه السلام (٤٧٧، رجال الشيخ ص ٢٥٣): «عمر بن سالم البزاز صاحب السابري كوفي». راجع معجم الرجال: ١٣/ ٣٧.

وعن أبي الصباح الكناني[1]، قال: كنت أنا وزرارة عند أبي عبد الله عليه السلام فقال: «لا يطعم النار أحداً وصف هذا الأمر».

فقال زرارة: «إنَّ ممَّن يصف هذا الأمر يعمل بالكبائر»؟

فقال: «أوَ ما تدري ما كان أبي يقول في ذلك؟ إنَّه كان يقول: إذا ما أصاب المؤمن من تلك الموجبات شيئاً، ابتلاه الله ببليَّة في جسده أو بخوف يدخله الله عليه، حتَّى يخرج من الدنيا وقد خرج من ذنوبه».

وروى عمر بن يزيد، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «إنِّي سمعتك وأنت تقول: «كلّ شيعتنا في الجنَّة على ما كان منهم»؟

قال: «صدقتك، كلُّهم ـ والله ـ في الجنَّة».

ـ قال: ـ قلت: «جعلت فداك ـ إنَّ الذنوب كثيرة كبار»؟

فقال: «أمَّا في القيامة فكلُّكم في الجنَّة بشفاعة النبيّ المطاع أو وصي النبيّ، ولكنّي والله أتخوَّف عليكم في البرزخ».

قلت: «وما البرزخ»؟

قال: «القبر منذ حين موته إلى يوم القيامة».

وفي اعتقادات الصدوق ـ رحمه الله ـ[2]: وروي: «إنَّه لا يصيب أحداً من أهل التوحيد ألم في النار إذا دخلوها، وإنَّما تصيبهم الآلام عند الخروج منها، فتكون تلك الآلام جزاء بما كسبت أيديهم، وما الله بظلّام للعبيد» ـ انتهى ـ.

---

(١) التمحيص: الباب السابق، ٤٠، ح٤١. عنه البحار: ٦٨/١٤٦، ح٩٣. المحاسن: كتاب الصفوة والنور، باب (٣٧) تطهير المؤمن، ١/ ١٧٢، ح٤٣، مع فرق يسير.

(٢) الاعتقادات: باب الاعتقاد في الموت. عنه البحار: ٨/ ٣٢٤، ح١٠٢.

وفي بعض الأخبار[1]: «إنَّ نصيب أُمَّتي من نار جهنَّم كنصيب إبراهيم من نار نمرود».

ونقل الغزالي في الإحياء[2] عن مولانا الباقر عليه السلام أنَّه كان يقول لأصحابه: «أنتم أهل العراق تقولون: أرجى آية في كتاب الله ـ عزَّ وجلَّ ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣] ونحن أهل البيت نقول: أرجى آية في كتاب الله قوله ـ سبحانه ـ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى: ٥].

أراد عليه السلام: أنّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم لا يرضى وواحد من أمَّته في النار.

---

(١) في الدر المنثور (٥/٥٣٥، تفسير الآية: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يبقى برّ ولا فاجر إلاّ دخلها، فتكون على المؤمن برداً وسلاماً، كما كانت على إبراهيم...»

(٢) إحياء علوم الدين: كتاب الخوف والرجاء، ٢١٧/٤. وقد أخذه الغزالي ـ على ما يظهر ـ عن قوت القلوب: شرح مقام الرجاء ووصف الراجين، ٢١٣/١.
وروى أبو نعيم في الحلية (ترجمة محمد بن الحنفية، ١٧٩/٣) بإسناده عن حرب بن شريح ـ قال:ـ «قلت لأبي جعفر محمد بن عليّ بن الحسين: جُعلتُ فداك ـ أرأيت هذه الشفاعة الذي تحدّث بها أهل العراق أحقّ هي؟».
قال: «شفاعة ماذا؟». قلت: «شفاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم».
قال: «إي والله. حدّثني عمّي ابن محمّد بن عليّ بن الحنفيّة، عن عليّ ـ رضي الله تعالى عنه ـ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أشفع لأمّتي حتّى يناديني ربّي ـ عزّ وجلّ ـ: «أرضيتَ يا محمّد؟ فأقول: نعم، يا ربّ رضيت».
ثمّ أقبل عليّ فقال: «إنكم ـ أهل العراق ـ تقولون: يا معشر أهل العراق، إنّ أرجى آية في كتاب الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣]». قلت: «إنّا لنقول ذلك».
قال: «لكنّا ـ أهل البيت ـ نقول: إنّ أرجى آية في كتاب الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى: ٥]، وهي الشفاعة».
وقد حكى الزبيدي هذه الرواية عن ابن المنذر وابن مردويه أيضاً: إتحاف السادة: ١٧٥/٩. وجاء ما يقرب منه في تفسير الفرات: سورة الضحى، ح٦، ٥٧١. عنه البحار: ٥٧/٨، ح٧٢. شواهد التنزيل للحسكاني: سورة الضحى: ٣٤٥/٢.

روي في الكافي[1] بسند حسَن: أنّ النبيّ ﷺ سُئل عن الأطفال، فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين».

وأنّ الصادق عليه السلام سُئل عمَّن مات في الفترة وعمَّن لم يدرك الحنث والمعتوه، فقال[2]: «يحتجّ الله عليهم، يرفع لهم ناراً فقال لهم: «أُدخلوها»، فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً، ومن أبى قال: «ها أنتم، قد أمرتكم فعصيتموني».

وروي في كتاب التوحيد[3] بإسناده الصحيح عن مولانا الباقر عليه السلام ـ قال: ـ «إذا كان يوم القيامة احتجَّ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ على سبعة[4]: على الطفل، وعلى الذي مات بين النبيِّين، والشيخ الكبير الذي أدرك النبيّ ـ وهو لا يعقل ـ والأبله، والمجنون الذي لا يعقل، والأصمّ، والأبكم، فكلّ واحد منهم يحتجُّ على الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فيبعث الله إليهم رسولاً فيأجّج لهم ناراً، ويقول: «إنَّ ربَّكم يأمركم أن تثبوا فيها».

---

(١) الكافي: كتاب الجنائز، باب الأطفال، ٣/٢٤٩، ح٤. معاني الأخبار: باب نوادر المعاني، ح٨٦، ٤٠٧. عنهما البحار: ٥/ ٢٩٠، ح٣. البخاري: كتاب الجنائز: باب ما قيل في أولاد المشركين، ٢/ ١٢٥. وباب في القدر: باب الله أعلم بما كانوا عاملين، ٨/ ١٥٣. مسلم: كتاب القدر، باب (٦) كل مولود يولد على الفطرة، ٤/ ٢٠٤٩، ح٢٦ ـ ٢٨. الترمذي: كتاب القدر، باب ما جاء كل مولود يولد على الفطرة، ٤/ ٤٤٧، ح٢١٣٨. المسند: ١/ ٢١٥ و٢/ ٢٤٤ و٢٥٣ و٢٥٩ و٢٦٨ و٣١٥ و٣٩٣ و٤٦٦ و٤٧١ و٤٨١ و٥١٨ و٥/ ٧٣ و٦/ ٨٤. مستدرك الحاكم: ٢/ ٣٧٠. كنز العمال: ١٤/ ٤٩٩ و٦٧٦. الموطأ: كتاب الجنائز، جامع الجنائز: ١/ ٢٣٩.

(٢) الكافي: الصفحة السابقة، ح٦. عنه البحار: ٥/ ٢٩٢، ح١٠.

(٣) التوحيد: باب الأطفال، ٣٩٢، ح٤. الخصال: باب الخمسة، ح٣١، ١/ ٢٨٣. عنه البحار: ٥/ ٢٨٩، ح٢.

(٤) كما في التوحيد ويؤيد صحته كون عدد المذكورين سبعة، ولكن في الخصال «على خمسة»، ولولا أن الصدوق ـ قده ـ ذكره في باب الخمسة منه لاحتملنا كونه من سهو النساخ. ولو تكلفنا تصحيحه نحسب الشيخ الكبير والأبله والمجنون واحداً لوحدة صفتهم «أنهم لا يعقلون».

فمن وثب فيها كانت عليه برداً وسلاماً، ومن عصى سيق إلى النار».

وبإسناده[1] عن النبي ﷺ في أطفال المشركين ـ إلى أن قال: «فيأمر الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ناراً يقال لها الفلق ـ أشدّ شيء في جهنَّم عذاباً ـ فتخرج من مكانها سوداء مظلمة بالسلاسل والأغلال، فيأمرها الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أن تنفخ في وجوه الخلائق نفخة، فتنفخ، فمن شدَّة نفخها ينقطع السماء، وتنطمس النجوم، وتجمد البحار، وتظلم الأبصار، وتضع الحواملُ حملَها، وتشيب الولدان من هولها يوم القيامة، ثمَّ يأمر الله ـ تبارك وتعالى ـ أطفالَ المشركين أن يُلقوا أنفسهم في تلك النار، فمن سبق له في علم الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أن يكون سعيداً ألقى نفسه فيها، فكانت عليه برداً وسلاماً ـ كما كانت على إبراهيم عليه السلام.

ومن سبق له في علم الله عزَّ وجلَّ أن يكون شقيّاً امتنع، فلم يلق نفسَه في النار، فيأمر الله تبارك وتعالى فتلتقطه، لتركه أمرَ الله وامتناعه من الدخول فيها، فيكون تبعاً لآبائه في جهنَّم، وذلك قوله عزَّ وجلَّ:

﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ * فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٦ ـ ١٠٨] بغير استثناء.

أقول: ويشبه أن تكون تلك النار صورة التكاليف الشرعيَّة المقدَّرة، بأن يتصوّر تلك التكاليف بالصور المناسبة لها في الآخرة ـ وهي الصورة الناريَّة ـ فمن كان منهم من أهل الإطاعة والانقياد والإيمان في علم الله ـ عزَّ وجلَّ ـ بأن كانت نفسه مفطورة على الخير، ولو كان يبقى لآمن بها وقبلَها،

---

(١) التوحيد: الباب السابق، ٣٩١، ح١. عنه البحار: ٥/ ٢٩١، ح٧.

يلقي نفسَه في النار، وإن يكن الآخر يأبى ويهاب. كما يلوَح إليه قوله ﷺ[1]: «الله أعلم بما كانوا عاملين».

وفي القرآن المجيد: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٤].

ويؤيّد هذا ما رواه في كتاب التوحيد[2]، بإسناده عن مولانا الصادق عليه السلام، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «جاء يهوديٌّ إلى النبيّ ﷺ وسأل عنه أشياء، وكان فيما سأل أن قال: يا محمَّد إن كان ربُّك لا يظلم، فكيف يخلِّد في النار أبد الآبدين من لم يعصه إلاّ أياماً معدودة»؟

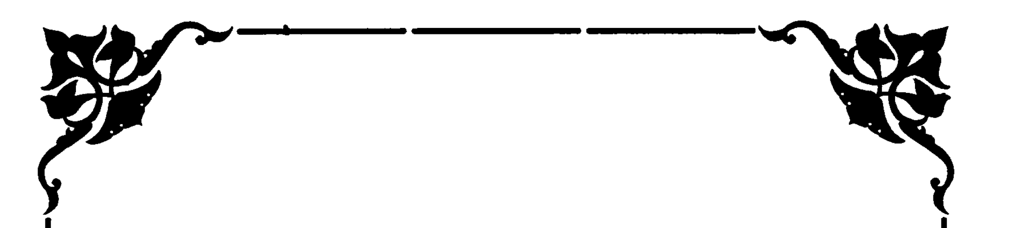
قال: «يخلِّده على نيَّته، فمن علم أنَّ نيَّته أنّه لو بقي في الدنيا إلى انقضائها كان يعصي الله ـ عزَّ وجلَّ ـ خلَّده في ناره على نيَّته، ونيَّته في ذلك شرٌّ من عمله. وكذلك يخلِّد من يخلِّد في الجنَّة بأنَّه ينوي أنّه لو بقي في الدنيا أيامها لأطاع الله أبداً، ونيَّته خيرٌ من عمله».

فبالنيّات يخلّد أهل الجنَّة الجنَّة، وأهل النار النار، والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٤].

---

(١) مضى الحديث آنفاً.

(٢) الحديث موجود في بعض نسخ المصدر، راجع التوحيد: ٣٩٩ الهامش.
وقد جاء ما يقرب منه عن الصادق عليه السلام، راجع الكافي: كتاب الإيمان والكفر، باب النيّة، ٢/ ٨٥، ح٥. والعياشي: أسرى/ ٨٤، ٢/ ٣١٦. عنه البحار: ٧٠/ ٢٠١ و٢٠٩.



الباب السابع عشر

أصناف اللذات والآلام وأربابها في الآخرة

﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً * فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾

[الواقعة: ٧ ـ ١١]





اللذة في الآخرة

اللذَّة إمَّا عقليَّة أو خياليَّة أو حسّيَّة، واللذة الخياليَّة في الآخرة ترجع إلى الحسيَّة، لأنَّ الخيال هنالك يصير عين الحسّ ويتَّحد به، ولهذا قيل: «إنَّ اللذة الخيالية لا تكون في الجنَّة».

لأنَّها من قضيَّات الوهم، إذ من شأنه أن يتخيّل أشياء على طريق التمنِّي فتلتذّ بها النفس ـ و«المُنى رأسُ مال المفاليس» ـ والآخرة دار الصدق ودار الحقائق، ولذلك سمِّيت ﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾ [الحاقة: ١]، لأنَّ فيها حواقّ الأمور، وليس فيها أباطيل وأكاذيب ولا أُمنيَّة، إذ ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١] نقداً، وإنَّما التذاذهم بالوجود المشاهَد.

فاللذَّة في الآخرة تنحصر في قسمين: العقليَّة والحسيَّة.

فالعقليّة: كالالتذاذ بالعلوم والمعارف والأُنس بالله ـ عزَّ وجلَّ ـ وبمقرّبي حضرته، وهي إنَّما تكون للسابقين المقرَّبين ﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ١٢ ـ ١٤]، على حسب مراتبهم، و﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١] وهي أحلى اللذَّات وأشهاها.

روي في الكافي[1] عن مولانا الصادق عليه السلام أنَّه قال: «لو يعلم الناس ما في فضل معرفة الله ـ تعالى ـ ما مدُّوا أعينهم إلى ما مُتِّع به الأعداء من زهرة

(١) الكافي: الروضة، ح٣٤٧، ٨/٢٤٧.

الحياة الدنيا ونعيمها، وكانت دنياهم أقلّ عندهم ممّا يطؤنه بأرجلهم، ولنعمّوا بمعرفة الله ـ تعالى ـ وتلذّذوا بها تلذّد من لم يزل في روضات الجنان مع أولياء الله.

إنّ معرفته تعالى أُنس من كلِّ وحشة، وصاحب من كلِّ وحدة، ونورٌ من كلِّ ظلمة، وقوّة من كلِّ ضعف، وشفاءٌ من كلِّ سقم».

ـ ثم قال:ـ «قد كان قبلكم قومٌ يقتلون ويُحرقون ويُنشرون بالمناشير وتضيق عليهم الأرض برحبها، فما يردُّهم عمّا هم عليه شيءٌ ممّا هم فيه من غير ترَة[1] وتروا من فعل ذلك بهم، ولا أذى بما نقموا منهم، إلاّ أن يؤمنوا بالله العزيزالحميد. فسلوا ربّكم درجاتِهم، واصبروا على نوائب دهركم، تدركوا سعيهم».

وقال بعض العلماء[2]: «لو علم الملوك ما نحن فيه من لذّة العلم لحاربونا بالسيوف».

﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١].

لأنّ المعرفة في هذه الدنيا بذر المشاهدة في الآخرة، واللذّة الكاملة متوقِّفة على المشاهدة، لأنّ الوجود لذيذٌ، وكماله ألذّ، فالمعارف التي هي مقتضى طباع القوّة العاقلة ـ من العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله ـ إذا كانت مشاهَدة للنفس، لكانت لها لذّة لا يدرك الوصف كنهها.

ولهذا ورد في الحديث[3]: «لا عيش إلاّ عيش الآخرة».

---

(١) وَتَر، يتِر، تِرَة فلاناً: أصابه بظلم أو مكروه.

(٢) أورده أيضاً في علم اليقين: ٢٥٥.

(٣) تفسير القمي: ٢/ ١٧٨، الأحزاب: ١٠. البخاري: باب ما جاء في الرقاق، ٨/ ١٠٩. طبقات ابن سعد: غزوة الخندق: ٢/ ٧٠. حلية الأولياء: ترجمة معاوية بن قرة: ٢/ ٣٠١. مسلم: كتاب الجهاد، باب غزوة الأحزاب، ٣/ ١٤٣١، ح١٢٦ ـ ١٢٧. المسند: ٣/ ١٧٢ و٢٧٦ و٥/ ٢٣٢. كنز العمال: ١٠/ ٣٨٤.

والموجودات متفاوتة في العالم العقليّ، فالسعادات متفاضلة بحسبها، وإليه أشار مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بقوله[1]:

«درجاتٌ متفاضلاتٌ ومنازلٌ متفاوتاتٌ، لا ينقطع نعيمها، ولا يظعن مقيمها، ولا يهرم خالدها، ولا ييأس ساكنها».

وتفاضلها إمّا بالنوع، أو الكمّ، أو الكيف، فإنّ كلّ نوع من الأنواع الموجودة في هذا العالم يوجد هناك على وجه عقليّ وجوداً قويّاً أو ضعيفاً، كما يوجد هيهنا صناعات مختلفة في نفس واحدة منّا متفاضلة في النوع أو القوّة والضعف، أو الكثرة والقلّة ـ ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ [الأنعام: ١٣٢].

قيل: ولمّا جاز اجتماع النفوس هناك ـ ولو بلغت إلىٰ لا نهاية ـ لعدم تضايق بعضها عن بعض، فكلّما كثرت الأرواح المفارقة عن الأبدان المتعارفة المؤتلفة واتّصل بعضها ببعض ـ اتّصال معقول بمعقول ـ كان التذاذ كلّ واحد منها بالآخر أشدّ، وكلّما لحق بهم مَن بعدهم زاد التذاذُ مَن لحق بمصادفة الماضين، وزادت لذّات الماضين بمصادفة اللاحقين، كما قال الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: ١٧٠].

وأمّا اللذّة الحسيّة: فكالالتذاذ بالطعام والشراب والنكاح والأصوات الطيّبة والنغمات الرخيمة، وهي لذّة المتوسّطين من أصحاب اليمين، كما قال الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ * وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ * وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ * وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ * وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ * إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً * فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا * لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ * ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾ [الواقعة: ٢٨ ـ ٤٠].

وقد تكون أنواع منها للسابقين المقرّبين، كما قال ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ * مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ * يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٨٥، أولها: «وأشهد أن لا إله إلا الله...».

مِّن مَّعِينٍ * لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ * وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ * وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ * جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الواقعة: ١٥ ـ ٢٤].

وهذا يدلُّ على أنَّ ذلك جزاء أعمالهم دون علومهم واعتقاداتهم، ويشبه أن لا يكون لهم كثير التذاذ بها ولا التفات، كما يشعر به قوله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ [الواقعة: ١٧] لأنَّ قرَّة عيونهم إنَّما هي في الجنَّة العالية.

* * *

قال بعض المحقِّقين[١]:

وإنَّما يحصل ذلك كلُّه بإبداع النفس تلك الصور الملذَّة في عالَمها وصُقعها الخاصِّ بها، فإنَّ للنفس اقتداراً على ذلك، ولكنَّها ما دامت في هذه النشأة لا تترتَّب عليها آثارها، لضعفها واشتغالها بالمحسوسات وانهماكها فيها، إلاّ لأصحاب الكرامات خاصَّة من الأولياء. وأمَّا في الآخرة: فيكون ذلك لعامَّة الناس، إلاّ أنَّ السعداء ـ لصفاء طويّتهم وعدالة أخلاقهم ـ تكون قرناؤهم الصُور الحسان واللؤلؤ والمرجان، والأشقياء ـ لخبث عقائدهم ورداءة أخلاقهم واعوجاج عاداتهم ـ يكون جليسهم الجحيم والزقُّوم والعقارب والحيَّات، إذ كما أنَّ الأعمال مستتبعةٌ للملكات في الدنيا بوجه، فالملكات مستتبعة للأعمال في الآخرة بوجه. وهذا معنى قول النبيّ ﷺ[٢]: «إنّ الجنّة قاعٌ صفصف فأكثروا من غراس الجنّة» ـ الحديث ـ.

وما يحصل هناك من الصور أشدُّ إلذاذاً وإيلاماً من هذه المحسوسات الملذَّة والمؤلمة بكثير، لصفاء المحلِّ، وقوَّة الفاعل، وعدم الشاغل، وذكاء المدرك، وانحصار القوى كلُّها في قوَّة واحدة ـ هي المتخيّلة ـ وصيرورتها عيناً باصرةً للنفس وقدرة فعَّالة، وانقلاب العلم مشاهدة، فلا يخطر بالبال شيء في

---

(١) مقتبس مما جاء في تفسير سورة الواقعة لصدر المتألهين: ٧/ ٣٤ ـ ٣٦.

(٢) في الترمذي (كتاب الدعوات، الباب ٥٩، ٥/ ٥١٠، ح٣٤٦٢): «إنّ الجنّة طيّبة التربة عذبة الماء، وأنّها قيعان، وأنّ غراسها: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر».

الجنَّة تميل إليه النفس إلاّ ويوجد في الحال بإذن الله ـ أي يوجد بحيث يراه رؤية عيان، ويحسُّ به إحساساً قويّاً لا أقوى منه.

وإليه الإشارة بقول النبيّ ﷺ[1] : «إنَّ في الجنَّة سوقاً يباع فيها الصور».

والسوق عبارة عن اللطف الإلهي الذي هو منبع القدرة على اختراع الصوَر بحسب المشيَّة ونيلها بالحسِّ.

وروي أنّه ورد في الحديث القدسي أنّ الله عزَّ وجلّ قال[2]: «يا بن آدم خلقتك للبقاء، وأنا حيٌّ لا أموت، أطعني فيما أمرتك به وانتَهِ عمَّا نهيتُك عنه، أجعلك مثلي حيّاً لا تموت، أنا الذي أقول للشيء: «كُن»، فيكون، أطعني فيما أمرتك به أجعلك مثلي إذا قلتَ لشيء: «كُن»، فيكون».

وفي رواية أُخرى عن النبيّ ﷺ[3] : «إنَّه يأتي الملك إلى أهل الجنَّة بعد أن يستأذن في الدخول عليهم، فإذا دخل ناولهم كتاباً من عند الله بعد أن يسلِّم عليهم من الله، فإذا في الكتاب لكلّ إنسان مخاطب به: من الحيّ القيُّوم الذي لا يموت، إلى الحيّ القيُّوم الذي لا يموت، أمَّا بعد، فإنِّي أقول للشيء: «كُن»، فيكون، وقد جعلتك اليوم تقول للشيء: «كُن»، فيكون». ـ قال ﷺ :ـ «فلا يقول أحدٌ من أهل الجنَّة لشيء: «كُن»، إلاّ ويكون».

وهذه القدرة أوسع وأكمل من القدرة على الإيجاد في المادَّة الدنياويَّة،

---

(١) جاء مع فرق يسير في جامع الأخبار: الفصل ١٣٧، ٤٩٤. عنه البحار: ٨/١٤٨، ح٧٦. المسند: ١/١٥٦. الترمذي: كتاب صفة الجنة، باب (١٥)، ٤/٦٨٦، ح٢٥٥٠. راجع تخريجات الحديث ونقد أسناده في اللآلىء المصنوعة: كتاب البعث: ٢/٤٥٤.

(٢) جاء في عدة الداعي (الباب السادس، ٢٩١): «ورد في الحديث القدسي: يا بن آدم أنا غنيّ لا أفتقر، أطعني فيما أمرتك أجعلك غنياً لا تفتقر، يا بن آدم أنا حيّ لا أموت، أطعني فيما أمرتك أجعلك حيّاً لا تموت، يا بن آدم أنا أقول للشيء «كن»، فيكون، أطعني فيما أمرتك أجعلك تقول للشيء «كن» «فيكون».

(٣) لم أعثر عليه.

لأنَّ الموجود في تلك المادَّة لا يوجد في مكانين وإذا صارت النفس مشغولة باستماع واحد ومشاهدته ومماسَّته صارت مستغرقة محجوبة عن غيره، وأمَّا هذا فيتَّسع اتّساعاً لا ضيق فيه ولا منع، حتَّى لو اشتهى مشاهدةَ النبيّ ﷺ مثلاً ألف شخص في ألف مكان في حالة واحدة، لشاهَدوه كما خطر ببالهم في الأماكن المختلفة، وأمَّا الأبصار الحاصل عن شخص النبيّ المادّي فلا يكون إلاّ في مكان واحد.

وأمر الآخرة أوفى وأوسع بالشهوات وأوفق لها، وقد تبيَّن في محلِّه أنَّ كلّ ما يصدر من الفاعل ـ لا بواسطة المادَّة الدنياويَّة ـ فحصوله في نفسه عين حصوله لفاعله، وليس من شرط الحصول: الحلول والإتِّصاف، فإنَّ صور الموجودات حاصلة للباري عزَّ وجلَّ قائمة به من غير حلول ولا اتِّصاف، وإنَّ حصول الشيء للفاعل أوكد من حصوله للقابل، فلكلّ واحد من أهل السعادة في الآخرة عالَم فيه ما يريد، ومن يرغب في صحبته ينشأ في لحظة عين أو فلتة خاطر.

فالعوالم هناك بلا نهاية، كلٌّ منها كعرض السماوات والأرض بلا مزاحمة شريك وسهيم، فكلّ عالِم عالَمٌ، والله ـ عزَّ وجلَّ ـ ربُّ العالمين.

قيل: ويمكن أن يخلق الله ـ عزَّ وجلَّ ـ إدراكاتٌ آخر لأهل الجنَّة يدركون بها ما أخفى لهم من قرَّة أعين، والله قادرٌ على كلِّ شيء وهو بكلّ شيء عليم.

وقد ظهر من هذا البيان أنّ المشتهيات في الآخرة تابعةٌ للشهوات، بعكس الدنيا، كما قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ : ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيَ أَنفُسُكُمْ﴾ [فصلت: ٣١]، فما يريد يستحضر، لا أنَّه يكون موجوداً ثمَّ يستحضر، بل يستحضر فيصير موجوداً بالاستحضار، فالحضور هناك ليس بقطع المسافة.

وأيضاً: فإنَّ الآخرة نشأة الوجود والنور والإدراك والحضور والحياة والظهور، وكلُّ ما فيها حيٌّ مدرَك كما سبق في الحديث: «إنّ الأنواع من الفاكهة ليقُلنَ لوليِّ الله: يا وليّ الله كُلني قبل أن تأكل هذا قبلي». و«إنَّ المؤمن

إذا جلس على سريره اهتزَّ سريرُه فرحاً».

وفي القرآن المجيد: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

ولا يقبل التغيُّر والاستحالة ولا تصيبها آفةٌ ولا زوالٌ، بخلاف أجسام هذه النشأة. قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: «لا يمسُّهم فيها نَصَبٌ ولا يمسُّهم فيها لغوبٌ»[1] ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦]. ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]. «جرد مرد مكحلون من أبناء ثلاث وثلاثين»[2]. ـ إلى غير ذلك.

الآلام في الآخرة

وأمَّا الآلام: فهي ـ أيضاً ـ تنقسم إلى الأقسام الثلاثة، وترجع في الآخرة إلى القسمين ـ كاللذات بعينها ـ.

والعقل ـ وإن لم يتألَّم ـ حيث لا حظّ له من الشقاء، وليس من دار الشقاء ـ إلاّ أنَ من اشتاق إليه وحرم الوصول يُسمَّى ألمُه ألماً عقليّاً ـ وأن لم يبلغ مرتبة العقل، مشاكلة للذَّة العمليَّة ومقابلة لها ـ إذ الألم يرجع في الحقيقة إلى العدم ـ كما تبيَّن في محلِّه[3] ـ والعدم إنَّما يُعرف ويمتاز بالوجود.

فالعقليُّ من الألم إنَّما يكون للجاحدين للحقِّ والمنكرين للعلوم، والكاسبين لأنفسهم شوقاً إلى الكمالات العقليَّة في الدنيا، ثمَّ التاركين الجهد في كسبها، ففقدت منهم القوَّة الهيولانيَّة، وحصلت لهم فعليَّة الشيطنة والاعوجاج، ورسخت في أوهامهم العقائدُ الباطلة، دون الناقصين بحسب

---

(١) مقتبس من قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: ٣٥].

(٢) الترمذي: كتاب صفة الجنة، باب (١٢)، ٤/ ٦٨٣، ح٢٥٤٥.

(٣) راجع الأسفار الأربعة: ٤/ ١١٧ ـ ١٢٩. عين اليقين: ٢٥٤.

الغريزة عن إدراك المراتب العالية، فإنَّ شقاوة هؤلاء غير مؤلمة لعدم معرفتهم بالكمال ولا شوقهم إليه، فهي بمنزلة الموت أو الزمانة في الأعضاء من غير شعور بمؤلم.

وكلاهما مشتركان في عدم الانجبار في الآخرة، إلاّ أنّ البلاهة أدنى إلى الخلاص من فطانة بتراء.

فعذابُ الناقصين بالذوات عظيم ـ من دون ألم ـ وإلى أمثالهم الإشارة بقوله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة: ٦ ـ ٧].

وعذاب الجاحدين والمنافقين أليم، وإليهم الإشارة بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ * يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ٨ ـ ١١]. وهذا الألم العقلي ـ الكائن عن المضادّات للحقِّ ـ هو بإزاء اللذّة والراحة الكائنة عن مقابلاتها، وكما أنَّ تلك أجلُّ من كلِّ إحساس بأمر ملائم، فكذلك هذه أشدُّ من كلِّ إحساس بمنافر حسِّيّ، من تفريق اتّصال بالنار، أو تجميدٍ بالزمهرير، أو قطع بالمناشير، أو سقطةٍ من شاهق ـ أو نحو ذلك ـ أعاذنا الله وأخواننا منه بمنّه.

وأمّا الألم الحسّي: فهو لمن غلبت عليه الهيئات البدنيّة من المعاصي الحسيّة ـ كالفسوق والمظالم ـ والأخلاق المذمومة ـ كالحرص والحسد ـ إلى غير ذلك، فإنّها بعينها تصير حيّات وعقارب محسوسة ـ كما دريت في اللذات الحسيّة ـ فإنَّ هذه الهيئات الانقهاريّة قبيحةٌ مؤلمة لجوهر النفس، مضادّةٌ لحقيقتها، لأنَّ حقيقتها تستدعي أن تكون لها هيئة استعلائيّة قهريّة على البدن وقواه الشهويّة والغضبيّة، فإذا انقهرت عنها وانقادت وخدمت أيّاها في تحصيل

مآربها الدنيَّة كان ذلك موجب شقاوتها وتألُّمها وحسرتها.

إلاّ أنّ إقبالها على البدن وشواغله يُنسيها عن أمر عاقبتها، وسكر الطبيعة يشغلها عن الإحساس بفضيحتها، فإذا زال العائق وارتفع الحجاب وكشف الغطاء بموت البدن تصوّرت تلك الهيئات بالصور القبيحة المؤلمة التي تناسبها في تلك النشأة، كما قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [آل عمران: ١٨٠] ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ [التوبة: ٣٥].

ولكن لمّا كانت هذه الهيئات غريبة عن جوهر النفس وكذا ما يلزمها، فلا يبعد أن تزول في مدّة من الدهر متفاوتة حسب تفاوت العوائق في رسوخها وضعفها وكثرتها وقلّتها ـ إن شاء الله ـ «فيخرج من النار مَن في قلبه مثقال ذرَّة من الإيمان» ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [٩٩/ ٧ ـ ٨] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ١١٦].

محصَّل الكلام[1] أنَّ أصول النشآت ثلاثة: العقليُّ والخياليُّ والحسّيُّ.

فكلُّ من غلبت عليه فيالدنيا واحدة من تلك النشآت فمآله بعد وفاته إليها.

فمن غلبت عليه القوّة العقليّة واستكملت بإدراك العقليّات المحضة، والعلم باليقينيّات الحقيقيّة، فمآله إلى النشأة العقليّة في عليّين مع الملائكة المقرَّبين، والأنبياء والصدِّيقين، والشهداء والصالحين ـ وهو الشيعة لأئمّة الهدى حقّاً، لمشايعته لهم على طريقتهم.

---

(١) المؤلف ـ قده ـ ختم هذا الباب هنا وكتب بعده الباب الآتي (باب خلود الفريقين)، ثم استدرك بعد مراجعته وأضاف الفصول الآتية من هذا الباب في أوراق ألحقها بنسخته، وهذا واضح من التأمل في النسخة.

ومن غلبت عليه اللذات الحسيّة الأخرويّة ـ من الجنَّة ونعيمها وسرورها وحورها وقصورها، والخوف من عذاب الآخرة ونار جهنَّم وآلامها ـ وعمل بمقتضى الوعد والوعيد، فمآله إلى النشأة الخياليّة الحسّية في نعيم الجنَّة في أصحاب اليمين، ـ وهو المحبُّ والموالي لأئمَّة الهدى ـ صلوات الله عليهم ـ.

ومن غلبت عليه المستلذّات الحسِّية الدنيويّة والعادة بهذه المألوفات الفانية، فهو بعد وفاته أليف غصَّة شديدة، ورهين عذاب أليم، لأنَّ الدنيا ولذّاتها أمور مَجازيَّة لا حقيقة، والإحساس بها انفعالات تنفعل النفس بها عند الحدوث، وتزول بسرعة عنها ولا تدوم، ولكن يبقى الأثر والعادة في المحبَّة والاشتياق.

فمن عشقها واشتاقها كان كمن أحبَّ أمراً معدوماً، محبَّةً مفرِطة، وطلب شيئاً باطلاً طلباً شديداً، وحيث لم يكن لمحبوبه أثرٌ ولا لطلبه أثرٌ فهو في هذه الحال في غصَّة شديدة وألم دائم.

إلاّ أنَّهم ما داموا في الدنيا يشتبه ذلك عليهم، ويزعمون أنَّ لمحبوباتهم حقيقةً، فيأكلون ويتمتَّعون ﴿ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ [محمد: ١٢]، لأنَّه إذا طلعت شمسُ الآخرة وقامت، اضمحلَّت بها رسومُ المَجازات، وذابت بإشراقها أكوانُ المحسوسات، اضمحلال الظلال وذوبان الجميد بحرارة ارتفاع الشمس في أوان الصيف، فبقي المحب للدنيا والمحسوسات الماديَّة محترقاً بنار الجحيم، معذَّباً بالعذاب الأليم[١].

---

(١) كتب في الهامش:
قال أمير المؤمنين عليه السلام [نهج البلاغة: الخطبة ٤٢، أولها: «أيها الناس ـ إنّ الوفاء توأم الصدق. . .»]: «ألا وإنّ الدنيا قد ولّت حذّاء، فلم يبق منه إلاّ صُبابة كصبابة الإناء اصطبَّها صابُّها، ألا وإنَّ الآخرة قد أقبلت، ولكلٍّ منها بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإنَّ كلَّ ولد سيلحق بأبيه يوم القيامة».
قوله: «حذّاء»: أي خفيفة مسرعة، لا يتعلّق أحدٌ منها بشيء. والصبابة: بقيَّة الماء في الإناء.

قال الفاضل العارف كمال الدين بن ميثم البحراني في شرح نهج البلاغة عند قوله عليه السلام «درجات متفاضلات»[1]:

«اعلم أنَّ ألذَّ ثمار الجنَّة هي المعارف الإلهيَّة، والنظر إلى وجه الله ذي الجلال والإكرام، والسعداء في الوصول إلى نيل هذه الثمرة على مراتب متفاوتة ودرجات متفاضلة:

فالأولى: مرتبة مَن أُوتي الكمال في حدس القوَّة النظريَّة، حتَّى استغنى عن معلِّم بشريٍّ رأساً، وأوتي مع ذلك ثبات قوَّته المفكِّرة واستقامة وهمه، منقاداً تحت قلم العقل، فلا يلتفت إلى العالم المحسوس بما فيه، حتَّى يشاهد العالم المعقول بما فيه من الأحوال، ويستثبتها في اليقظة، فيصير العالم وما يجري فيه متمثّلاً في نفسه، فيكون لقوَّته النفسانيَّة أن تؤثر في عالم الطبيعة، حتَّى ينتهي إلى درجة النفوس السماويَّة، وتلك هي النفوس القدسيَّة أولات المعارج، وهم ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١٠ ـ ١١]، وهم أفضل النوع البشريّ وأحقُّه بأعلى درجات السعادة في الجنَّة.

المرتبة الثانية: مرتبة مَن له الأمران الأوّلان دون الثالث ـ أعني التأثير في عالم الطبيعة ـ وهذه مرتبة أصحاب اليمين وتحتها مراتب:

فإحداها: مرتبة مَن له استعداد طبيعيٌّ لاستكمال قوَّته النظريَّة ـ دون العمليَّة ـ.

الثانية: مرتبة من اكتسب ذلك الاستكمال في قوَّته النظريَّة اكتساباً تكليفيَّاً، دون تهيّؤ طبيعيٍّ، ولا حصَّة له في أمر القوَّة العمليَّة.

الثالثة: مرتبة من ليس له تهيُّؤٌ طبيعيٌّ، ولا اكتساب تكليفيّ في قوَّته النظريّة، وله ذلك التهيُّؤ في قوَّته العمليَّة.

(١) شرح نهج البلاغة: ٢/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠. الخطبة ٨٢ حسب ترقيم الشرح.

الرابعة: مرتبة من له تكلُّف في إصلاح الأخلاق واكتساب الملكات الفاضلة، دون تهيّؤٍ طبيعيّ لذلك.

إذا عرفت ذلك ـ فاعلم أنَّ للمقرَّبين البالغين في الملكات الشريفة لذّات عظيمة في الجنَّة، قد فازوا بنعيم الأبد والسرور الدائم في حضرة جلال ربّ العالمين ـ ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٥] ـ غير مخرجين عن لذّاتهم، لهم فيها ما تشتهي الأنفس وتلذُّ الأعين، وهم فيها خالدون.

كما قال عَلَيْهِ السَّلَامُ[(١)]: «لا يظعن مقيمها».

جُرد عن عوارض الأبدان وشوائب المواد، مُرْدٌ عن مزاحمة القوى المتغالبة المتجاذبة المؤدية إلى الهرم والموت، مكحلين بالأنوار الساطعة، ينظرون إلى ربِّهم بوجوههم المفارقة. وأمّا ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٢٧] ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٩١] ولهم لذَّات دون الوصول إلى رتبة السابقين، وقد يخالط لذّات هؤلاء شوبٌ من لذّات المقرَّبين كما أُشير إليه في التنزيل الإلهي في وصف شراب الأبرار، و﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففي: ٢٧، ٢٨].

ولكلٍّ من المراتب المذكورة كمالٌ يخصُّه ودرجة من السعادة في الجنَّة تخصُّه، كما قال: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٣] وقال: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، وقال: ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الزمر: ٢٠][(٢)].

قال بعض العلماء[(٣)] في بيان توزُّع الدرجات والدركات في الآخرة على الحسنات والسيّئات بضرب المثَل:

---

(١) من فقرات الخطبة المذكورة.

(٢) إلى هنا انتهى المنقول من شرح ابن ميثم.

(٣) إحياء علوم الدين: كتاب التوبة، كيفية توزّع الدرجات والدركات: ٤/ ٣٥ ـ ٤٧ ـ.

«إنَّ الناس ينقسمون في الآخرة أصنافاً، وتتفاوت درجاتُهم في السعادة والشقاوة تفاوتاً لا يدخل تحت الحصر، كما تفاوتت في سعادة الدنيا وشقاوتها، ولا تُفارق الآخرةُ الدنيا في هذا المعنى أصلاً وألبتة، فإنَّ مدبِّر المُلك والملكوت واحد لا شريك له، فسنَّته الصادرة عن إرادته الأزليَّة مطَّردة لا تبديل لها، إلاّ أنَّا إن عجزنا عن إحصاء آحاد الدرجات، فلا نعجز عن آحاد الأجناس.

فنقول: الناس في الآخرة ينقسمون بالضرورة إلى أربعة أقسام: هالكين ومعذَّبين وناجين وفائزين.

ومثاله من الدنيا أن يستولي ملكٌ من الملوك على إقليم، فيقتل بعضهم - فهم الهالكون - ويعذِّب بعضهم مدَّة ولا يقتلهم - فهم المعذَّبون - ويخلِّي بعضَهم - فهم الناجون - ويخلّع على بعضهم - فهم الفائزون -.

فإن كان الملك عادلاً لم يقسمهم ذلك إلاّ باستحقاق، فلا يقتل إلاّ جاحداً لاستحقاقه الملك، معانداً له في أصل الدولة، ولا يعذِّب إلاّ من قصّر في خدمته مع الاعتراف بملكه وعلوِّ درجته، ولا يخلِّي إلاّ معترفاً له برتبة الملك - لكنّه لم يقصِّر ليعذَّب ولم يخدم ليخلّع عليه، ولا يخلّع إلاّ على من أبلى عذره في الخدمة والنصرة.

ثمَّ ينبغي أن يكون خلعَ الفائزين متفاوت الدرجات بحسب درجات خدمتهم، وإهلاك الهالكين: إمَّا تخفيفاً بجزِّ الرقبة، وإمَّا تنكيلاً بالمُثلة - بحسب درجات معاندتهم - وتعذيب المعذَّبين في الخفَّة والشدَّة وطول المدَّة وقصرها واتِّحاد أنواعها واختلافها بحسب درجات تقصيرهم، فينقسم كلُّ رتبة من هذه الرتب إلى درجات لا تنحصر.

- وكذلك - فافهم أنّ الناس في الآخرة هكذا يتفاوتون: فمِن هالكٍ ومِن معذِّب مدَّة ومِن ناج يخلّى في دار السلامة، ومِن فائز - والفائزون ينقسمون إلى

مَن يخلّون في جنّات عدن، أو جنّات المأوى، أو جنّات الفردوس ـ والمعذَّبون ينقسمون إلى مَن يعذَّب قليلاً، وإلى من يعذَّب ألف سنة ـ إلى سبعة آلاف سنة، وذلك آخر مَن يخرج من النار كما ورد في الخبر[١].

وكذلك الهالكون الآيسون من رحمة الله تتفاوت درجاتهم.

* * *

وهذه الدرجات بحسب اختلاف الطاعات والمعاصي، فلنذكر كيفيَّة توزُّعها عليهما:

أمَّا الرتبة الأولى: فهي الهلاك، ونعني بالهالكين: الآيسين من رحمة الله، إذ الذي قتله الملِك ـ في المثال الذي ضربناه ـ آيسٌ من رضاء الملك وإكرامه ـ فلا تغفل عن معاني المثال ـ.

وهذه الدرجة لا تكون إلاّ للجاحدين والمعرضين، المتجرِّدين للدنيا، المكذِّبين بالله وبرسله وبكتبه، فإنَّ السعادة الأُخرويَّة في القرب من الله والنظر إلى وجهه الكريم، وذلك لا يُنال أصلاً إلاّ بالمعرفة التي يعبَّر عنها بالإيمان والتصديق، والجاحدون هم المنكرون، والمكذِّبون هم الآيسون عن رحمة الله أبد الآباد، وهم الذين يكذِّبون بربِّ العالمين، وبأنبيائه المرسلين، وهم ﴿عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] لا محالة ـ وكلُّ محجوب عن محبوب فمحولٌ بينه وبين ما يشتهيه، فهو لا محالة يكون محترقاً ـ مع نار جهنَّم ـ بنار الفراق. ولذلك قال العارفون: «ليس خوفنا من نار جهنَّم، ولا رجاؤنا للحور العين، إنَّما مطلبنا اللقاء، ومهربنا من الحجاب فقط».

وقالوا: «من يعبد الله بعوض فهو لئيم، إذ يعبده لطلب جنَّته أو لخوف ناره، بل العارف يعبده لذاته، فلا يطلب إلاّ ذاتَه فقط، وأمَّا الحور والفواكه فقد

---

(١) قال العراقي في تخريج هذا الخبر (المغني: ذيل الإحياء الطبعة القديمة، ٤/ ٢٤): «أخرجه الترمذي الحكيم في نوادر الأصول». في قوت القلوب (٢/ ١٤٩): «وقد جاء في العلم أن آخر من يبقى في جهنم من الموحدين سبعة آلاف سنة».

لا يشتهيها، وأمَّا النار فقد لا يتَّقيها، إذ نار الفراق إذا استولت ربَّما غلبت النارَ المحرقة للأجسام، فإنَّ نار الفراق ﴿ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ * ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴾ [الهمزة: ٦ ـ ٧]، ونار جهنَّم لا شغل لها إلا مع الأجسام، وألم الأجسام يستحقر مع ألم الفؤاد، ولذلك قيل[١]:

ففي فؤاد المحبِّ نارُ جوىً ... أحرُّ نار الجحيم أبردُها

ولا ينبغي أن يُنكر هذا في عالم الآخرة، إذ له نظير مشاهَد في عالم الدنيا، فقد رُئي من غَلب عليه الوجدُ فعدا على النار وعلى أصول القصَب الجارحة للقدم، ولا يحسُّ به لفرط غلبة ما في جوفه، ويُرى الغضبان يستولي عليه الغضب في القتال فتصيبه جراحات وهو لا يشعر بها في الحال، لأنَّ الغضب نارٌ في القلب: قال رسول الله ﷺ[٢]: «الغضب قطعةٌ من النار».

واحتراق الفؤاد أشدُّ من احتراق الأجساد، والأشدُّ يبطل الإحساس بالأضعف كما تراه، فليس ألَمُكَ من النار والسيف إلاّ من حيث أنَّه يفرِّق بين جزئين يرتبط أحدهما بالآخر برابطة التأليف المتمكّن في الأجسام، فالذي يفرِّق بين القلب وبين محبوبه المرتبط به برابطة تأليف أشدُّ إحكاماً من تأليف الأجسام فهو أشدّ إيلاماً ـ إن كنت من أرباب البصائر وأرباب القلوب ـ».

قال[٣]:

«فقد ظهر أنَّ رتبة الهلاك ليس إلاّ للجهَّال المكذِّبين، وشهادة ذلك من

---

(١) البيت للمتنبي من قصيدة يمدح بها محمد بن عبيد الله العلوي، ديوانه بشرح اليازجي، ٤.

(٢) في الترمذي (كتاب الفتن، باب (٢٦)، ٤/ ٤٨٤، ح٢١٩١): «الغضب جمرة في قلب ابن آدم». ويقرب منه ما في المسند: ١٩/٣. وفيه (٢/ ٢٢٦): «إنّ الغضب من الشيطان، وإنّ الشيطان من النار...». وفي الدر المنثور (آل عمران/ ١٣٤، ٢/ ٣٢٠): «... إنّ الغضب ميسم من نار جهنّم...».

(٣) إحياء علوم الدين: ٤/ ٣٩.

كتاب الله ـ تعالى ـ وسنّة رسوله ﷺ لا يدخل تحت الحصر ـ فلذلك لم نورده ـ.

والرتبة الثانية: رتبة المعذَّبين، وهذه رتبة من لم يخلّ بأصل الإيمان، ولكن قصَّر في الوفاء بمقتضاه، فإنَّ رأس الإيمان هو التوحيد، وهو أن لا يعبد إلاّ الله، ومن اتَّبع هواه فقد اتَّخذ إلهه هواه، فهو موحِّد بلسانه لا بالحقيقة.

بل معنى قولك: «لا إله إلاّ الله»، قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ [الأنعام: ٩١] ـ وهو لن يذر بالكليَّة غير الله ـ ومعنى قوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ [فصلت: ٣٠].

ولمَّا كان الصراطُ المستقيم ـ الذي لا يكمل التوحيد إلاّ بالاستقامة عليه ـ أدقَّ من الشَّعر وأحدَّ من السيف ـ مثل الصراط الموصوف في الآخرة ـ فلا ينفكّ بشرٌ عن ميل عن الاستقامة ولو في أمر يسير، ولا يخلو عن اتِّباع الهوى ولو في فعل قليل، وذلك قادح في كمال التوحيد بقدر ميله عن الصراط المستقيم، فذلك يقتضي لا محالة نقصاناً في درجة القرب، ومع كلّ نقصان ناران: نارُ الفراق لذلك الكمال الفائت بالنقصان، ونارُ جهنَّم كما وصفها القرآن.

فيكون كلُّ مائل عن الصراط المستقيم معذَّباً مرَّتين من وجهين، ولكن شدَّة ذلك العذاب وخفّته وتفاوته بحسب طول المدَّة إنَّما يكون بسبب أمرين: أحدهما قوَّة الإيمان وضعفه، والثاني كثرة اتِّباع الهوى وقلَّته، إذ لا يخلو بشرٌ في غالب الأمر عن واحد من الأمرين. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧١ ـ ٧٢].

ولذلك قال الخائِفون[١]: «إنَّما خوفنا لأنَّا تيقَّنا أنَّا على النار واردون،

---

(١) قال الزبيدي (إتحاف السادة: ٨/٥٥): «أخرج أحمد في الزهد عن بكر بن عبد الله =

وشككنا في النجاة».

واعلم أنَّ في الأخبار ما يدلُّ على أنَّ «آخر من يخرج من النار بعد سبعة آلاف سنة»[1]، وأنَّ الاختلاف في المدَّة بين اللحظة وبين سبعة آلاف سنة، حتَّى قد يجوز بعضهم على النار كبرقٍ خاطف ولا يكون له فيها لبث. وبين اللحظة وسبعة آلاف سنة درجاتٌ متفاوتةٌ، من اليوم، والأسبوع، والشهر ـ وسائر المُدَد ـ وأنَّ الاختلاف بالشدَّة لا نهاية لأعلاه، وأدناه التعذيب بالمناقشة في الحساب، كما أنَّ الملِك قد يعذِّب بعضَ المقصِّرين في الأعمال بالمناقشة بالحساب ثمَّ يعفو، وقد يضرب بالسياط، وقد يعذِّب بأنواع أُخر من العذاب.

ويتطرَّق إلى العذاب اختلاف ثالث غير المدَّة والشدَّة، وهو اختلاف الأنواع، إذ ليس من يعذَّب بمصادرة المال فقط، كمن يعذَّب بأخذ المال وبقتل الولد واستباحة الحريم وتعذيب الأقارب والضرب وقطع اللسان واليد والأنف والأذن وغيره.

فهذه الاختلافات ثابتةٌ في عذاب الآخرة، دلَّ عليها قواطع الشرع، وهي بحسب اختلاف قوَّة الإيمان وضعفه، وكثرة الطاعات وقلَّتها، وكثرة السيّئات وقلَّتها، أمَّا شدَّة العذاب فبشدَّة قُبح السيِّئات وكبرها، وأمَّا كثرته فبكثرتها، وأمّا اختلاف أنواعه فباختلاف أنواع السيّئات.

وقد انكشف هذا لأرباب القلوب مع شواهد القرآن بنور الإيمان، وهو المعنيُّ بقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، وبقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [غافر: ١٧]، وبقوله: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا

= المزني: لمّا نزلت هذه الآية ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] ذهب عبد الله بن أبي رواحة إلى بيته فبكى وبكى أهل بيته ببكائه فسئل عن بكائه، قال: أنزلت على رسول الله ﷺ آية تبأني فيها ربّي أنّي وارد على النار، ولم ينبئني أنّي صادر عنها، فذلك أبكاني».

(١) مضى آنفاً.

سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩]، وبقوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨].

إلى غير ذلك ممّا ورد في الكتاب والسنّة من كون الثواب والعقاب جزاء على الأعمال، وكلّ ذلك بعدل لا ظلم فيه. وجانب العفو والرحمة أرجح إذ قال ـ تعالى ـ فيما أخبر عنه نبيّنا ﷺ: «سبقت رحمتي غضبي». وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

فإذا هذه الأمور الكليّة من ارتباط الدرجات والدركات بالحسنات والسيّئات معلومةٌ بقواطع الشرع ونور المعرفة، فأمّا التفصيل، فلا يعرف إلاّ ظنّاً، ومستنده ظواهر الأخبار ونوع حدس يستمدُّ من أنوار الاستبصار بعين الاعتبار.

فنقول: كلُّ من أحكمَ أصلَ الإيمان، واجتنب جميعَ الكبائر، وأحسنَ جميعَ الفرائض ـ أعني الأركان الخمسة ـ ولم يكن منه إلاّ صغائر متفرّقة لم يصرّ عليها، فيشبه أن يكون عذابُه المناقشةُ في الحساب ـ فقط ـ فإنّه إذا حوسب رجحت حسناتُه على سيّئاته، إذ ورد في الأخبار[1]:

«إنَّ الصلوات الخمس والجمعةَ وصومَ رمضان، كفّارةٌ لما بينهنَّ».

وكذلك اجتناب الكبائر بحكم نصّ القرآن مكفِّر للصغائر، وأقلُّ درجات التكفير أن يدفع العذاب ـ إن لم يدفع الحساب ـ وكلُّ مَن هذا حاله فقد ﴿ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الأعراف: ٨] فينبغي أن يكون بعد ظهور الرجحان في الميزان وبعد الفراغ من الحساب ﴿فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١].

نعم ـ التحاقُه بأصحاب اليمين أو بالمقرّبين، ونزوله في جنّات عدن أو

---

(١) جاء ما يقرب منه في المسند: ٢/٢٢٩ و٥٠٦. كنز العمال: ٧/٣١٨. والمستدرك للحاكم: كتاب العلم: ١/١٢٠.
=

في الفردوس الأعلى، فذلك يتَّبع أصناف الإيمان، لأنَّ الإيمان إيمانان: تقليديٌّ ـ كإيمان العوام يصدِّقون بما يسمعون ويستمرُّون عليه ـ وإيمانٌ كشفيٌّ، يحصل بانشراح الصدر بنور الله، حتَّى ينكشف فيه الوجود كلُّه على ما هو عليه، فيتَّضح أنَّ الكلَّ إلى الله مرجعه ومصيره، إذ ليس في الوجود إلاّ الله وصفاته وأفعاله.

فهذا الصنف هم المقرَّبون النازلون في الفردوس الأعلى، وهم على غاية القرب من الملأ الأعلى.

وهم ـ أيضاً ـ على أصناف: فمنهم السابقون، ومنهم مَن دونهم، وتفاوتهم بحسب تفاوت معرفتهم بالله ـ تعالى ـ.

ودرجات العارفين في المعرفة لا تنحصر، إذ الإحاطة بكنه جلال الله غير ممكن، وبحر المعرفة ليس له ساحلٌ وعمقٌ، وإنَّما يغوص فيه الغوّاصون بقدر قُواهم، وبقدر ما سبق لهم من الله في الأزل، فالطريق إلى الله لا نهاية لمنازله، فالسالكون سبيلَ الله لا نهاية لدرجاتهم.

* * *

وأمَّا المؤمن إيماناً تقليديّاً: فهو من أصحاب اليمين، ودرجته دون درجة المقرَّبين.

وهم أيضاً على درجات: فالأعلى من درجات أصحاب اليمين يقارب رتبتُه رتبة الأدنى من درجات المقرَّبين، هذا حالُ من اجتنب كلَّ الكبائر وأدَّى الفرائض كلَّها ـ أعني الأركان الخمسة التي هي: النطق بكلمة الشهادة باللسان، والصلاة والزكاة والصوم والحج ـ.

وأمَّا من ارتكب كبيرة أو كبائر وأهمل بعضَ أركان الإسلام، فإن تاب توبةً نصوحاً قبل قرب الأجل، التحق بمَن لم يرتكب ـ.

ـ لأن «التائب من الذنب كمن لا ذنب له»[1] والثوب المغسول كالذي لم يتوسَّخ أصلاً ـ.

وإن مات قبل التوبة فهذا أمر مخطّر عند الموت، إذ ربَّما يكون موته على الإصرار سبباً لتزلزل إيمانه، فيختم له بسوء الخاتمة، لا سيَّما إذا كان إيمانه تقليدياً ـ فإنَّ التقليد ـ وإن كان جزماً ـ فهو قابل للانحلال بأدنى شكٍّ وخيال ـ والعارف البصير أبعد من أن يخاف عليه سوء الخاتمة، وكلاهما إن ماتا على الإيمان يعذَّبان ـ إلاّ أن يعفو الله ـ عذاباً يزيد على عذاب المناقشة في الحساب، وتكون كثرة العذاب من حيث المدَّة بحسب كثرة مدَّة الإصرار، ومن حيث الشدّة بحسب قبح الكبائر، ومن حيث اختلاف النوع بحسب أصناف السيّئات.

وعند انقضاء مدَّة العقاب ينزل البله المقلِّدون في درجات أصحاب اليمين، والعارفون المستبصرون في أعلى عليِّين، ففي الخبر[2]: «آخر مَن يخرج من النار يعطى مثل الدنيا كلّها عشرة أضعاف».

ولا تظنَنَّ أنَّ المراد به تقديرٌ بالمساحة لأطراف الأجسام، بأن يقابل فرسخ بفرسخين أو عشرة ـ فإنَّ هذا جهل بطريق ضرب الأمثال ـ بل هذا كقول القائل أخذ منه جَملاً وأعطاه عشرة أمثاله، وكان الجَمل يساوي عشرة دنانير فأعطاه مئة دينار، فإنَّ مَن لم يفهم من المَثل، إلاّ المِثل في الوزن والثقل، فلا يكون مئة

---

(١) ابن ماجة: كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، ٢/ ١٤٢٠. الرسالة القشيرية: باب التوبة، ١٦٨. كنز العمال: ٤/ ٢٠٧ ـ ٢٠٥ و٢٦١، ح١٠١٧٤ ـ ١٠١٧٦ و١٠٤٢٨. وجاء في الكافي (كتاب الإيمان والكفر، باب التوبة، ٢/ ٤٣٥) عن الباقر عليه السلام أيضاً.

(٢) أخرج الطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ١٦٥، ح١٠٣٣٩): «إنّ آخر من يخرج من النار ويدخل الجنة رجل يحبو... فيقال له: أدخل، إنّ لك عشرة أمثال الدنيا، أو مثل الدنيا عشر مرّات...».
وأخرج الترمذي (كتاب صفة جهنّم، باب ١٠، ح٢٥٩٥، ٤/ ٧٠٢): «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّي لأعرف آخر أهل النار خروجاً، رجل يخرج منها زحفاً... فيقال له تمنَّ: ـ قال: ـ فيتمنى. فيقال له: فإنّ لك ما تمنّيت وعشرة أضعاف الدنيا...».

دينار ـ لو وُضعت في كفَّة الميزان، والجَمل في الكفَّة الأُخرى، عُشر عشيره ـ بل هو موازنة معاني الأجسام وأرواحها ـ دون أشخاصها وهياكلها ـ فإنَّ الجمل لا يُقصد لثقله وطوله وعرضه ومساحته، بل لماليَّته، فروحُه الماليَّة، وجسمُه اللحم والدم، ومئة دينار عشرة أمثاله بالموازنة الروحانيَّة، لا بالموازنة الجسمانيَّة. . . ».

ـ ثمَّ قال[1] ـ :

« . . . ولا يخرج من النار إلاّ موحِّد، ولست أعني بالتوحيد أن يقول بلسانه: «لا إله إلا الله»، فإنَّ اللسان من عالَم المُلك والشهادة، فلا ينفع إلاّ في عالم المُلك، فيدفع السيفَ عن رقبته وأيدي الغانمين عن ماله، ومدَّةُ الرقبة والمال مدَّة الحياة، فحيث لا يبقى رقبةٌ ولا مالٌ لا ينفع القول باللسان، وإنَّما ينفع الصدق في التوحيد، وكمال التوحيد أن لا يرى الأمور كلَّها إلاّ من الله، وعلامتُه أن لا يغضب على أحد من الخَلق بما يجري عليه ـ إذ لا يرى الوسائط وإنَّما يرى مسبِّب الأسباب ـ وهذا التوحيد متفاوتٌ: فمِن الناس مَن له مِن التوحيد مثلُ الجبال، ومنهم مَن له مِثقالٌ، ومنهم مَن له مقدارُ خردلة وذرَّة، فمن في قلبه مثقالُ دينار من إيمان فهو أوَّل مُخرَج من النار، وفي الخبر[2]:

«يقال أخرجوا من النار من في قلبه مثقال دينار من إيمان».

و«آخر مَن يخرج مَن في قلبه مثقال ذرّة من إيمان».

وما بين المثقال والذرَّة على تفاوت درجاتهم، يخرجون بين طبقة المثقال وبين طبقة الذرَّة، والموازنة بالمثقال والذرّة على سبيل ضرب المثَل ـ كما

---

(١) إحياء علوم الدين: ٤/ ٤٤.

(٢) البخاري: كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء، ٩/ ١٥٩ ـ ١٦٠: « . . . فيقول الله تعالى: اذهبوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه. . . إذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه. . . ». ويقرب منه ما في ابن ماجة: ١/ ٢٣، المقدمة، باب (٩) في الإيمان، ح٦٠.

ذكرناه من الموازنة بين أعيان الأموال وبين النقود ـ وأكثر ما يُدخل الموحِّدين النارَ مظالم العباد، فديوان العباد هو الديوان الذي لا يُترك، وأمَّا بقيَّة السيِّئات، فيتسارع العفوُ والتكفير إليها. ففي الأثر[1]: «إنَّ العبد ليوقف بين يدي الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وله من الحسنات أمثال الجبال، لو سلِّمت له لكان من أهل الجنَّة، فيقول أصحاب المظالم، فيكون قد سبَّ عِرَض هذا، وأخذ مالَ هذا، وضرَب هذا، فينقص من حسناته حتَّى لا يبقى له حسنةٌ، فتقول الملائكة: «يا ربَّنا قد فنيت حسناتُه وبقي طالبون كثير»، فيقال: «ألقوا من سيِّئاتهم على سيئاته وصكُّوا له صكّاً إلى النار».

وكما يهلك هو بسيّئة غيره بطريق القصاص، فكذلك ينجو المظلوم بحسنة الظالم، إذ ينقل إليه عوضاً عمَّا ظلمه به. وقد حُكي عن ابن الجلا[2] أنّ بعض إخوانه اغتابه، ثمَّ أرسل إليه استحلّه، فقال: لا أفعل، ليس في صحيفتي حسنة أفضل منها، فكيف أمحوها»؟

وقال هو وغيره: «ذنوبُ إخواني من حسناتي، أُريد أن أزيِّن بها صحيفتي».

***

فهذا ما أردنا أن نذكره من اختلاف العباد في المعاد في درجات السعادة والشقاوة، وكلّ ذلك حكمٌ بظاهر الأسباب، يضاهي حكْمَ الطبيب على مريضٍ بأنَّه يموت لا محالة ولا يقبل العلاج، وعلى مريضٍ آخر بأنَّ عارضه خفيف وعلاجه هيِّنٌ، فإنَّ ذلك ظنٌّ يصيب في أكثر الأحوال، ولكن قد تئوب إلى

---

(١) أخذه الغزالي عن قوت القلوب واللفظ له مع فروق يسيرة. وقد أخرج الحاكم في المستدرك (كتاب الأهوال، ٤/ ٥٧٤): «يرفع للرجل الصحيفة يوم القيامة، فما تزال مظالم بني آدم تتبعه حتى ما يبقى له حسنة، وتزاد عليه من سيّئاتهم».

(٢) أحمد بن يحيى الجلاء أبو عبد الله، قال القشيري (الرسالة القشيرية: ٧٦) بغدادي الأصل، أقام بالرملة ودمشق، من أكابر مشائخ الشام. صحب أبا تراب وذا النون وأبا عبيد البسري وأباه يحيى الجلاء...». وكلامه هذا في قوت القلوب: ٢/ ١٥٠.

المشرف على الهلاكِ نفسَه من حيث لا يشعر الطبيب، وقد يساق إلى ذي العارض الخفيف أجلُه من حيث لا يطّلع عليه، وذلك لأسرار الله الخفيَّة في أرواح الأحياء، وغموض الأسباب التي رتَّبها مسبِّبُ الأسباب بقدَرٍ معلوم، إذ ليس في قوَّة البشر الوقوف على كنهها.

فكذلك النجاة والفوز في الآخرة لهما أسباب خفيَّة ليس في قوَّة البشر الإطِّلاع عليها، يعبَّر عن ذلك السبب الخفيّ المفضي إلى النجاة بالعفو والرضا، وعمَّا يُفضي إلى الهلاكَ بالغضب والانتقام، ووراء ذلك سرُّ المشيَّة الأزليَّة التي لا يطّلع الخلق عليها.

فلذلك يجب علينا أن نجوِّز العفوَ عن العاصي، وإن كثُرت سيِّئاتُه الظاهرة، والغضبَ على المطيع وإن كثرت طاعاتُه الظاهرة، فإنَّ الاعتماد على التقوى ـ والتقوى في القلب، وهو أغمض من أن يطّلع عليه صاحبُه فكيف غيره؟

ولكن قد انكشف لأرباب القلوب أنَّه لا عفو عن عبد إلاّ بسببٍ خفيٍّ يقتضي العفو، ولا غضب إلاّ بسببٍ باطنٍ يقتضي البُعد من الله، ولولا ذلك لم يكن العفو والغضب جزاء على الأعمال والأوصاف، ولو لم يكن جزاء لم يكن عدلاً، ولو لم يكن عدلاً لم يصحّ قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، ولا قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠]. وكلّ ذلك صحيحٌ، فـ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩]، وسعيه هو الذي يرى، و﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨]، و﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]، ولمَّا غيَّروا أنفسَهم غيَّر الله ما بهم، تحقيقاً لقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

وهذا كلُّه قد انكشف لأرباب القلوب انكشافاً أوضح من المشاهدة بالبصر، إذ البصر يمكن الغلط فيه، إذ قد يرى البعيدَ قريباً، والكبيرَ صغيراً، ومشاهدةُ القلب لا يمكن الغلط فيه، وإنَّما الشأن في انفتاح بصيرة القلب، وإلاّ

فما يرى بعد الانفتاح فلا يتصوَّر فيه الكذب، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: ١١].

* * *

الرتبة الثالثة رتبة الناجين: وأعني بالنجاة السلامة فقط، دون السعادة والفوز، وهم قومٌ لم يخدموا ليخلع عليهم، ولم يقصروا فيعذَّبوا، ويُشبه أن يكون هذا حال المجانين والصبيان من الكفَّار والمعتوهين، والذين لم تبلغهم الدعوة في أطراف البلاد، وعاشوا على البُلْه وعدم المعرفة، فلم تكن لهم معرفةٌ ولا جحود، ولا طاعة ولا معصية، فلا وسيلة تُقرِّبُهم، ولا جناية تُبعِّدهم، فما هم من أهل الجنَّة ولا من أهل النار، بل ينزلون في منزلة بين المنزلتين، ومقام بين المقامين، عبَّر الشرعُ عنه بـ«الأعراف»، وحلولُ طائفة من الخَلق فيه معلومٌ يقيناً من الآيات والأخبار ومن أنوار الاعتبار، فأمَّا الحكم على العين ـ كالحكم مثلاً بأنَّ الصبيان منهم ـ فهذا مظنونٌ وليس بمستقيم، والاطلاع عليه تحقيقاً في عالم النبوَّة، ولا يبعد أن يرتقي إليه رتبةُ الأولياء والعلماء.

والأخبارُ في حقِّ الصبيان أيضاً متعارضةٌ، حتَّى قالت عائشة لمَّا مات بعضُ الصبيان: «عصفورٌ من عصافير الجنَّة»، فأنكر رسولُ الله ﷺ ذلك وقال: «ما يدريك»[1]؟ فإذن الإشكال والاشتباه أغلب في هذا المقام».

أقول: قد مرَّ في الصبيان والمجانين والمعتوهين وأمثالهم كلام عن أهل البيت عليهم السلام غير هذا، وكذا في الأعراف، فتذكَّر.

* * *

(١) جاء ما يقرب منه في مسلم: كتاب القدر، باب (٦) كل مولود يولد على الفطرة...، ٤/ ٢٠٥٠. وابن ماجة: المقدمة، باب (١٠) في القدر: ١/ ٣٢. المسند: ٦/ ٤١ و٢٠٨. تاريخ إصبهان: ترجمة عبد الله بن حسن بن حفص: ٢/ ٥٣.

قال[1]:

«الرتبة الرابعة الفائزون، وهم العارفون دون المقلِّدين، وهم المقرَّبون السابقون، فإنَّ المقلِّد ـ وإن كان له فوزٌ على الجملة بمقام في الجنَّة ـ فهو من أصحاب اليمين، وهؤلاء هم المقرَّبون، وما يلقى هؤلاء يجاوز حدَّ البيان، والقدر الممكن ذكرهُ ما فصَّله القرآن ـ فليس بعد بيان الله بيان ـ والذي لا يمكن التعبير عنه في هذا العالم فهو الذي أجمله قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]، وقوله[2]: «أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أُذنٌ سمعت ولا خطرَ على قلب بشر».

والعارفون مطلبهم تيك الحالة التي لا يتصوَّر أن تخطر على قلب بشر في هذا العالم، فأمَّا الحورُ والقصورُ والفواكهُ واللبنُ والعسلُ والخمرُ والحلى والأساور، فإنَّهم لا يحرصون عليها، ولو أُعطوها لم يقنعوا بها، ولا يطلبون إلاّ لذَّة النظر إلى وجهه الكريم[3]، فهو غاية السعادات ونهاية اللذات.

ولذلك قيل لرابعة العدويَّة[4]: «كيف رغبتك في الجنَّة»؟ فقالت: «الجارُ، ثمَّ الدار».

---

(١) إحياء علوم الدين: ٤/ ٤٧.

(٢) عدة الداعي: ٩٩. عنه البحار: ٨/ ٩٩، ح١٦٨.

البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة، ٤/ ١٤٣. ابن ماجة: كتاب الزهد، ٢/ ١٤٤٧، ح٤٣٢٨. المسند: ٢/ ٣١٣ و٤٣٨. الترغيب والترهيب: كتاب صفة الجنة والنار، ٦/ ٣٢٩. وما يقرب منه في مسلم: كتاب الإيمان، باب ٨٤، ١/ ١٧٦، ح٣١٢.

(٣) كتب في الهامش:

كداي كوى تواز هشت خلد مستغنى است　　اسير كوى تواز هردو عالم آزادست

(٤) الرابعة بنت إسماعيل العدوية، العابدة المشهورة، توفيت سنة ثمانين ومئة (سير أعلام النبلاء: ٨/ ٢٤٣) وقيل سنة ١٣٥.

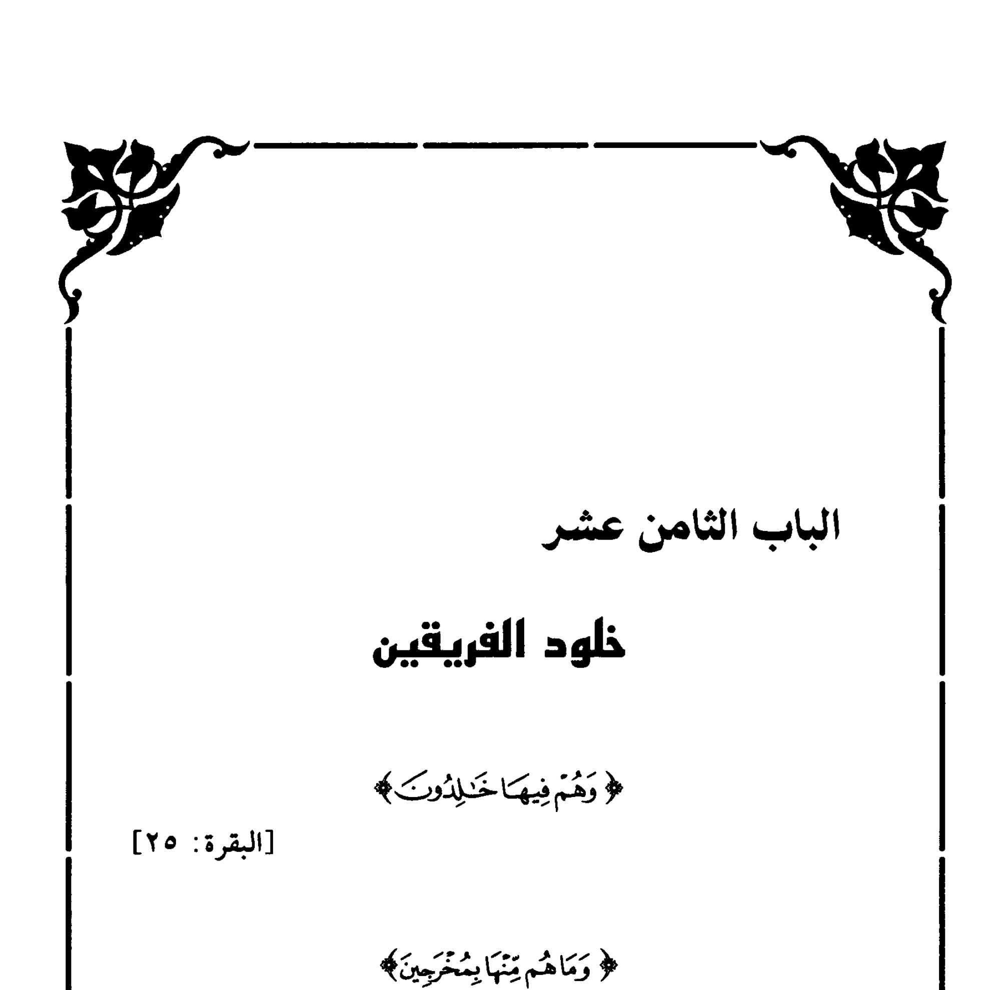
وقد أخرج الطبراني (المعجم الكبير: ١٠/ ٢٦٩، ح٤٣٧٩) عن رسول الله ﷺ: «التمسوا الجار قبل الدار، والرفيق قبل الطريق».

فهؤلاء قومٌ شغلهم حبُّ ربِّ الدار عن الدار وزينتها، بل عن كلّ شيء سواه حتَّى عن أنفسهم، ومثالهم مثالُ العاشق المستهتر بمعشوقه، المستولي همُّه بالنظر إلى وجهه أو الفكر فيه، فإنَّه في حال الاستغراق غافلٌ عن نفسه لا يحسُّ بما يصيبه في بدنه. ويعبّر عن هذه الحالة بأنَّه فنى عن نفسه، ومعناه أنَّه صار مستغرقاً بغيره، وصارت همومُه همّاً واحداً، وهو محبوبه، ولم يبق فيه متَّسع لغير محبوبه حتَّى يلتفت إليه ـ لا نفسه ولا غير نفسه ـ.

وهذه الحالة هي التي توصل في الآخرة إلى قرَّة عين لا يتصوَّر أن يخطر على قلب بشر، كما لا يتصوَّر أن يخطر صورة الألوان والألحان على قلب الأكمه والأصمّ، إلى أن يُرفع الحجاب عن سمعه وبصره، فعند ذلك يدرك حالةً يعلم قطعاً أنَّه لم يتصوّر أن يخطر بباله قبل ذلك صورته، فالدنيا حجابٌ على التحقيق، وبرفعه ينكشف الغطاء، فعند ذلك يدرك ذوق الحياة الطبيعيَّة: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤]»[1].

---

(١) إلى هنا انتهى ما نقله المؤلف عن الإحياء.



الباب الثامن عشر

خلود الفريقين

﴿ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾

[البقرة: ٢٥]

﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾

[الحجر: ٤٨]



ذبح الموت

ورد في الخبر عن النبي ﷺ أنّه قال[1]:

«ويؤتى بالموت كأنّه كبشٌ أملح، فينادى فيقال: «يا أهل الجنَّة هل تعرفون الموت»؟ فينظرونه، فيعرفونه، فيقال لأهل النار: «تعرفون الموت»؟ فينظرونه ويعرفونه، فيذبح بين الجنَّة والنار، ثمَّ يقال: «يا أهل الجنَّة خلودٌ بلا موت، ويا أهل النار خلودٌ بلا موت».

فذلك قوله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ [مريم: ٣٩]».

وعن الباقر عليه السلام ما يقرب منه[2].

قيل[3]: إنّما سمّي بالحسرة لأنّه حسر للجميع، أي أظهر عن صفة الخلود الدائم للطائفتين.

فأمّا أهلُ الجنَّة إذا رأوا الموتَ سرُّوا سروراً عظيماً، فيقولون: «بارك الله

---

(١) جاء مع فرق يسير في البحار: كتاب السماء والعالم، باب نادر، عن بعض الكتب القديمة، ٦٠/ ٢٦١. البخاري: كتاب التفسير، سورة مريم، ٦/ ١١٨. مستدرك الحاكم: كتاب الإيمان، ١/ ٨٣. مسلم: كتاب الجنة، باب (١٣) النار يدخلها الجبارون، ٤/ ٢١٨٨ ـ ٢١٨٩، ح٤٠ ـ ٤٣. المسند: ٢/ ٣٧٧ و٥١٣ و٣/ ٩.
وروي ما يقرب منه عن الصادق عليه السلام أيضاً: تفسير القمي: ٢/ ٤٩، مريم/ ٣٩. عنه البحار: ٨/ ٣٤٦، ح٤.

(٢) الزهد للأهوازي: باب أحاديث الجنة والنار، ١٠٠، ح٢٧٣.
تفسير القمي: ٢/ ٢٢٥، الصافات/ ٥٩. عنهما البحار: ٨/ ٣٤٥ و٣٤٧.
وقد أشرنا في التعليقة السابقة إلى ما ورد في ذلك عن الصادق عليه السلام أيضاً.

(٣) الفتوحات المكية: الباب الرابع والستون، ١/ ٣١٦.
وما أورده إلى آخر الفصل منقول منه مع تقديم وتأخير وتغيير في بعض الألفاظ.

لنا فيك، لقد خلَّصتنا من تلك الدنيا، وكنت خير وارد علينا، وخير تحفة أهداها الله إلينا.

قال النبي ﷺ[1]: «الموتُ تحفةُ المؤمن».

وأمَّا أهل النار إذا أبصروه يفزعون منه ويقولون: «لقد كنتَ شرَّ وارد علينا، حُلتَ بيننا وبين ما كنَّا فيه من الخير والدعة»، ثمَّ يقولون له: «عسى أن تميتنا فنستريح ممَّا نحن فيه».

ويقال[2]: «إنَّه يأتي يحيى ـ على نبينا وعليه السلام ـ وبيده الشفرة، فيضجع الموت ويذبحه، ثمَّ يغلق أبوابُ النار غلقاً لا فتح بعده، وينطبق على أهلها ويدخل بعضها على بعض ليعظم الضغاط على أهلها فيها، ويرجع أسفلها أعلاها وأعلاها أسفلها، ويُرى الناس والشياطين فيها كقطع اللحم في القدر إذا كان تحتها النار العظيمة تغلي كغلي الحميم، فيدور بمن فيها علواً وسفلاً: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧] بتبديل الجلود.

لا خلاف بين أهل العلم أنَّ الكفَّار مخلَّدون في النار إلى ما لا نهاية له ـ كما هو ظاهر الكتاب والسنَّة ـ وقد مرَّ في الحديث النبوي ﷺ من طريقنا أنَّ كلاّ من أهل الجنَّة وأهل النار إنَّما يخلَّدون بالنيَّات. وهل يسرمد العذاب ـ إلى ما لا نهاية له ـ أو يكون لهم نعيم بدار الشقاء؟

قال في فصوص الحكم[3]:

«أمَّا أهل النار فمآلهم إلى النعيم ـ لكن في النار ـ إذ لا بدَّ لصورة النار بعد انتهاء مدَّة العقاب أن يكون برداً وسلاماً على مَن فيها، وهذا نعيمُهم».

---

(١) جاء بلفظ: «تحفة المؤمن الموت» في الدعوات للراوندي: الباب الرابع، ذكر الموت: ٢٣٥. عنه البحار: ٨٢/ ١٧١. حلية الأولياء: عبد الله بن المبارك، ٨/ ١٨٥. مستدرك الحاكم: كتاب الرقاق: ٤/ ٣١٩. كنز العمال: ١٥/ ٥٤٦، ح٤٢١١٠.

(٢) نفس المصدر.

(٣) فصوص الحكم: الفصّ اليونسي.

وقال في موضع آخر منه[1]:

«الثناء بصدق الوعد، لا بصدق الوعيد، والحضرة الإلهيَّة تطلب الثناء المحمود بالذات، فيثنى عليها بصدق الوعد، لا بصدق الوعيد، بل بالتجاوز: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾ [إبراهيم: ٤٧]، ولم يقل: «ووعيده»، بل قال: ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ [الاحقاف: ١٦]. مع أنَّه توعَّد على ذلك» ـ انتهى ـ.

ويؤيِّده ما رواه شيخنا الصدوق ـ رحمه الله ـ في كتاب التوحيد[2] عن مولانا الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَن وعده الله على عمل ثواباً فهو منجزٌ له، ومن أوعده على عمل عقاباً فهو فيه بالخيار».

وقال كمال الدين عبد الرزَّاق الكاشي في شرحه للفصوص[3]:

«إنَّ أهل النار إذا دخلوها وتسلَّط العذاب على ظواهرهم وبواطنهم ملكهم الجزع والاضطراب، فيكفر بعضهم ببعض، ويلعن بعضهم بعضاً، متخاصمين متقاولين ـ كما ينطق به كلام الله في مواضع ـ وقد أحاط بهم سرادقها.

فطلبوا أن يخفّف عنهم العذاب أو أن يقضي عليهم ـ كما حكى الله عنهم بقوله: ﴿يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧] ـ أو أن يرجعوا إلى الدنيا. فلم يجابوا إلى طلباتهم بل أُخبروا بقوله: ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [البقرة: ١٦٢] وخوطبوا بمثل قوله: ﴿إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

فلمَّا يئسوا ووطَّنوا أنفسهم على العذاب والمكث على مرِّ السنين

---

(١) فصوص الحكم: الفص الإسماعيلي.

(٢) التوحيد: باب الأمر والنهي والوعيد ٤٠٦. المحاسن: كتاب مصابيح الظلم، باب (٢٧) الوعد والوعيد، ٢٤٦. عنها البحار: ٥/ ٣٣٤ ـ ٣٣٥. راجع أيضاً اعتقادات الصدوق: باب الاعتقاد في الوعد والوعيد.

(٣) شرح الفصوص: الفص الإسماعيلي: ١٢٣.

والأحقاب، وتعلَّلوا بالأعذار، ومالوا إلى الاصطبار وقالوا: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ﴾ [إبراهيم: ٢١]، فعند ذلك رفع الله العذابَ عن بواطنهم، وخبت نارُ الله الموقدة التي تطّلع على الأفئدة.

ثمَّ إذا تعوَّدوا بالعذاب بعد مضيّ الأحقاب، ألفوه ولم يتعذَّبوا بشدَّته بعد طول مدَّته، ولم يتألَّموا به وإن عظم، ثمَّ آل أمرهم إلى أن يتلذّذوا به ويستعذبوه حتَّى لو هبَّ عليهم نسيمٌ من الجنَّة استكرهوه وتعذَّبوا به ـ كالجُعل وتأذِّيه برائحة الوَرد لتألُّفه بنتن الأوراث والقاذورات».

وقال داود القيصري[1]:

«اعلم أنَّ مَن اكتحلت عينُه بنور الحقِّ يعلم أنَّ العالَم بأسره عباد الله، وليس لهم وجودٌ وصفةٌ وفعلٌ إلاّ بالله وحوله وقوَّته، وكلُّهم محتاجون إلى رحمته، وهو الرحمن الرحيم.

ومن شأن مَن هو موصوف بهذه الصفات أن لا يعذِّب أحداً عذاباً أبديّاً، وليس ذلك المقدار من العذاب إلاّ لأجل إيصالهم إلى كمالاتهم المقدَّرة، كما يذاب الذهب والفضَّة بالنار لأجل الخلاص مما يكدِّره ويُنقص عيارَه، فهو يتضمَّن أمتن اللطف والرحمة ـ كما قيل:

وتعذيبكم عَذبٌ وسخطكم رضا   وقطعكم وصلٌ وجوركم عدل»

وقال في الفتوحات[2]:

«وقد وجدنا في نفوسنا ـ ممَّن جبِّل على رحمة ـ لو حكَّمه الله في خلقه لأزال صفةَ العذاب عن العالم، والله قد أعطاه هذه الصفة، ومعطي الكمال أحقّ به، وصاحب هذه أنا وأمثالي، ونحن عبادٌ مخلوقون، أصحاب أهواء وأغراض، ولا شكَّ أنَّه ـ سبحانه ـ أرحم بخَلقه منّا، وقد قال عن نفسه ـ جلَّ

(١) شرح الفصوص للقيصري: الفصّ الهودي: ٢٤٦.
(٢) الفتوحات المكيّة: الباب الخامس وثلاثمئة، ٣/ ٢٥، مع تغييرات يسيرة.

وعلا ـ أنَّه أرحم الراحمين، فلا شكَّ أنَّه أرحم منّا بخَلقه، ونحن عرفنا من نفوسنا هذه المبالغة في الرحمة».

ـ انتهى ـ

قيل[1]:

«قد قام الدليل العقلي على أنَّ الباري عزَّ وجلَّ لا تنفعه الطاعات ولا تضرّه المخالفات، وأنَّ كلَّ شيء جارٍ بقضائه وقدَره، وأنَّ الخلق مجبورون في اختيارهم، فكيف يسرمد العذاب عليهم»؟

وجاء في الحديث[2]: «وآخر من يشفع هو أرحم الراحمين».

وربَّما يقال[3]: «أنَّ كون الشيء عذاباً من وجه لا ينافي كونه رحمة من وجه آخر».

---

(١) الأسفار الأربعة: ٩/ ٣٥٣. وقد صرح به في عين اليقين (٤٢٧) قائلاً: «وقال أستادنا ـ دام ظله ـ: قد قام الدليل العقلي...».

(٢) القيصري: شرح الفصوص. آخر الفص الإسماعيلي، ٢١٤.

(٣) قال ـ قده ـ في الفصل الآخر من كتاب علم اليقين:

قد ظهر ممّا بينّاه وأوضحناه أن لكلِّ حركة غاية، ولغايته غاية أخرى، وهكذا إلى أن تنتهي إلى غاية عقليّة، ولكلّ ناقص عشقٌ وشوقٌ غريزيّان إلى ما فوقه، أودعها الله في ذاته، ليحفظ بالأول كماله الأول، ويطلب بالثاني كماله الثاني، لينتظم العالم بطلب السافل للعالي، ورشح العالي على السافل، كما قال عزَّ وجلَّ: هو ﴿ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠].

فالحركات كلّها منتهية إلى الخير الأقصى، والربِّ الأعلى، غاية الأرض والسماء، الذي بيده ملكوت الأشياء، ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦].

وظهر أيضاً من ذلك أنّ الغرض الأقصى في بناء العالم وإدارة الأفلاك وتسيير الكواكب وبعث الأنبياء والرسل وإنزال الملائكة من السماء بالوحي والإنباء: هو أن يصير العالم كله خيراً.

فيزول منه الشرّ والنقص، ويعود إلى ما بدا منه، فيصير لاحقاً به، فتتمّ الحكمة، وتكمل الخلقة، ويرتفع عالم الكون والفساد، وتبطل الدنيا، وتقوم القيامة الكبرى، ويمحق الشرّ وأهله، وينقرض الكفر وحزبه، ويبطل الباطل، ويحقّ الحقّ بكلماته وآياته.

وهذا من العلم المخزون، والسرّ المكنون الذي لا يمسُّه إلاّ المطهّرون».

وفي المقام كلامٌ لطيف ليس هذا الكتاب محلُّ ذكره، وقد أوردناه في كتاب: «عين اليقين»[1].

وعن النبيّ ﷺ: «إنَّ الله خلقَ يومَ خلقَ السماوات والأرض مئة رحمة، فجعل في الأرض منها رحمة، بها تعطف الوالدة على ولدها والبهائم بعضها على بعض، والطير، وأخَّر تسعة وتسعين إلى يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة مئة».

فسبحان من اتَّسعت رحمتُه لأوليائه في شدَّة نقمته، واشتدَّت نقمتُه لأعدائه في سعة رحمته[2].

* * *

هذا آخر الكلام في العلم باليوم الآخر

فرغ منه مؤلّفه العبد المسكين المستكين

«محمَّد بن مرتضي» المعروف بـ«محسن»

أحسن الله حاله

وجعل إلى الرفيق الأعلى مآله.

* * *

---

(١) ابن ماجة: كتاب الزهد، الباب (٣٥)، ٢/ ١٤٣٥. وما يقرب منه في مسلم: كتاب التوبة، باب (٤)، ٤/٢١٠٩. ومستدرك الحاكم: كتاب الإيمان، ١/ ٥٦. وكتاب التوبة: ٤/ ٢٤٧. كنز العمال: ٤/ ٢٥٠، ح١٠٣٩١ و٣/ ٩٧، ح٥٦٧٠.

(٢) مقتبس من كلام أمير المؤمنين عليه السلام (نهج البلاغة: الخطبة ٩٠): «... هو الذي اشتدّت نقمته على أعدائه في سعة رحمته، واتسعت رحمته لأوليائه في شدّة نعمته...».

الخصال التي توجب التخلص

من

شدائد يوم القيامة وأهوالها

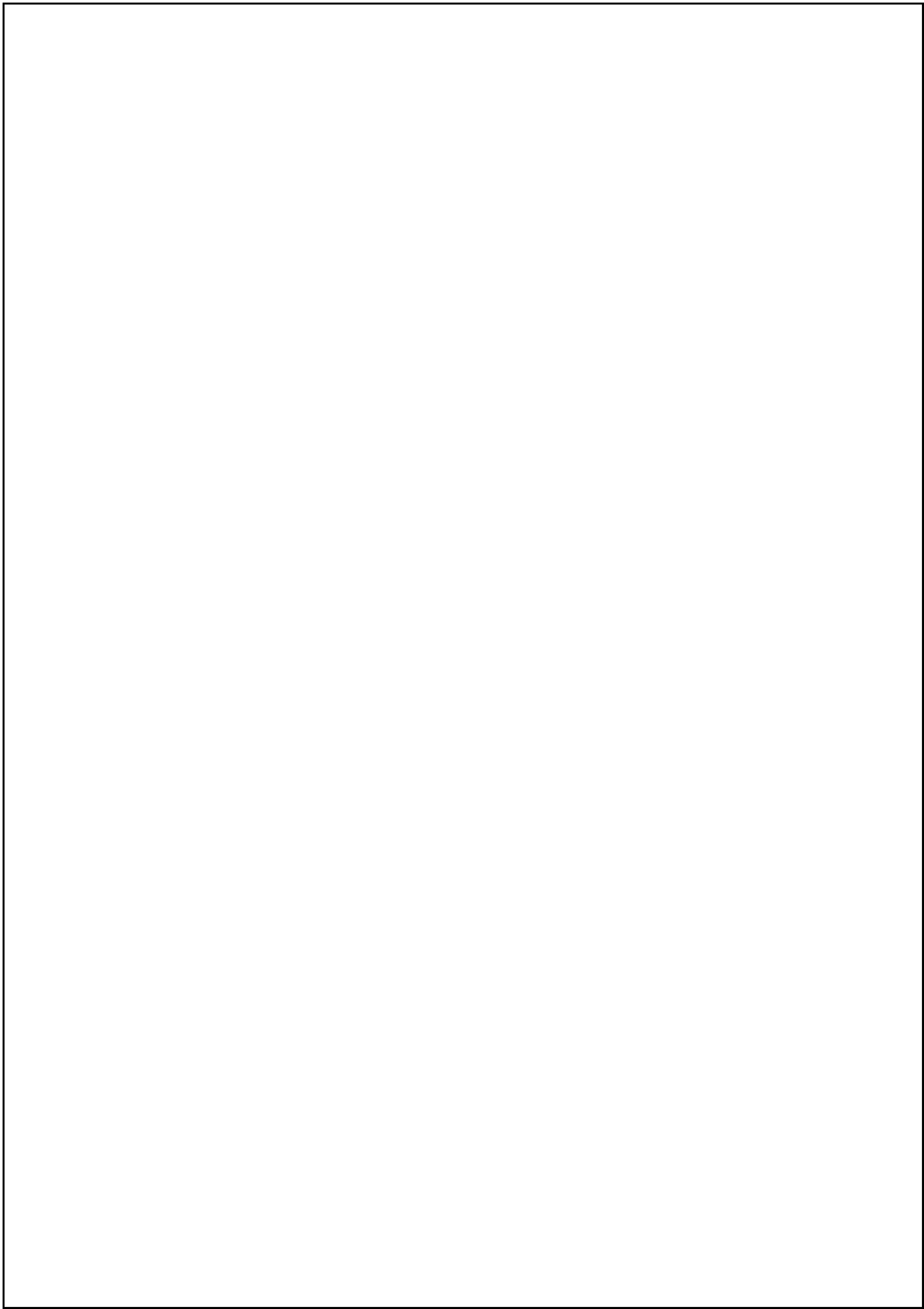
تأليف

العلامة الحجة

فخر الأمة المولى

الشيخ محمد باقر المجلسي

«قدس سره»



الخصال التي توجب التخلص
من شدائد القيامة وأهوالها

عن هلال بن عبد الرحمن، عن يعلى بن زيد، عن سعيد بن المسيّب، عن عبد الرحمن بن سمرة قال:

كنّا عند رسول الله ﷺ يوماً فقال: إنّي رأيت البارحة عجائب.

قال: فقلنا: يا رسول الله وما رأيت؟ حدّثنا به فداك أنفسنا وأهلونا وأولادنا.

فقال:

بر الوالدين

١ ـ رأيت رجلاً من أُمّتي وقد أتاه ملك الموت ليقبض روحه، فجاءه برّه بوالديه فمنعه منه.

اصباغ الوضوء

٢ ـ رأيت رجلاً من أُمّتي قد بسط عليه عذاب القبر، فجاءه وضوؤه فمنعه منه.

ذكر الله عزّ وجل

٣ ـ رأيت رجلاً من أُمّتي قد احتوشته الشياطين[١]، فجاءه ذكر الله عزّ وجلّ فنجّاه من بينهم.

---

(١) أي أحدقت الشياطين به وجعلته في وسطهم.

الصلاة

٤ ـ رأيت رجلاً من أُمّتي قد احتوشته ملائكة العذاب، فجاءته صلاته فمنعته منهم.

الصيام

٥ ـ رأيت رجلاً من أُمّتي يلهث عطشاً كلما ورد حوضاً منع، فجاءه صيام شهر رمضان فسقاه وأرواه.

الاغتسال من الجنابة

٦ ـ رأيت رجلاً من أُمّتي والنبيّون حلقاً حلقاً، كلّما أتى حلقة طرد، فجاءه اغتساله من الجنابة فأخذ بيده فأجلسه إلى جنبي.

الحج والعمرة

٧ ـ رأيت رجلاً من أُمّتي بين يديه ظلمة، ومن خلفه ظلمة، وعن يمينه ظلمة، وعن شماله ظلمة، ومن تحته ظلمة، مستنقعاً في الظلمة، فجاءه حجّه وعمرته، فأخرجاه من الظّلمة وأدخلاه النّور.

صلة الرحم

٨ ـ رأيت رجلاً من أُمّتي يكلّم المؤمنين فلا يكلّمونه، فجاءه صلته للرحم فقال: يا معشر المؤمنين كلّموه، فإنّه كان واصلاً لرحمه، فكلّمه المؤمنون وصافحوه وكان معهم.

الصدقة

٩ ـ رأيت رجلاً من أُمّتي يتّقي وهج النيران[١] وشررها بيده ووجهه، فجاءته صدقته، فكانت ظلاًّ على رأسه وستراً على وجهه.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

١٠ ـ رأيت رجلاً من أُمّتي قد أخذته الزبانية من كلّ مكان، فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، فخلّصاه من بينهم، وجعلاه مع ملائكة الرحمة.

حسن الخلق

١١ ـ رأيت رجلاً من أُمّتي جاثياً على ركبتيه، بينه وبين رحمة الله حجاب، فجاءه حسن خلقه فأخذه بيده، فأدخله في رحمة الله.

الخوف من الله عز وجل

١٢ ـ رأيت رجلاً من أُمّتي قد هوت صحيفته قبل شماله، فجاءه خوفه من الله عزّ وجلّ، فأخذ صحيفته فجعلها في يمينه.

الأفراط في حب الله عز وجل

١٣ ـ رأيت رجلاً من أُمّتي قد خفّت موازينه، فجاءه أفراطه فثقّلوا موازينه.

---

(١) الوهج: اتقاد النار واشتعالها.

الرجاء من الله عز وجل

١٤ ـ رأيت رجلاً من أُمّتي قائماً على شفير جهنّم، فجاءه رجاؤه من الله عزَّ وجلَّ، فاستنقذه من ذلك.

البكاء من خشية الله عز وجل

١٥ ـ رأيت رجلاً من أُمّتي قد هوى في النّار، فجاءته دموعه التي بكى من خشية الله، فاستخرجته من ذلك.

حسن الظن بالله عز وجل

١٦ ـ رأيت رجلاً من أُمّتي على الصّراط يرتعد كما ترتعد السّعفة في يوم ريح عاصف، فجاءه حسن ظنّه بالله، فسكّن رعدته، ومضى على الصّراط.

الصلاة على محمد وآل محمد (ص)

١٧ ـ رأيت رجلاً من أُمّتي على الصّراط يزحف أحياناً ويحبو أحياناً، ويتعلّق أحياناً، فجاءته صلاته عليَّ، فأقامته على قدميه ومضى على الصّراط.

شهادة أن لا إله إلاَّ الله

١٨ ـ رأيت رجلاً من أُمّتي انتهى إلى أبواب الجنّة، كلّما انتهى إلى باب أُغلق دونه، فجاءته شهادة أن لا إله إلاَّ الله صادقاً بها، ففتحت له الأبواب ودخل الجنّة[1].

* * *

---

(١) بحار الأنوار ج٧ ص٢٩٠ ـ ٢٩١، ح١.

الصدقة ظل الؤمن

١ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أرض القيامة نار، ما خلا ظلّ المؤمن فإنّ صدقته تظلّه.

زيارة قبر الرضا (ع) بطوس

٢ ـ عن أيّوب بن نوح قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: من زار قبر أبي بطوس، غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، فإذا كان يوم القيامة نصب له منبر بحذاء منبر رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى يفرغ الله تعالى من حساب عباده[١].

زوار قبور الأئمة (ع)

٣ ـ بإسناده عن سليمان بن حفص المروزيّ، عن موسى بن جعفر عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة كان على عرش الله جلّ جلاله أربعة من الأوّلين وأربعة من الآخرين.

فأما الأوّلون: فنوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى.

وأمّا الأربعة الآخرون: فمحمّد، وعليٌّ، والحسن، والحسين، ثمّ يمدّ المطمر[٢] فيقعد معنا زوّار قبور الأئمّة، ألا إنّ أعلاها درجة وأقربهم حبوة زوّار قبر ولدي علي[٣].

---

(١) بحار الأنوار ج٧ ص٢٩١ ـ ٢٩٢، ح٤.

(٢) **المطمر**: خيط للبناء يقدّر به.

(٣) كامل الزيارات ص٣٠٨.

ثواب تعلم سورتي البقرة وآل عمران

٤ ـ قال رسول الله ﷺ: تعلّموا سورة: **البقرة وآل عمران**، فإنَّ أخذهما بركة وتركهما حسرة، ولا يستطيعهما البطلة ـ يعني السحرة ـ وإنّهما لتجيّان يوم القيامة كأنّهما غمامتان، أو عبايتان، أو فرقان من طير صواف، يحاجّان عن صاحبهما ويحاجّهما ربّ العزّة.

ويقولان: يا ربّ الأرباب إنَّ عبدك هذا قرأنا، وأظمأنا نهاره وأسهرنا ليله، وأنصبنا بدنه، فيقول الله عزّ وجلّ:

يا أيّها القرآن فكيف كان تسليمه لما أمرته (أنزلته خ ل) فيك من تفضيل عليّ بن أبي طالب أخي محمّد رسول الله؟

فيقولان: يا ربّ الأرباب وإله الآلهة: والاه ووالى وليّه (أولياءه خ ل) وعادى أعداءه، إذا قدر جهر، وإذا عجز اتّقى واستتر، فيقول الله عزّ وجّل:

فقد عمل إذاً بكما كما أمرته، وعظمّ من خطبكما ما أعظمته.

يا عليّ: أما تسمع شهادة القرآن لوليّك هذا؟

فيقول عليٌّ: بلى يا رب.

فيقول الله تعالى: فاقترح له ما يزيد (فيقترح له ما يزيد ظ) على أمانيّ هذا القارىء من الأضعاف المضاعفات ما لا يعلمه إلاّ الله عزّ وجلّ.

فيقال: فقد أعطيته ما اقترحت يا علي.

فقال رسول الله ﷺ: وإنّ والدي القارىء ليتوّجان بتاج الكرامية يضيء نوره من مسيرة عشرة آلاف سنة، ويكسيان حلّة لا يقوم لأقلّ سلك مها مائة ألف ضعف ما في الدنيا بما يشتمل عليه من خيراتها، ثمّ يعطي هذا القارىء الملك بيمينه والخلد بشماله في كتاب، يقرء من كتابه بيمينه: قد جعلت من أفاضل ملوك الجنان، ومن رفقاء محمّد سيّد الأنبياء، وعليّ خير الأوصياء، والأئمّة

بعدهما سادة الأتقياء؛ ويقرء من كتابه بشماله: قد أمنت الزّوال والانتقال عن هذه الملك، وأُعذت من الموت والأسقام، وكفيت الأمراض والأعلال، وجنّبت حسد الحاسدين، وكيد الكائدين.

ثمّ يقال له: اقرء وارق ومنزلك عند آخر آية تقرأها، فإذا نظر والده إلى حليتهما وتاجيهما قالا:

ربما أنّى لنا هذا الشّرف ولم تبلغه أعمالنا؟

فيقال لهما: أكرم الله عزّ وجلّ هذا لكما بتعليمكما ولدكما القرآن[1].

ثواب قراءة سورة الأعراف

٥ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من قرأ سورة: **الأعراف** في كلّ شهر، كان يوم القيامة من الآمنين الّذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فإن قرءها في كلّ جمعة كان ممّن لا يحاسب يوم القيامة، أما إنّ فيها محكماً فلا تدعوا قراءتها فإنّها تشهد يوم القيامة لمن قرءها[2].

ثواب قراءة سورة يونس

٦ ـ وعنه عليه السلام: من قرأ سورة: **يونس** في كلّ شهرين أو ثلاثة، لم يخف عليه أن يكون من الجاهلين، وكان يوم القيامة من المقرّبين[3].

---

(١) بحار الأنوار ج٧ ص٢٩٢ ـ ٢٩٣، ح٥.
قال في النّهاية: فيه: تأتي البقرة وآل عمران كأنّهما فرقان من طير صوّاف أي قطعتان.

(٢) بحار الأنوار ج٧ ص٢٩٣ ح٦ ـ ١٠.

(٣) بحار الأنوار ج٧ ص٢٩٣ ح٦ ـ ١٠.

ثواب قراءة سورة هود

٧ ـ عن أبي جعفر عليه السلام: من قرأ سورة: **هود** في كلّ جمعة، بعثه الله يوم القيامة في زمرة النبيّين، ولم تعرف له خطيئة عملها يوم القيامة[١].

ثواب قراءة سورة يوسف

٨ ـ عن أبي عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: من قرأ سورة: **يوسف** في كلّ يوم، أو في كلّ ليلة، بعثه الله يوم القيامة وجماله كجمال يوسف، ولا يصيبه فزع يوم القيامة[٢].

ثواب قراءة سورة الرعد

٩ ـ عنه عليه السلام: من أكثر قراءة سورة: **الرعد**، وكان مؤمناً دخل الجنّة بغير حساب، وشفّع في جميع من يعرف من أهل بيته وإخوانه[٣].

ثواب قراءة سورة الكهف

١٠ ـ وعنه عليه السلام: من قرأ سورة: **الكهف** كلّ ليلة جمعة، لم يمت إلاّ شهيداً، وبعثه الله يوم القيامة مع الشّهداء، ووقف يوم القيامة مع الشّهداء[٤].

---

(١) بحار الأنوار ج٧ ص٢٩٣ ح٦ ـ ١٠.
(٢) بحار الأنوار ج٧ ص٢٩٣ ح٦ ـ ١٠.
(٣) بحار الأنوار ج٧ ص٢٩٣ ح٦ ـ ١٠.
(٤) بحار الأنوار ج٧ ص٢٩٣ ـ ٢٩٤.

ثواب قراءة سورة مريم

١١ ـ وعنه عليه السلام: من أدمن قراءة سورة: **مريم**، كان في الآخرة من أصحاب عيسى بن مريم، وأُعطي في الآخرة ملك سليمان في الدّنيا[١].

ثواب قراءة سورة طه

١٢ ـ وعنه عليه السلام: من أدمن قراءة: سورة **طه**، أعطاه الله يوم القيامة كتابه بيمينه، ولم يحاسبه بما عمل في الإسلام، وأُعطي في الآخرة حتّى يرضى[٢].

ثواب قراءة سورة الفرقان

١٣ ـ عن أبي الحسن عليه السلام: من قرأ سورة: **الفرقان** في كلّ ليلة لم يعذّبه الله أبداً ولم يحاسبه، وكان منزله في الفردوس الأعلى[٣].

ثواب قراءة سورة السجدة

١٤ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام: من قرأ سورة: **السّجدة** في كلّ ليلة جمعة، أعطاه الله كتابه بيمينه، ولم يحاسبه بما كان منه، وكان من رفقاء محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام[٤].

---

(١) بحار الأنوار ج٧ ص٢٩٣ ـ ٢٩٤.
(٢) بحار الأنوار ج٧ ص٢٩٣ ـ ٢٩٤.
(٣) بحار الأنوار ج٧ ص٢٩٤ ـ ٢٩٥ ح١٤ ـ ١٦.
(٤) بحار الأنوار ج٧ ص٢٩٤ ـ ٢٩٥ ح١٤ ـ ١٦.

ثواب قراءة سورة الأحزاب

١٥ ـ وعنه عليه السلام: من كان كثير القراءة لسورة: **الأحزاب**، كان يوم القيامة في جوار محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأزواجه[١].

ثواب قراءة سورة يس

١٦ ـ وعنه عليه السلام في فضل قراءة: سورة يس ـ وساق الحديث إلى أن قال ـ: ولم يزل في قبره نور ساطع إلى أعنان السّماء إلى أن يخرجه من قبره، فإذا أخرجه لم تزل ملائكة الله تعالى معه يشيّعونه ويحدّثونه ويضحكون في وجهه ويبشّرونه بكلّ خير حتّى يتجاوزوا به الميزان والصّراط، ويوقفوه من الله موقفاً لا يكون عند الله خلق أقرب منه إلاّ ملائكة الله المقرّبون وأنبياؤه المرسلون، وهو مع النبيّين واقف بين يدي الله، لا يحزن مع من يحزن، ولا يهتمّ مع من يهتمّ، ولا يجزع مع من يجزع.

ثمّ يقول له الربُّ تبارك وتعالى: اشفع عبدي أُشفعك في جميع ما تشفع، وسلني عبدي أُعطك جميع ما تسأل، فيسأل فيعطى، ويشفع فيشفّع، ولا يحاسب فيمن يحاسب، ولا يوقف مع من يوقف، ولا يذلُّ مع من يذلُّ، ولا ينكب بخطيئة ولا شيء من سوء عمله، ويعطى كتاباً منشوراً حتّى يهبط من عند الله فيقول النّاس بأجمعهم: سبحان الله ما كان لهذا العبد من خطيئة واحدة؟! ويكون من رفقاء محمّد صلى الله عليه وآله وسلم[٢].

---

(١) بحار الأنوار ج٧ ص٢٩٤ ـ ٢٩٥ ح١٤ ـ ١٦.

(٢) بحار الأنوار ج٧ ص٢٩٤ ـ ٢٩٥ ح١٤ ـ ١٦.

ثواب قراءة سورة السجدة

١٧ ـ وعنه عليه السلام: من قرأ: حم السّجدة، كانت له نوراً يوم القيامة مدّ بصره وسروراً[١].

ثواب قراءة: ﴿حمٓ عٓسٓقٓ﴾

١٨ ـ عنه عليه السلام: من أدمن قراءة: ﴿حمٓ عٓسٓقٓ﴾، بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالثلج أو كالشّمس حتّى يقف بين يدي الله عزّ وجلّ.

فيقول: أدمنت عبدي قراءة: ﴿حمٓ عٓسٓقٓ﴾ ولم تدر ما ثوابها؟

أما لو دريت ما هي وما ثوابها لما مللت من قراءتها، ولكن سأجزيك جزاءك، أدخلوه الجنّة فإنّ له فيها قصراً من ياقوتة حمراء أبوابها وشرفها ودرجها منها، يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، وله فيها جوار أتراب[٢] من الحور العين، وألف غلام من الولدان المخلّدين الّذين وصفهم الله تعالى[٣].

ثواب قراءة سورة الدخان

١٩ ـ عن أبي جعفر عليه السلام: من قرأ: حم الدخان في فرائضه ونوافله، بعثه الله من الآمنين يوم القيامة، وأظلّه تحت عرشه، وحاسبه حساباً يسيراً، وأعطاه كتابه بيمينه[٤].

---

(١) بحار الأنوار ج٧ ص٢٩٥، ح١٨.
(٢) جمع ترب، وهو في الأصل الجارية التي تلعب مع نظائرها في التراب ابّان الصغر.
(٣) بحار الأنوار ج٧ ص٢٩٥، ح١٩.
(٤) بحار الأنوار ج٧ ص٢٩٥، ح٢٠ ـ ٢٢.

ثواب قراءة سورة الاحقاف

٢٠ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام: من قرأ في كلّ ليلة أو كلّ جمعة سورة: **الاحقاف**، لم تصبه روعة في الدّنيا، وآمنه الله من فزع يوم القيامة[١].

ثواب قراءة: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا﴾

٢١ ـ وعنه عليه السلام: من أدمن قراءة سورة: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا﴾ نادى منادٍ يوم القيامة حتّى يسمع الخلائق: أنت من عبادي المخلصين، ألحقوه بالصّالحين من عبادي، فأسكنوه جنّات النعيم، واسقوه الرّحيق المختوم بمزاج الكافور[٢].

ثواب قراءة سورة ق

٢٢ ـ عن أبي جعفر عليه السلام: من أدمن في فرائضه ونوافله قراءة سورة ق، أعطاه كتابه بيمينه، وحاسبه حساباً يسيراً[٣].

ثواب قراءة سورة الرحمن

٢٣ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام: لا تدعوا قراءة: **الرحمن** والقيام بها، فإنّها لا تقرّ في قلوب المنافقين، ويأتي بها ربّها يوم القيامة في صورة: آدميّ في أحسن صورة وأطيب ريح، حتّى يقف من الله موقفاً لا يكون أحد أقرب إلى الله منها.

فيقول لها: من الّذي كان يقوم بك في الحياة الدنيا ويدمن قراءتك؟

---

(١) بحار الأنوار ج٧ ص٢٩٥، ح٢٠ ـ ٢٢.
(٢) بحار الأنوار ج٧ ص٢٩٥، ح٢٠ ـ ٢٢.
(٣) المصدر نفسه.

فتقول: يا ربّ فلان وفلان، فتبيضُّ وجوههم.

فيقول لهم: اشفعوا فيمن أحببتم فيشفعون حتّى لا تبقى لهم غاية، ولا أحد يشفعون له.

فيقول لهم: ادخلوا الجنَّة واسكنوا فيها حيث شئتم[1].

ثواب قراءة سورة الواقعة

٢٤ ـ عن أبي جعفر عليه السلام: من قرأ سورة: **الواقعة** كلّ ليلة قبل أن ينام، لقى الله تعالى ووجهه كالقمر ليلة البدر[2].

ثواب قراءة سورة التغابن

٢٥ ـ وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: من قرأ سورة: **التّغابن في فريضة**، كانت شفيعة له يوم القيامة، وشاهد عدل عند من يجيز شهادتها، لا يفارقها حتّى يدخله الجنّة[3].

ثواب قراءة سورتي: الطلاق والتحريم

٢٦ ـ عنه عليه السلام: من قرأ سورة: **الطّلاق والتحريم في فريضة**، أعاذه الله أن يكون يوم القيامة ممّن يخاف أو يحزن، وعوفي من النّار، وأُدخل الجنّة بتلاوته إيّاهما ومحافظته عليهما، لأنّهما للنبي صلى الله عليه وآله[4].

---

(١) بحار الأنوار ج٧ ص٢٩٦، ح٢٤.
(٢) بحار الأنوار ج٧ ص٢٩٦، ح٢٥.
(٣) بحار الأنوار ج٧ ص٢٩٦، ح٢٦.
(٤) بحار الأنوار ج٧ ص٢٩٦، ح٢٧.

ثواب قراءة سورة الملك

٢٧ ـ وعنه عليه السلام: من قرأ سورة: **الملك** في المكتوبة قبل أن ينام، لم يزل في أمان الله حتّى يصبح، وفي أمانه يوم القيامة حتّى يدخل الجنّة[١].

ثواب قراءة سورة المعارج

٢٨ ـ وعنه عليه السلام: من أكثر قراءة سورة: **المعارج**، لم يسأله الله عن ذنب عمله، وأسكنه يوم القيامة عند محمّد وأهل بيته عليهم السلام[٢].

ثواب قراءة سورة: ﴿لَآ أُقۡسِمُ﴾

٢٩ ـ وعنه عليه السلام: من أدمن قراءة سورة: ﴿لَآ أُقۡسِمُ﴾ وكان يعمل بها، بعثها الله معه من قبره في أحسن صورة، تبشّره وتضحك في وجهه حتى يجوز على الصّراط والميزان[٣].

ثواب قراءة سورة النازعات

٣٠ ـ وعنه عليه السلام: من قرأ: **والنّازعات**، لم يمت إلاّ ريّان، ولم يبعثه الله إلاّ ريّان ولم يدخله الجنّة إلاّ ريّان[٤].

---

(١) بحار الأنوار ج٧ ص٢٩٦، ح٢٨.
(٢) بحار الأنوار ج٧ ص٢٩٦، ح٢٩.
(٣) بحار الأنوار ج٧ ص٢٩٧، ح٣٠.
(٤) بحار الأنوار ج٧ ص٢٩٧، ح٣١.

ثواب قراءة سورة: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾

٣١ ـ وعنه عليه السلام: من كان قراءته في الفريضة: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ أعطاه الله الأمن يوم القيامة من النّار ولم تره ولا يراها، ولم يمرّ على جسر جهنّم، ولا يحاسب يوم القيامة[1].

ثواب قراءة سورة: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾

٣٢ ـ وعنه عليه السلام: من قرأ سورة: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ في فرائضه، كان محشره وموقفه مع النبيّين والمرسلين[2].

ثواب قراءة سورة: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾

٣٣ ـ وعنه عليه السلام: من كانت قراءته في فرائضه: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾، كان له يوم القيامة عند الله جاهاً ومنزلةً [أي له عند الله]، وكان من رفقاء النبيّين وأصحابهم في الجنة[3].

ثواب قراءة سورة الأعلى

٣٤ ـ وعنه عليه السلام: من قرأ سورة: **الأعلى** في فريضة أو نافلة، قيل له يوم القيامة: ادخل من أيّ أبواب الجنّة شئت[4].

---

(١) بحار الأنوار ج٧ ص٢٩٧، ح٣٢.
(٢) بحار الأنوار ج٧ ص٢٩٧، ح٣٣.
(٣) بحار الأنوار ج٧ ص٢٩٧، ح٣٤.
(٤) بحار الأنوار ج٧ ص٢٩٧، ح٣٥.

ثواب قراءة سورة الغاشية

٣٥ ـ وعنه عليه السلام: من أدمن قراءة: **الغاشية** في فريضة أو نافلة، غشاه الله رحمته في الدّنيا والآخرة، وآتاه الأمن يوم القيامة من عذاب النّار[١].

ثواب قراءة سورة: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾

٣٦ ـ وعنه عليه السلام: من كان قراءته في الفريضة: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ كان في الآخرة معروفاً أنّ له من الله مكاناً، وكان يوم القيامة من رفقاء النبيّين والشّهداء والصالحين[٢].

ثواب قراءة سورة: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾ ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾، ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ﴾

٣٧ ـ وعنه عليه السلام: من أكثر قراءة: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾، و﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾، و﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾، و﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ﴾ في يوم أو ليلة، لم يبق شيء بحضرته، إلاّ شهد له يوم القيامة حتّى شعره، وبشره، ولحمه، ودمعه، وعروقه، وعصبه، وعظامه، وجميع ما أقلّت[٣] الأرض منه.

ويقول الربّ تبارك وتعالى: قبلت شهادتكم لعبدي وأجزتها له[٤]، انطلقوا به إلى جناني حتّى يتخيّر منها حيث ما أحبّ، فأعطوه إيّاها من غير منّ منّي، ولكن رحمة منّي وفضلاً منّي عليه، فهنيئاً هنيئاً لعبدي[٥].

---

(١) بحار الأنوار ج٧ ص٢٩٧، ح٣٦.
(٢) بحار الأنوار ج٧ ص٢٩٧، ح ٣٧.
(٣) أقل الشيء واستقله: إذا رفعه وحمله.
(٤) أي أنفذتها له.
(٥) بحار الأنوار ج٧ ص٢٩٨، ح٣٨.

ثواب قراءة: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ﴾

٣٨ ـ وعنه عَلَيْهِ السَّلَامُ: من قرأ: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ﴾ وأدمن قراءتها، بعثه الله مع أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ يوم القيامة خاصّة، وكان في حجره ورفقائه[1].

ثواب قراءة سورة القارعة

٣٩ ـ وعن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ: من أكثر من قراءة: **القارعة**، آمنه الله من قيح جهنّم يوم القيامة[2].

ثواب قراءة سورة العصر

٤٠ ـ عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: من قرأ سورة: **العصر** في نوافله، بعثه الله يوم القامية مشرقاً وجهه، ضاحكاً سنّه، قريراً عينه حتّى يدخل الجنّة[3].

ثواب قراءة سورة: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ﴾

٤١ ـ وعنه عَلَيْهِ السَّلَامُ: من قرأ في فرائضه: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ﴾، شهد له يوم القيامة كلّ سهل وجبل ومدر أنّه كان من الصالحين.

وينادي له يوم القيامة: صدقتم على عبدي، قبلت شهادتكم له وعليه، أدخلوا عبدي الجنّة ولا تحاسبوه فإنّه ممّن أُحبّه وأُحبّ عمله[4].

ثواب قراءة سورة: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾

٤٢ ـ وعنه عَلَيْهِ السَّلَامُ: من أكثر قراءة: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ بعثه الله يوم

---

(١) بحار الأنوار ج٧ ص٢٩٨، ح٣٩.
(٢) بحار الأنوار ج٧ ص٢٩٨، ح٤٠.
(٣) بحار الأنوار ج٧ ص٢٩٨، ح٤١.
(٤) بحار الأنوار ج٧ ص٢٩٨، ح٤٢.

القيامة على مركب من مراكب الجنّة، حتّى يقعد على موائد النّور يوم القيامة[1].

ثواب قراءة: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾

٤٣ ـ وعنه عليه السلام: من قرأ: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾ في فرائضه ونوافله، كان فيمن قبل الله صلاته وصيامه، ولم يحاسبه بما كان منه في الدنيا[2].

ثواب قراءة: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾

٤٤ ـ وعنه عليه السلام: من قرأ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ في فرائضه ونوافله، سقاه الله من الكوثر يوم القيامة، وكان محدّثه عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[3].

ثواب قراءة سورتي: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾

٤٥ ـ وعنه عليه السلام: من قرأ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ في فريضة من الفرائض، بعثه الله شهيداً[4].

ثواب من زوج عزباً

٤٦ ـ بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من زوّج عزباً، كان ممّن ينظر

---

(١) بحار الأنوار ج٧ ص٢٩٨ ـ ح ٤٣.
(٢) بحار الأنوار ج٧ ص٢٩٨ ـ ح ٤٤.
(٣) بحار الأنوار ج٧ ص٢٩٨ ـ ح ٤٥.
(٤) بحار الأنوار ج٧ ص٢٩٨ ـ ح ٤٦.

الله إليه يوم القيامة[1].

ثواب من أقال نادماً، واغاث لهفان، وعتق نسمة

٤٧ ـ بإسناده عن أبي عبد الله ﷺ قال: أربعة ينظر الله عزّ وجلّ إليهم يوم القيامة: من أقال نادماً، أو أغاث لهفان، أو أعتق نسمة، أو زوّج عزباً[2].

ثواب اغاثة المؤمن

٤٨ ـ بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من أغاث أخاه المؤمن اللّهفان اللّهثان[3] عن جهده، فنفّس كربته أو أجابه على نجاح حاجته، كانت له بذلك سبعون رحمة لأفزاع يوم القيامة وأهواله[4].

فضيلة شهر رمضان

٤٩ ـ بإسناده عن ابن عبّاس في فضيلة شهر رمضان عن النبيّ ﷺ قال: وقضى لكم الله عزّ وجلّ يوم خمسة عشر سبعين حاجة من حوائج الدّنيا والآخرة، وأعطاكم الله ما يعطي أيّوب، واستغفر لكم حملة العرش، وأعطاكم الله عزّ وجلّ أربعين نوراً:

عشرة عن يمينكم، وعشرة عن يساركم، وعشرة أمامكم، وعشرة خلفكم.

وأعطاكم الله عزّ وجلّ يوم ستّة عشر إذا خرجتم من القبر: ستّين حلّة

(١) بحار الأنوار ج٧ ص ٢٩٨ ـ ٤٧.
(٢) بحار الأنوار ج٧ ص٢٩٩، ح٤٨.
(٣) اللهفان: المكروب، واللهثان: العطشان.
(٤) بحار الأنوار ج٧ ص٢٩٩، ح٤٩.

تلبسونها، وناقة تركبونها، ويبعث الله إليكم غمامة تظلّكم من حرّ ذلك اليوم؛ ويوم خمسة وعشرين بنى الله عزّ وجلّ لكم تحت العرش ألف قبّة خضراء، على رأس كلّ قبة خيمة من نور.

يقول الله عزّ وجلّ: يا أُمّة محمد أنا ربّكم وأنتم عبيدي، استظلّوا بظلُ عرشي في هذه القباب، وكلوا واشربوا هنيئاً فلا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون، ولأتوجّن كلّ واحد منكم بألف تاج من نور، ولأرُكبنّ كلّ واحد منكم على ناقة خلقت من نور، زمامها من نور، وفي ذلك الزمام ألف حلقة من ذهب، في كلّ حلقة ملك قائم، عليها ملائكة، بيد كلّ ملك عمود من نور حتّى يدخل الجنّة بغير حساب؛ الخبر[1].

انفاق المال في طاعة الله عز وجل، وبذله في قضاء حوائج المؤمنين

٥٠ ـ في قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٠]، قال: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم﴾، من مال تنفقونه في طاعة الله، فإن لم يكن لكم مال فمن جاهكم تبذلونه لإخوانكم المؤمنين تجرّون به إليهم المنافع، وتدفعون به عنهم المضارّ ﴿تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ﴾ ينفعكم الله تعالى بجاه محمّد وآله الطيّبين يوم القيامة فيحطّ به عن سيّئاتكم، ويضاعف به حسناتكم، ويرفع به درجاتكم ـ وساق الحديث إلى أن قال ـ:

قال رسول الله ﷺ: عباد الله أطيعوا الله في أداء الصلوات المكتوبات والزكوات المفروضات، وتقرّبوا بعد ذلك إلى الله بنوافل الطاعات، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يعظّم به المثوبات.

---

(١) بحار الأنوار ج٧ ص٢٩٩، ح٥٠.

مواساة المؤمن أخيه المؤمن

والّذي بعثني بالحقّ نبيّاً: إنّ عبداً من عباد الله ليقف يوم القيامة موقفاً يخرج عليه من لهب النّار أعظم من جميع جبال الدّنيا، حتّى ما يكون بينه وبينها حائل، بينا هو كذلك إذا تطاير من الهواء رغيف أو حبّة فضّة قد واسى بها أخاً مؤمناً على إضافته فتنزل حواليه فتصير كأعظم الجبال مستديراً حواليه، وتصدّ عنه ذلك اللّهب، فلا يصيبه من حرّها ولا دخانها شيء إلى أن يدخل الجنّة.

قيل: يا رسول الله وعلى هذا يقع مواساته لأخيه المؤمن؟!

فقال رسول الله ﷺ: والّذي بعثني بالحقّ نبيّاً إنّه لينفع بعض المؤمنين بأعظم من هذا، وربما جاء يوم القيامة من تمثّل له سيّئاته وحسناته وإساءته إلى إخوانه المؤمنين - وهي الّتي تعظم وتتضاعف فتمتلىء بها صحائفه - وتفرَّق حسناته على خصمائه المؤمنين المظلومين بيده ولسانه، فيتحيّر ويحتاج إلى حسنات تواري سيئاته، فيأتيه أخ له مؤمن قد كان أحسن إليه في الدّنيا.

فيقول له: قد وهبت لك جميع حسناتي بإزاء ما كان منك إليّ في الدّنيا، فيغفر الله له بها.

ويقول لهذا المؤمن: فأنت بماذا تدخل جنّتي؟

فيقول: برحمتك يا ربّ.

فيقول الله: جدت عليه بجميع حسناتك ونحن أولى بالجود منك والكرام، وقد تقبّلتها عن أخيك وقد رددتها عليك وأضعفتها لك، فهو أفضل أهل الجنان[1].

---

(١) بحار الأنوار ج٧ ص٢٩٩ - ٣٠٠.

فضيلة صيام شهر رجب

٥١ ـ بإسناده عن أبي سعيد الخدريّ، عن النبيّ ﷺ قال:

من صام من رجب يومين: لم يصف الواصفون من أهل السّماء والأرض، ما له عند الله من الكرامة، وكتب له من الأجر مثل أُجور عشرة من الصّادقين في عمرهم، بالغة أعمارهم ما بلغت، ويشفع يوم القيامة في مثل ما يشفعون فيه، ويحشر معهم في زمرتهم حتّى يدخل الجنّة، ويكون من رفقائهم ـ وساق الحديث إلى أن قال:

ومن صام من رجب خمسة أيّام: كان حقّاً على الله عزّ وجلّ أن يرضيه يوم القيامة، وبعث يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر، وساقه إلى أن قال:

ومن صام من رجب ستة أيّام: خرج من قبره ولوجهه نور يتلألؤ أشدّ بياضاً من نور الشّمس، وأعطي سوى ذلك نوراً يستضيء به أهل الجمع يوم القيامة، وبعث من الآمنين حتّى يمرّ على الصّراط بغير حساب ـ وساقه إلى أن قال:

ومن صام من رجب تسعة أيّام: خرج من قبره وهو ينادي: لا إله إلاّ الله، ولا يصرف وجهه دون الجنّة، وخرج من قبره ولوجهه نور يتلألؤ لأهل الجمع حتّى يقولوا:

هذا نبيّ مصطفى، وإنّ أدنى ما يعطى أن يدخل الجنّة بغير حساب.

ومن صام من رجب عشرة أيّام: جعل الله له جناحين أخضرين منظومين بالدرّ والياقوت، يطير بهما على الصّراط كالبرق الخاطف إلى الجنان ـ وساقه إلى أن قال:

ومن صام أحد عشر يوماً من رجب: لم يواف يوم القيامة عبد أفضل ثواباً منه إلاّ من صام مثله أو زاد عليه.

ومن صام من رجب اثني عشر يوماً: كسي يوم القيامة حلّتين خضراوين من سندس وإستبرق يحبر بهما، لو دلّيت حلّة منهما إلى الدُّنيا لأضاء ما بين شرقها وغربها، ولصار الدنيا أطيب من ريح المسك.

ومن صام من رجب ثلاثة عشر يوماً: وضعت له يوم القيامة مائدة من ياقوت أخضر في ظلّ العرش، قوائمها من درّ أوسع من الدنيا سبعين مرّة، عليها صحاف الدرّ والياقوت، في كلّ صفحة سبعون ألف لون من الطعام، لا يشبه اللّون اللّون ولا الرّيح الرّيح، فيأكل منها والنّاس في شدّة شديدة وكرب عظيم ـ وساقه إلى أن قال:

ومن صام من رجب خمسة عشر يوماً: وقف يوم القيامة موقف الآمنين فلا يمرّ به ملك مقرّب ولا رسول ولا نبيّ إلاّ قال:

طوباك أنت آمن مقرّب مشرّف مغبوط محبور ساكن الجنان ـ وساقه إلى أن قال:

ومن صام سبعة عشر يوماً من رجب: وضع له يوم القيامة على الصّراط سبعون ألف مصباح من نور حتى يمرّ على الصّراط بنور تلك المصابيح إلى الجنان، تشيّعه الملائكة بالترحيب[1] والتسليم ـ وساقه إلى أن قال:

ومن صام من رجب أحداً وعشرين يوماً: شفّع يوم القيامة في مثل ربيعة ومضر، كلّهم من أهل الخطايا والذنوب، وساقه إلى أن قال:

ومن صام من رجب خمسة وعشرين يوماً: فإنّه إذا خرج من قبره تلقاه سبعون ألف ملك، بيد كلّ ملك منهم لواء من درّ وياقوت، ومعهم طرائف الحليّ والحلل.

---

(١) رحبه: قال له: مرحباً.

فيقولون: يا وليّ الله النجا[1] إلى ربّك، فهو من أوّل الناس دخولاً في جنّات عدن مع المقرّبين الّذين رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك هو الفوز العظيم.

ومن صام من رجب ستّة وعشرين يوماً: بنى الله له في ظلّ العرش مائة قصر من درّ ياقوت، على رأس كلّ قصر خيمة حمراء من حرير الجنان، يسكنها ناعماً والنّاس في الحساب؛ الخبر[2].

ثواب من وقرّ ذا شيبة في الإسلام

٥٢ ـ بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من وقّر ذا شيبة في الإسلام، آمنه الله من فزع يوم القيامة[3].

الدفن في الحرم، أمان من الفزع الأكبر

٥٣ ـ بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من دفن في الحرم، أمن من الفزع الأكبر.

قلت له: من برّ النّاس وفاجرهم.
قال: من برّ الناس وفاجرهم[4].

فضيلة من مات في طريق مكة

٥٤ ـ بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من مات في طريق مكّة ذاهباً

---

(١) النجاء والنجا أي أسرع، هو من باب الاغراء منصوب بفعل محذوف تقديره: ألزم النجاء، وقد يوصل به كاف الخطاب، يقال: النجاءك النجاءك، النجاك النجاك.
(٢) بحار الأنوار ج٧ ص٣٠١ ـ ٣٠٢، ح٥٢.
(٣) بحار الأنوار ج٧ ص٣٠٢، ح٥٣.
(٤) بحار الأنوار ج٧ ص٣٠٢، ح٥٤.

أو جائياً، أمن من الفزع الأكبر يوم القيامة[1].

فضيلة من مات محرماً

٥٥ ـ عن الصادق عليه السلام قال: من مات محرماً، بعثه الله ملبّياً[2].

فضيلة من مات في أحد الحرمين

٥٦ ـ وقال عليه السلام: من مات في أحد الحرمين، بعثه الله من الآمنين، ومن مات بين الحرمين لم ينشر له ديوان[3].

فضيلة من أتّى قبر أخيه

٥٧ ـ عن الرضا عليه السلام قال: من أتى قبر أخيه، ثمّ وضع يده على القبر وقرأ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ سبع مرّات، أمن يوم الفزع الأكبر[4].

فضيلة من مقت النفس دون الناس

٥٨ ـ بإسناده عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: من مقت نفسه دون النّاس، آمنه الله من فزع يوم القيامة[5].

---

(١) بحار الأنوار ج٧ ص٣٠٢، ح٥٥.
(٢) بحار الأنوار ج٧ ص٣٠٢، ح٥٦.
(٣) بحار الأنوار ج٧ ص٣٠٢، ح٥٧.
(٤) بحار الأنوار ج٧ ص٣٠٢، ح٥٨.
(٥) بحار الأنوار ج٧ ص٣٠٢، ح٥٩.

فضيلة اجتناب الفواحش

٥٩ ـ بإسناده عن النبيّ ﷺ قال: من عرضت له فاحشة أو شهوة فاجتنبها من مخافة الله عزّ وجلّ، حرّم الله عليه النّار، وآمنه من الفزع الأكبر(١).

فضيلة من حمل أخاه على رحله

٦٠ ـ بإسناده عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: من حمل أخاه على رحله، بعثه الله يوم القيامة إلى الموقف على ناقة من نوق الجنّة، يباهي به الملائكة(٢).

فضيلة كظم الغيظ

٦١ ـ قال أبو جعفر عليه السلام: من كظم غيظاً وهو يقدر على إمضائه، حشا الله قلبه أمناً وإيماناً يوم القيامة(٣).

فضيلة حسن الخلق

٦٢ ـ عن عليّ عن الحسين قال: قال رسول الله ﷺ: ما من عمل يوضع في ميزان أمرء يوم القيامة، أفضل من حسن الخلق(٤).

٦٣ ـ عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام، عن أبي ذرّ رضي الله عنه قال:

---

(١) بحار الأنوار ج٧ ص٣٠٣، ح٦٠.
(٢) بحار الأنوار ج٧ ص٣٠٣، ح٦١.
(٣) بحار الأنوار ج٧ ص٣٠٣، ح٦٢.
(٤) بحار الأنوار ج٧ ص٣٠٣، ح٦٣.

قال رسول الله ﷺ: أطولكم قنوتاً في دار الدّنيا، أطولكم راحة يوم القيامة في الموقف[1].

فضيلة صدق الحديث وإداء الأمانة

٦٤ ـ عن الصّادق، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: أقربكم غداً منّي في الموقف أصدقكم للحديث، وآداكم للأمانة، وأوفاكم بالعهد، وأحسنكم خلقاً، وأقربكم من النّاس[2].

فضيلة الجهاد في سبيل الله عز وجل

٦٥ ـ عن النبيّ ﷺ قال: من ارتبط فرساً في سبيل الله، كان علفه وروثه وشرابه في ميزانه يوم القيامة[3].

ثواب قول: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر»

٦٦ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: قولوا:

«سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر»، فإنّهنّ يأتين يوم القيامة لهنَّ مقدّمات ومؤخّرات ومعقّبات، هنّ الباقيات الصّالحات[4].

---

(١) بحار الأنوار ج٧ ص٣٠٣، ح٦٤.
(٢) بحار الأنوار ج٧ ص٣٠٣، ح٦٥.
(٣) بحار الأنوار ج٧ ص٣٠٣، ح٦٦.
(٤) بحار الأنوار ج٧ ص٣٠٣، ح٦٧.

فضيلة الذهاب إلى المساجد

٦٧ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام، عن النبيّ صلى الله عليه وآله: ألا بشّر المشّائين في الظّلمات إلى المساجد بالنّور الساطع يوم القيامة[١].

فضيلة المؤذن

٦٨ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أطول النّاس أعناقاً يوم القيامة المؤذّنون[٢].

فضيلة السجود لله عز وجل

٦٩ ـ عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إذا سجد أحدكم فليباشر بكفّيه الأرض، لعلّ الله يصرف عنه الغلّ يوم القيامة[٣].

فضيلة ادخال السرور وتفريج المعسور

٧٠ ـ عن أبي جعفر عليه السلام قال: يبعث قوم تحت ظلّ العرش وجوههم من نور، ورياشهم من نور، جلوس على كراسيّ من نور.

قال: فتشرف لهم الخلائق.

فيقولون: هؤلاء أنبياء؟

فينادي منادٍ من تحت العرش: أن ليس هؤلاء بأنبياء.

---

(١) بحار الأنوار ج٧ ص٣٠٣، ح ٦٨.

(٢) بحار الأنوار ج٧ ص٣٠٣، ح ٦٩.

(٣) بحار الأنوار ج٧ ص٣٠٣، ح ٧٠.

قال: فيقولون: هؤلاء شهداء؟

فينادي منادٍ من تحت العرش: أن ليس هؤلاء شهداء، ولكن هؤلاء قوم كانوا ييسرون على المؤمنين (على المعسر خ ل) وينظرون المعسر حتّى ييسر[1].

فضيلة الصلاة على محمد وآل محمد تثقل بها الحسنات

٧١ ـ عن النبيّ ﷺ قال: أنا عند الميزان يوم القيامة، فمن ثقلت سيّئاته على حسناته، جئت بالصّلاة عليّ حتّى أثقل بها حسناته[2].

فضيلة توقير مساجد الله عز وجل

٧٢ ـ عن أبي عبد الله، عن أبيه عليه السلام، عن عليّ صلوات الله عليه قال: من وقّر مسجداً، لقى الله يوم يلقاه ضاحكاً مستبشراً، وأعطاه كتابه بيمينه[3].

ثواب تقبيل الولد وتفريحه وتعليمه القرآن

٧٣ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: من قبّل ولده كتب الله له حسنة، ومن فرّحه فرّحه الله يوم القيامة، ومن علّمه القرآن دعي بالأبوين فكسيا حلّتين يضيء من نورهما وجوه أهل الجنّة[4].

---

(١) بحار الأنوار ج٧ ص٣٠٤، ح٧٢.
(٢) بحار الأنوار ج٧ ص٣٠٤، ح٧٣.
(٣) بحار الأنوار ج٧ ص٣٠٤، ح٧٤.
(٤) بحار الأنوار ج٧ ص٣٠٤، ح٧٥.

فضيلة عيادة المؤمن المريض

٧٤ ـ جماعة، عن أبي المفضّل، عن أحمد بن محمّد العلويّ، عن جدّه الحسين بن إسحاق بن جعفر، عن أبيه، عن أخيه موسى بن جعفر، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: يعيّر الله عزّ وجلّ عبداً من عباده يوم القيامة فيقول:

عبدي ما منعك إذا مرضت أن تعودني؟

فيقول: سبحانك سبحانك أنت ربّ العباد لا تألم ولا تمرض.

فيقول: مرض أخوك المؤمن فلم تعده، وعزّتي وجلالي لو عدته لوجدتني عنده، ثمّ لتكفّلت بحوائجك فقضيتها لك، وذلك من كرامة عبدي المؤمن وأنا الرّحمن الرّحيم[١].

الحسنة معرفة الولاية، والسيئة انكارها

٧٥ ـ الحسين بن محمّد، عن المعلّى، عن ابن أُورمة، ومحمّد بن عبد الله، عن عليّ بن حسّان، عن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله، عن أبيه عليه السلام قال: دخل أبو عبد الله الجدليّ على أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أبا عبد الله لا أُخبرك بقول الله عزّ وجلّ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ * وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٨٩، ٩٠].

قال: بلى يا أمير المؤمنين جعلت فداك.

---

(١) بحار الأنوار ج٧ ص٣٠٤، ح٧٦.

فقال: الحسنة بمعرفة الولاية وحبّنا أهل البيت.

والسيّئة: إنكار الولاية وبغضنا أهل البيت، ثمّ قرأ عليه هذه الآية[1].

فضيلة وثواب قراءة القرآن وهو شاب

٧٦ ـ بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من قرأ القرآن وهو شابٌّ مؤمن اختلط القرآن بلحمه ودمه، وجعله الله عزّ وجلّ مع السفرة الكرام البررة، وكان القرآن حجيجاً عنه يوم القيامة، فيقول:

يا ربِّ إنّ كلّ عامل قد أصاب أجر عمله غير عاملي، فبلّغ به أكرم عطائك.

قال: فيكسوه الله العزيز الجبّار حلّتين من حلل الجنّة، ويوضع على رأسه تاج الكرامة.

ثمَّ يقال له: هل أرضيناك فيه.

فيقول القرآن: يا ربِّ قد كنت أرغب له فيما هو أفضل من هذا، فيعطى الأمن بيمينه، والخلد بيساره، ثمّ يدخل الجنّة.

فيقال له: اقرء واصعد درجة، ثمّ يقال له:

هل بلّغناك وأرضيناك؟

فيقول: نعم.

قال: ومن قرأ كثيراً أو تعاهده بمشقّة من شدّة حفظه أعطاه الله عزّ وجلّ أجر هذا مرتين[2].

---

(١) بحار الأنوار ج٧ ص٣٠٤ ـ ٣٠٥، ح٧٦.

(٢) بحار الأنوار ج٧ ص٣٠٤ ـ ٣٠٥، ح٧٧.

درجة قارىء القرآن يوم القيامة

٧٨ ـ قال رسول الله ﷺ: إنّ قراءة القرآن يأتي يوم القيامة بالرجل الشاحب[١] يقول لربّه عزّ وجلّ:

يا ربّ هذا أظمأت نهاره، وأسهرت ليله، وقويت في رحمتك طمعه، وفسحت في مغفرتك أمله، فكن عند ظنّي فيك وظنّه.

فيقول الله تعالى: اعطوه الملك بيمينه، والخلد بشماله، وأقرنوه بأزواجه من الحور العين، واكسوا والديه حلّة لا تقوم لها الدّنيا بما فيها، فينظر إليهما الخلائق فيعظّمونهما، وينظران إلى أنفسهما فيعجبان منها.

فيقولان: يا ربّنا أنّى لنا هذه ولم تبلغها أعمالنا؟

فيقول الله عزّ وجلّ: ومع هذا تاج الكرامة لم ير مثله الراؤون، ولم يسمع بمثله السّامعون، ولم يتفكّر في مثله المتفكّرون.

فيقال: هذا بتعليمكما ولدكما القرآن، وبتصييركما إيّاه بدين الإسلام، وبرياضتكما إيّاه على محمّد رسول الله وعليّ وليّ الله، وتفقيهكما إيّاه بفقههما، لأنّهما اللّذان لا يقبل الله لأحد عملاً إلاّ بولايتهما ومعاداة أعدائهما، وإن كان ما بين الثرى إلى العرش ذهباً يتصدّق به في سبيل الله، فتلك البشارات الّتي تبشّرون بها[٢].

---

(١) الشاحب: المهزول أو المتغير اللون.

(٢) بحار الأنوار ج٧ ص٣٠٥ ـ ٣٠٦، ح٧٩.

الفهرس

في العلم باليوم الآخر

فهرس كتاب
الخصال التي توجب التخلص من شدائد يوم القيامة وأهوالها